العالَمُ غابة

گەلاوێژ

گەلاوێژ

العالَمُ غابة

رواية

ترجمة : صلاح الدين المدرس

مراجعة: مصطفى صالح كريم

اسم الكتاب : العالم غابة
اسم المؤلف : گەلاوێژ صالح فتاح
المترجم : صلاح الدين المدرس
المراجعة : مصطفى صالح كريم
تصميم الغلاف: جبار صابر
السنة الطبع: طبعة جديدة/ السليمانية/ ٢٠١٨
عدد النسخ : (١٠٠٠) نسخة

الاهداء

الى من كان اول همسة حب لربيع صباي

واللحن الشجي لكل شبابي

والمخلص بلا مثيل طيلة ايام عمري

ونهاية السطور لعشقي وهيامي.

****

الى الذي كان في الجبال والكهوف سميري

وفي الغربة والتشرد بلادي

والذي كان اعدل من المستقيم وانقى من النقاء

والقلعة الشامخة لأحلامي وآمالي

الذي كان مفتوناً بهامتي وجنوني

وبحراً بلا حدود لثقتي ودلالي

والآن كيف اعيش بدونه وكيف اصدق انه هكذا بلحظة

وبطرفة عين يضيع مني؟.

گلاويژ

٢٠٠٨/٤/٨

كان الوقت يميل نحو الغروب في أحد أيام أوائل الخريف، وبدأ الجلوس يطيب في الأيوان وداخل الغرف، وكان الناس منشغلين في ترتيب أفرشة الغرف والبيت، وكان معظمهم مستعجلين بهذه الصورة لأنه لم يبق على قدوم عيد الأضحى سوى بضعة أيام، وكانت رائحة الكليضة (١) والطالطالى (٢) والعروق والخميرة (٣) تفوح من منازل الجيران، وكان الجميع مشغولين إما بالحديث عن ملابس العيدأو ذبح الأضاحي من خراف أو أبقار، أو بالاستعداد للتوجه نحو بغداد لاستقبال الحجاج.

وكانت ثروين قد انتهت قبل قليل من كنس فناء الدار والأيوان الصغير وقد فرشت بساطا صغيرا بجانب عمود الأيوان وجلست هناك وأمامها عَدة وسلة حياكة طاقيات الرأس. وبينما كانت جالسة هكذا صامتة مهمومة وتنجز بين فينة وأخرى عدة عقد من الطاقية وهي غارقة في الأفكار والخيالات التي تذهب بها بعيدا وتجعلها كمن فقد الوعي ولم تكن تعود الى وعيها إلا عندما تسمع صراخ الأطفال في الزقاق أو تقع صينية أو إناء في منزل أحد الجيران أويأتي صراخ الجارة الاخرى التي كانت دوما توبخ أطفالها بالصراخ أو الدعاء عليهم.

كانت عيناثروين قدامتلأتا بالدموع وكان البكاء يسدّ عليها حلقها وكلما كانت تتلفت وترى محيطها الصامت كان قلبها يزداد اعتصارا وتحسرا خاصة وأن عيد الأضحى كان يحمل لها في ثناياه ذكريات لاتنسى في النفس والقلب.

وكيف تنسى تلك الأيام الجميلة التي كانت ترتاح فيها على صدر والدها الدافئ المليئ بالهدوء وكانت كل الأشياء الجميلة لها وحدها قبل غيرها و يدللها والدها الى حد أن الصغار والكبار من الأقارب كانوا يحسدونها.

ورغم كونها صغيرة جدا في ذلك الحين إلاّ أنها تتذكر جيدا ليلة عيد الأضحى التي ولد فيها شقيقها كاوه والفرح الذي غمر والدها والحفل الذي أقامه بهذه المناسبة بحيث أصبح العيد عندهم عيدين.

آه يا إلهي كيف مضت تلك الآيام الحلوة، وماذا حل بذلك الصفاء وذلك البيت الكبير ذي الباب المفتوح على مصراعيه الذي كان يعج بالضيوف والأقارب وأين ذهب كل ذلك الخدم والحشم؟.

آه ياإلهي أتذكر دائما ماكانت أمي تقوله لأبي .. لاترهق نفسك الى هذا الحد إذ أن صحتك أهم من كل شيئ لك ولأطفالك، وعندما تتوجه الى بغداد والموصل والأماكن الأخرى خذ قسطا من الراحة بعد ذلك وبعد أن تنجز أعمالك ترجع في الليلة ذاتها الى السليمانية، إذ ستتعب في النهاية، ولكن بمجرد إنتهاء أعماله في أي مكان كان يستقل السيارة ويعود الينا مباشرة. وعندما كانت أمي تعترض على ذلك يقول لأمي قسما بالله يا حبيبتي (آسكه) لا أتحمل البقاء في الأماكن ألأخرى إذ أبقى مشتاقا لأطفالي. وفي النهاية، ومثلما كانت أمي تقدر وينبئها قلبها ففي إحدى الليالي إنقلبت به السيارة في طريق العودة بين أربيل وكركوك ومات وتركنا أيتاما بؤساء بهذه الصورة.

آه يا أبي العزيز ! أتذكر أن الناس كانوا يقولون منذ اليوم الذي وقع فيه ذلك الحادث وانقلبت السيارة وإلى أمد طويل كانوا يعثرون على قطع من الحلويات وأجزاء من لعب الأطفال المتكسرة متناثرة في منطقة الحادث.

وها نحن نجلس حزانى في هذا البيت الصغير وابنك المدلل كاوه يجلس حزينا وهو لايملك فلسا ولا ملبسا للعيد في هذا البيت المستأجر ويواصل دراسته في الصف الخامس الأبتدائي ولا تخطر أنت في باله لأن الطفل الذي عمره ستة أشهر ماذا يمكن أن يتذكر؟ ومسحت ثروين دموعها بظاهر كفها وقالت بقلب يعتصره الألم: منذ اللحظة التي رمانا فيها هذا الكافر الجشع في هذا البيت الذي يشبه مأوى الدجاج كأننا سجناء بحجة أن بيتنا كان كبيراً جدا لأربعة أشخاص وينوي من باب الأحسان أن يبني لنا منزلاً أخر من عدة طبقات يحتوي على عدة دكاكين وجعلنا نعتقد باننا خلال مدة قصيرة سنصبح أصحاب مبلغ كبير من الأيجار الذي سنأخذه عن املاكنا المزعومة ونعيش منه كالملوك، لكن هذا الشخص الذي لاوجدان له ولاضمير ظل يمنينا بالوعود التي ستتحقق في المستقبل، ولاندري ماحل بذلك المسكن الواسع المليئ بالحدائق والزهور؟.

تنهدت ثروين وقالت في نفسها: على الأقل كنا أنئذ في بيتنا الخاص الأخاذ المفتوح وكانت كل ذكرياتنا الحلوة والمرة هناكَ سلوى لنا ومبعث راحتنا حتى لو لم يكن لدينا شيئ. ثم نظرت ثروين الى السماء وقالت كأنها تناجي في نفسها: لينتقم الله منك ولتكن في عهدة الله أيها المحتال النصاب فهو يعلم أنك ربما لم تشتر لنا حتى بيت الدجاج هذا، ومن يدري أن هذه ليست سوى مؤامرة من مؤامراتك وقالت ثروين بابتسامة ذات معنى مليئة بالوجوم ودون أن تظهر ماتقوله الى العَلن: فضلا عن كل الآلام فان كثرة خروج أمي وأختي المتكرر من البيت بحجة أن قلبهما مهموم ولاتطيقان البقاء فيه فترتديان العباءة دوما وتزوران دار هذا القريب وذاك من المعارف والأقارب دون أن تفكرا بي أو بهذا

الصغير لتعرفا هل نحن أموات أم أحياء في جحر الكلاب هذا. صحيح مايقال إن لكل شخص طبعه الخاص فانا الآن منزوية وميالة إلى أن أقبع دوما في أعماق البيت وقلبي ملؤه الألم وأفكر في كل شيئ ، لكن أمي وأختي التي تصغرني بسنتين فقط لاتطيقان عدم الخروج ولو يوما واحداً.

كانت ثروين في دوامة هذه الخيالات عندما أعادها الطرق على الباب إلى وعيها فوضعت طاقيتها جانبا ونهضت واقفة وقالت مع نفسها والله من المفضل ألاّ أفتحه لهما، أنهما خرجتا منذ الصباح ولم تعودا إلاّ الآن .. ترى كيف تذكرتا؟، لكن الطرق الشديد على الباب أجبرها على أن تذهب راكضة وتفتح الباب، فوجدت أن الطارق هو (خوله) الحمال الذي تكاد أنفاسه أن تنقطع تحت حمله الثقيل الذي يزن ١٠٠ كيلو.

نظر خوله من تحت الحمل إلى ثروين خان وقال: ترى ماذا جرى ، كنت أعتقد أنكم لستم في البيت، ثم دلف الى الداخل، فأجابت ثروين بتوتر وقلق شديدين وبعين ملآى بالحسرة تستدر العطف قائلة: معذرة كاكه (خوله) والله لم أكن أعرف أن الطارق أنت وتحمل على ظهرك هذا الحمل الثقيل، ليقض الله عليّ، ضعه هنا ماهذا ولمن يعود؟ وضع (خوله) حمله في الأيوان وقال وهو يلهث .. إنه رز وقد أرسله اليكم جاركم الأسطه أحمد لطبخه في العيد. أخرج (خوله) منديله ومسح عرق جبينه وقال: إنه رز جيد ونواعمه قليلة لكن كونوا حذرين ففيه الكثير من الحصى.. نقوه جيدا فقد جربته عائلة الأسطه أحمد يوم أمس لكن حصاة كبيرة صادفت أسناني وكادت أن تكسر السن الوحيدة الباقية لي.

أسرعت ثروين وجلبت له كأسا من عصير البرتقال معتذرة مرة ثانية عن عدم فتح الباب له سريعاً فتناول (خوله) العصير وقال: لاتعيرى الموضوع إهتماماً فاحيانا احمل كيساً من نوع الخط الأحمر يزن مئة كيلو الى تلك المحلة البعيدة دون ان يكلف احد نفسه بالسؤال عن الجهة التى اتيت منها وعند مايعطوننى

مئة فلس يعيدون احتسابها مرات ومرات وكأنهم يتصدقون بها ويقللونه مرة بعداخرى.

سحبت ثروين نفساً وقالت: ماذا عسانا أن نقول ياعزيزي كاكه خوله فالشبعان لا يفكر بحال الجوعان ولم يبق أثر للوجدان والضمير، وقد غمرت ابتسامة خوله وقال: الوجدان والضمير، ثم هزرأسه قائلا: تبدو الدنيا وكأنها إنهارت لكن مع هذا هناك عدد قليل من الناس.

بقي لديهم شيء من الضمير . . ثم تناول مابقي من العصير ، وبعد الأنتهاء منه أعاد الكأس الى ثروين مستودعاً إياها راجيا لها الدعاء.

مدت ثروين يدها الى جيبها الداخلي قائلة :عزيزي كاكه خوله أرجوك تريث قليلا لكنه لم يتوقف وقال وهو يمضي: لاتزعجي نفسك فقد أعطاني الأسطه أحمد مايكفي وأكثر من الفلوس. اقتربت ثروين من كيس الرز وتلمسته ونظرت إليه وقالت في نفسها بقلب معتصر: جزاهم الله خيرا، وفجأة تذكرت أخاها (كاوه) الذي كان يذاكر دروسه في الداخل فخفضت صوتها وقالت بهمس يتصدق علينا الناس لكن أمي وأختي ثرشنط خان عندما تعودان تبدءأن باقامة العزائم والولائم ولا تبقيان في الكيس حبة واحدة ولا تفكران في حالنا وكأن والدي لايزال حيا ولايزال القصروالمضيف القديمان باقيين وعليهما استضافة كل عائلة زارتاها رغم بؤس حالنا.

سحبت ثروين نفساً عميقا بهدوء وقالت في نفسها: لقد صدق الناس عندما قالوا: ليس الكبر والصغر هو الأساس في كل شيء، لا أمي ولا ثرشنط تريد ان الاقرار بالواقع وتحمله وتظلان تخدعان نفسيهما بتصرفاتهما الفارغة أمام الناس بأنهما ميسورتا الحال بينما أعيش أنا على خياطة الطاقيات وخالي المسكين يقتر على أطفاله ليرسله لنا كما أن واحداً مثل الأسطه أحمد جزاه الله خيرا يتذكرنا دائما، لكن هؤلاء غير مبالين وكأن العالم كله الشام الشريفة. قالت

ثروين بغضب وهي تكلم نفسها: والله إن لم يتركوا هذه الدعوات وزيارات بيوت الناس سيعرفون ماسأفعل بهم .. كفى. وكانت لاتزال واقفة على رجليها عندما أعيد الطرق على الباب، فخرج كاوه من الغرفة على الفور نحو الباب وهو يقول: باجى ثروين انتهيت من المذاكرة وها أنا أخرج. وعندما فتح الباب دخلت أمه آسكه خان وأخته ثرشنط.

اندفعت آسكه خان بشوق نحو كاوه وقالت: عزيزى كاوه هل أنت في المنزل روحي فداك؟.

خلص كاوه نفسه من يدها دون أن يجيب وأسرع نحو أخته ثروين. وصلت آسكه خان الى الأيوان ونزعت العباءة من رأسها، وعندما رأت كيس الرز وقبل أن تسأل عن إبنتها ثروين توجهت نحو ثرشنط وقالت ماهذا؟ هل جلبوه لنا؟ ووصلت اليها ثرشنط وتلمست الكيس وقالت وهي تضحك إنه إما رز أو حنطة لكن ثروين كانت منشغلة بطاقيتها خافضة رأسها وكأنها لاتسمع الحديث الذي يجري بينهما. وصلت آسكه خان اليها وقالت: عزيزتي كيف حالك لم لاتجيبين، مابك لماذا أنت واجمة هكذا؟.

وقالت ثرشنط بابتسامة .. ماخطبك وكأنك لاتريدين ان تتكلمي معنا؟ خرج كاوه من غرفته وقال بسخرية: لاوالله سيدتي لماذا لانكلمكم، كيف يسمح قلبنا بذلك، فقالت ثرشنط بغضب ترى مالذي عملناه؟ ونظرت بنوع من الذهول الى كاوه وقالت: انظر اليه وكأنه رجل كبير السن في كلامه. أما آسكه خان وكأنها تريد أن تهدئ كاوه قالت:فديتك روحي انها أختك وهي أكبر منك لاترد عليها هكذا.

وبدلا من أن يهدأ كاوه اشتد غضبه وبدأ بالامتعاض معاتبا أمه وأخته لعدم ملازمتهما البيت، لكن ثرشنط اندفعت نحوه بغضب في محاولة لضربه غير أن

أمها فصلت بينهما وقالت لها بحدة شلت يداك كيف اجزت لنفسك أن تمدي يدك الى كاوه الحبيب.

وبينما كانا مستمرين في شجارهما نهضت ثروين وكأنها تنتظر مثل هذا اليوم لتصب عليهم جام غضبها وتوجهت صوبَ ثرشنط قائلة: بالله ألا تخجلين مما تفعلين والله لو كنت مكانك لقتلت نفسي، بمجرد أن تنهضا صباحاً تتجولان في ألأزقة في بيت هذا ومائدة ذاك وقبول دعوة آخر ولاتلتفتان لا إلى البيت ولا إلى الاولاد فبفضل الأزقة خسرت حتى مدرستك وبسب التجوال لم تستطيعي أن تذاكرى دروسك فرسبت لثلاث سنوات متتالية. صباحاً كنت تقولين لنا أذهب الى المدرسة لكنك في الواقع كنت تذهبين الى بيت العمة حيي (٤) التي كانت تعد لك البيض بالدهن وكنت تمضين وقتك هناك إلى أن يحين وقت العودة من المدرسة وعندئذ كنت تعودين الى البيت وكانك عائدة من المدرسة ومع ذلك تعطين الحق لنفسك بالكلام وكأنك لست المسؤولة عن رسوبك المتكرر، علماً بأنه لوكنت تهتمين بدراستك نصف إهتمامك بالأزقة كنت ستصلين الى ذروة النجاح.

وجمت آسكه خان وكانت مهمومة وتقدمت ثرشنط نحو أختها وهي تقول: طيب من طلب منك أن تحبسي نفسك في البيت ولماذا لاتأتين أنت أيضا معنا؟ . . وأنت لماذا لم تكملي المدرسة، رفيقاتك أصبحن ذوات رواتب. وأكملت ثرشنط كلامها وقالت: والله إننا لانستطيع أن نحبس أنفسنا في هاتين الغرفتين وألأيوان ، فقد ضجرنا الى اقصى حد.

فاجابت ثروين أتعرفين لماذا لا أخرج معكما؟ أخجل من أن أتوجه إلى بيوت الأقارب والمعارف وآكل على حسابهم كأني طفيلية.. والله أن الموت أفضل لي من القيام بذلك.

استمرت ثروين في كلامها قائلة.. تلاحظون كيف أن جميع الأقارب والمعارف كانوا يحترموننا ويحزنون لأجلنا ويزوروننا لكنكم جعلتموهم الآن يبدون مستائين منا ويهربون منا بسب كثرة ترددكم عليهم وزياراتكم المتكررة لهم.
كانت آسكه خان تخشى أن يتطور نزاع الاختين لذا لجأت الى البكاء بحرقة مشوبة بالخوف وتوجهت نحوهما وهي تقول: كفى كفى ماذا تريدون أن تفعلوا ياويلي هل تريدون أن تقتلوا بعضكم وكانكم تتخاصمون بحقد قديم؟ وقالت موجهة كلامها نحو ثروين: بنتي إننا لانخرج من البيت حباً في الافراح بل نهرب بسب الألم والحزن ونهرب من غدر ولؤم قريب والدكم بعد أن خدعنا وجعلنا نستجدي بهذه الصورة.

ثروين التي أحمر وجهها وبدأت يداها ترجفان من التوتر والغضب أجابت أمها وقالت: والله إن فهمكم هذا خاطئ، ترى هل تتم معالجة أوضاعنا هكذا باستمراركم على التجوال المستمر؟ أو بدلا من ذلك ألا يجب أن تسعى دوما وألا تتخلي وتبحثي عن الشهود لتقولي إنه منذ أن توفي زوجي قبل سنة يتحايل علينا هذا الرجل اللئيم الذي استولى تدريجيا على جميع أملاكنا، ثم تتوجهين الى المحكمة لتقيمي عليه الدعـــوى وتطالبين بحقوقنا وعن طريق القانون تفضحينه.

مسحت آسكه خان عينيها بطرف حجابها وقالت: إن ماقمت به أنا وما قام به إخواننا وأقرباؤنا لايقدر عليه أحد، لكن هل يستطيع أحد التغلب عليه، والله حتى الحكومة تقف الى جانبه وحده، فما يأخذه من صفائح اللبن ودهن قلعة دزه وخلايا العسل الى بغداد يجعلهم يردون علينا مباشرة عند الباب بان كلامه هو الصحيح وليس لنا أي حق ويجابهوننا بمستندات مزورة فيها ديون وضرائب مستحقة ويجعلون منا نحن المدينين.

نظرت آسكه خان بعتب الى ابنتها ثروين وقالت: ترى اليس لك علم بما عملناه ولست مطلعة؟، ثم أجهشت ببكاء حار وبدأت بالتذمر والدعاء على من تسبب في تردي أحوالهم.

تألمت ثروين وبدأت تشعر بالعطف على أمها وقالت بحزن: ما حصل،حصل ولا علاج له وليس لنا قدرة على التغلب عليه، لكن بالنسبة اليكم أيضا هذا ليس مقبولا منكم فهذه الوضعية لاتحتمل ولاتكثروا من زياراتكم الى هذا وذاك، ومع انها كادت أن تعجز عن الكلام بسبب البكاء استمرت في كلامها قائلة بحدة: ماذا سيحصل إن لم تخرجوا يوما واحداً فليس ذلك إثما يااماه؟.

كانت ثرشنط واجمة ومهمومة القلب وعيناها مغرورقتان بالدموع وكانت تفكر في أحوالهم حين كان الوالد حياً وكانت تتذكر والدها وبيتهم في ذلك الوقت رغم كونها آنذاك أصغر من أختها لكنها كانت تتذكر تلك الفترة لاسيما وأن أمها قصت عليهم وأخبرتهم عن محبة والدها وأوضاعهم الجيدة في ذلك الحين وكأنها حصلت بالأمس. أما ثروين التي احتبست الهموم والبكاء في حلقها فقد ثارت فجأة وقالت وهي على وشك البكاء: إذا كان الخال المسكين والعمة وأولادها قد ساعدونا يوماً أو يومين فانهم أيضا أصحاب أولاد وعوائل وهم يحجبون ذلك عن أفواه أطفالهم ويعطونه لنا. (بدأت تجهش بالبكاء بصوت عال وكأنها طفلة ثم رفعت وجهها نحو السماء) وقالت: يا الهي لم لم تقتلنا نحن أيضا مع والدنا ولماذا أذللتنا هكذا كي ننظر إلى أيدي هذا وذاك؟.

اندفعت نحوها آسكه خان باضطراب مطوقة عنقها وقبلتها وهي تبكي وقالت: (ابنتي العزيزة، فديتك بروحي لماذا تفعلين ذلك إن الله عظيم وقادر على كل شئ وثقي بأنه لابد أن يفرج عنا). ثم مسحت آسكه خان بيدها على شعر رأسها الناعم وضمت وجهها المبلل بالدموع إلى صدرها وقالت: فديتك والله سنعمل منذ اليوم وفق ما ترغبين واعتباراً من يوم الغد سأخرج سندات الطابو

وأبدأ من جديد ولن أتخلى عنه، كما سأزور (الحاج حسن سنطر) وسآخذ منه ماكنة خياطة بالتقسيط ونبدأ مع ثرشنط بخياطة الملابس وليس ذلك عارا علينا وأنت تلاحظين كيف أنك أنت المدللة تخيطين الطاقيات وتبيعينها وتحصلين على مصروفك اليومي. وكان كاوه هادئا واجما وخائفا يتمالك نفسه كي لا يبكي خافضاً رأسه وواقفا قربهما مذهولا.

كانت ثرشنط قد بدأت تبكي بهدوء وتحن على أختها وأمها وكانت في سرها تلوم نفسها وتقول ((والله ان ثروين على حق وقد خرجنا على الأصول وعلى المرء أن يعيش مرفوع الرأس ويقوم بعمل يعتاش عليه وليس في ذلك عيب وبالعكس فان عدم القيام بأي عمل وطلب الصدقة من هذا وذاك هو العيب بعينه)). وكانت تراودها فكرة أن تلزم نفسها بعمل شيئ ما وعدم القيام بشيئ آخرفي المستقبل. وتخيلت أن أمها قالت لثرشنط: هيا يا ثرشنط اجليي قدح ماء لثروين، كما سحبت ذراع كاوه وأحاطت عنقه بيدها ووضعت رأسه على صدرها ورويدا ورويداً سيطر الهدوء على الجميع.

حل العيد ومر عليهم كالأعياد الأخرى، وارسلت اليهم بيوت الأقارب والمعارف والجيران الكثير من اللحوم وما شابه وكان لديهم كيس الرز الذي أرسله اليهم الأسطه أحمد وأرسل خالهم صفيحة دهن مع السكر والشاي وملابس جديدة لكاوه وأعطى العيدية للأخت وبناتها.كما قام بعض الأقارب بدعوتهم. وعلى أي حال إنتهى العيد.

بذلت آسكه خان وثرشنط الكثير لمراعاة شعور ثروين فالذي حدث لها أثر فيهما كثيرا وظل عالقا في قلبهما لكن بالرغم من محاولتهما لم تستطيعا البقاء في المنزل اكثر من يومين غير أن مدد خروجهما كانت أقل وأقصر. وكانتا تلجآن الى مختلف الذرائع كمرضهما أو مرض أقاربهما ومعارفهما بحيث كانتا تؤثران على قلب ثروين وتجعلانها تقول لهما: ((قوما واذهبا حتى لاتعتب علينا

عمتي)) أوتقول قوما واذهبا الى الخال لتعرفا لماذا لم يتوجه الى الدكان اليوم فكاوه يقول إنه مر أمام دكانه مرتين اليوم وإنه وجد (قادر) وحده هناك وكان مرة يقول والدي متوعك قليلا ومرة يقول إنه توجه الى القرية . . قوما فان قلبي قد انتابه القلق).

***

في إحدى الأمسيات بعد عيد الأضحى بحوالي عشرين يوما توقفت سيارة أمام دار آسكه خان ونزلت منها إمرأتان وطرقتاالباب فأسرع كاوه راكضا نحوه وفتحه ورجع مسرعا الى أمه والآخرين قائلا: ((أمّاه هناك أمرأتان وسيارة صغيرة أمام الباب))، فوقف الجميع على أقدامهم ليروا مَن هئولاء. وفجأة فتحت آسكه خان ذراعيها وصاحت: ((أهذه أنت يا فهيمه خان ترى من أين جئت وكيف تذكرتنا؟))، واندفعت الأمرأتان كل نحو الأخرى وتعانقتا وهما تبكيان وتتبادلان القبل ودخلتا البيت وأدخل السائق الحقائب والصناديق والكارتونات الى الداخل.

وتسمرت أعين البنات وكاوه خاصة عندما رأوا تلك الكارتونات والحقائب، ترك السائق الأشياء وغادر البيت ودخلت آسكه خان وضيوفها البيت وبدأ كاوه والبنات بتبادل الهمس والسؤال ترى من يكون هؤلاء؟ ولأي غرض جاؤا، فقالت لهم ثروين بهدوء: ((والله يبدو لي أنني أعرف هذه السيدة وأعتقد أنني رأيتها سابقا))، وكانت تضع يدها على جبينها وتفكر، وفجأة وضعت ثرشنط يدها على فمها وبهدوء عادت الى الضحك بقوة وقالت ترى ماذا حصل؟ إذ بدأت هي وأمي بالضجيج بحيث أن عددا من الجيران مدوا رؤوسهم من النوافذ والأبواب ليعرفوا ما يحصل)). كان كاوه يضحك من كلام أختيه ويمدّ رأسه بين آن وأخر الى الأيوان ليلقي نظرة على الكارتونات والأشياء الأخرى ويقول مع نفسه ترى هل جلبوا كل هذه الصناديق لنا أم أنها تعود لهم؟.

بعد تبادل القبلات لمرات عديدة والترحيب والسؤال والبكاء والشكوى نادت آسكه خان بالحاح على أولادها قائلة: ((ثروين، ثرشنط أين أنتم هيا هيا هاتوا قليلا من الماء والشربت بسرعة وأعدوا الشاي عاجلا فان عمتكم قادمة من طريق بعيد، واستمرت آسكه خان في كلامها وأمالت رقبتها صوب الأيوان وقالت كاوه حبيبي تعال وقبل يد العمة فهيمة خان، اسرعن يا بنات)).

كانت ثرشنط مشغولة باعداد العصير أما ثروين وكاوه فقد دخلا الغرفة للترحيب بالضيوف. خرجت ثروين وبدأت هي الأخرى باعداد السماور والشاي وإذكاء الفحم.

تقدمت آسكه خان الضيوف نحوفناء الدار باتجاه حنفية الماء والحمام لغسل الأيدي والوجوه والتوضؤ.

جاءت آسكه خان الى بنتيها وابنها في الأيوان وباشارة منها دعتهم الى داخل الغرفة وقالت بهدوء: ((ياولاد ماذا نعمل، ماذا يمكننا اعداده من طعام بهذه السرعة؟)).

بدأت آسكه خان تعصر بكفها ثم رمقت ثروين بنظرة وقالت: ترى هل لدينا شيئ في البيت؟ أجابتها ثروين وبهدوء وهمس: لا والله ليس لدينا شيئ يستحق الذكر لاسيما اللحم وماشابه ولا أعتقد أن بالأمكان طبخ الرز وحده لهم.احتارت آسكه خان وقالت: ماذا أعمل أليس لدى أحدمنكم قليل من النقود كي يذهب كاوه ويجلب لهم صحن كباب على الأقل؟ فاجابت ثرشنط لا والله لاالقليل ولاالكثير ما العمل؟.

وعندما وجدت ثروين أمها محتارة ولا يوجد ما يقدمونه للضيوف توجهت نحو ملابسها وفتحت إحدى الصرر ثم عادت الى أمها وسلمتها عشرة دنانير وقالت عندي هذا المقدار إرسليه ليشترواله الاكل لهم.

فرحت أمها وقالت بهدوء وراحة: ((آه يا بنيتي سلمت يداك وعوضك الله خيراً))، ونادت على كاوه وكلفته بالتوجه الى السوق.

خرج الضيوف من الحمام وغسلوا وجوههم وأيديهم وسارت أمامهم فهيمة خان وهي ترتب أكمامها وأذيال ثوبها وتردد الشهادة، واستقبلتها آسكه خان ثم القت نظرة على الحوش الصغير وتمتمت بكلام قليل ونظرت الى آسكه خان وقالت: لاتكترثي فالمهم السلامة، حفظ الله ابنك ومتع بناتك بالحظ السعيد وجازاكم الله رب العالمين.المهم السمعة الحسنة وبقاء الرأس مرفوعا والاّتكتوين بنار فقدان فلذات الأكباد فهذا يعادل كل أموال الدنيا التي هي كقذارة الأيدي وفي النهاية لايحتفظ الآنسان سوى بذراعين من الكفن الأبيض وقبر ضيق مظلم.

وفيما كانت فهيمة خان تواصل كلامها وصلت الى الأيوان ولكن قبل الدخول التفتت نحو آسكه خان والبنات وقالت لاتفكروا باي شيئ والله لاأتناول أي طعام ليلا وحتى آمنه فانها تكتفي بالخبز واللبن ولا نتناول الاطعمة الثقيلة ليلا فالشاي يكفي ويعادل كل شيئ.

وكانت فهيمة خان لاتزال أمام باب الغرفة عندما توجهت نحو ثروين وقالت: نعم أيتها (العروس) الجميلة ضعي أمامي تلك الكارتونات وقد جلبت لكم الرغيف المعجون بالدهن وكليضة أربيل.

وكان وقع عبارة (العروس الجميلة) على ثروين شديدا وكأنها أسقطت من السطح إلى الاسفل فقالت: مع نفسها: ما هذا؟.

تم إعداد المائدة وجلس كل من الضيوف وآسكه خان وأطفالها على جانبيها وجلست ثروين قرب السماور تصب الشاي، وكانت فهيمة خان تبدو منبسطة وتنظر بين حين وآخر إلى ثروين بنظرات ممتلئة بالمزيد من الرضا والأطمئنان مع مرور الوقت.

بعد الآنتهاء من تناول الطعام ورفع المائدة دخل كاوه والبنات الى الغرفة الأخرى، بدأ كاوه بالضحك وقال: باجى ثروين ماذا قالت لك تلك المرأة؟ فاجابت ثروين بابتسامة طيبة: ((والله لاأعرف ماذا أقول إن هؤلاء العجائز يتحدثن دوماً هكذا ولا يتكلمن مع أحد دون غمز ولمز)). وضعت ثرشنط يدها على فمها بنوع من المكر وبدأت تضحك وقالت بهمس: كلا كلا النساء المسنات لايتكلمن هكذا جزافا ولاينادين أحداً بهذه الصورة، والا لماذا لم تخاطبني هكذا ؟.

بدأت الثلاثة بالضحك وكن مستغربات ومذهولات ويرغبن في أن يعرفن من هم هؤلاء ولماذا أتوا. وكانوا كلما يفاجئهم أحد، يجدون أمهم والضيفة تبكيان ولكن عندما تشعران بوجود شخص ثالث تسكتان وتمسحان عيونهما لذا فانهن كن يزددن حيرة وارتباكا.

تذكرت ام البيت بأن فهيمة خان وزوجها محمود بيط من المعارف القريبين جدا من زوجها وكان كل من محمود بيط وميرزا علي زوج آسكه خان يعملان معا وكانا كالأخوة في السراء والضراء لكن بعد وفاة ميرزا علي والد ثروين بدأ كل طرف تدريجيا بالآنشغال بمشاكله وحياته الخاصة وابتعدا عن بعضهما لاسيما أن كل عائلة كانت تعيش في مدينة وبمرور السنين ضعفت علاقتهما ببعضهما ولأن أطفالهما كانوا آنئذ صغارا فقد أصبحت علاقتهما العائلية كأنها لم تكن موجودة.

كانت فهيمة خان إمرأة نشيطة مقتدرة بعكس زوجها الذي كان رجلا خاملا ولا يهتم بأي شيئ وكما يقال لو هجر الناس جميعا المدينة لما كان ذلك يثير لديه أي إحساس ولم يكن حتى ذبابة تزوره كضيف. وفي بداية حياتهما الزوجية عانت فهيمة خان الكثير من المشاكل والازمات في هذا الصدد وكانت تحاول أن تغير من سلوكه بعض الشيئ لكن دون جدوى لذا فان فهيمة خان كانت تشمّر

عن ساعدها وتتولى مهمة سيد وسيدة البيت في العائلة وحتى عندما أصبحت أما لطفلتين وولد ظلت تتفقد دوما أمور الحاصلات والأملاك، وعاشت لفترات طويلة مع الرجال والزبائن وأصبحت كواحد منهم رغم أنها مع ذلك ومع عدم الاعتناء بالمظهر والملبس وأزيائها ذات الألوان الداكنة والبسيطة كانت محتفظة ببعض بقايا الجمال والآناقة، وكانت معروفة دوما كأمراة محتشمة وذات حياء في منطقتها، وكانت ابنتاها متزوجتين ولم يكن ولدها الوحيد قد تزوج بعد وكان قد أخذ معظم سلوكه وتصرفه من والده وكان يشبهه في عدم اكتراثه ولامبالاته. كانت فهيمة خان ساخطة على ذلك وغير راضية عنهم إذ لم يكن لديها حل لكنها كانت تثور أحيانا وتغضب خاصة بعد أن كبرت ولم تعد تحتفظ بحيويتها السابقة لكنها عندما كانت تهدأ كانت تحاور نفسها وتقول: ((ماذا أعمل لايزال – حمه – يعتمد علي لأنني موجودة فلا يهتم كثيرا بأي شيئ، أما إذا حصل لي شيئ فعندئذ سيضطر ويعود الى رشده ويدخل تحت ثقل أعباء الحياة وتحمل مسؤولياتها)).

كانت فهيمة خان تبحث منذ مدة طويلة عن عروس جيدة لأبنها حمه مثلما يتمناها قلب حمه، وكان العديد ممن يعيشون بالقرب منهم يتمنون أن يرغب في إحدى بناتهم ويختارها لكنها في كل مرة تجد فيها شيئا ما وترفضها. وفي بعض الاحيان كان ابنها ينفد صبره ويدخل في مشادة معها ويقول لها أعتقد أنك تريدين أن تزوجيني من فتاة أمية من العصر الحجري ولهذا السبب لاتروق لك أية فتاة وتجدين في كل واحدة عيبا أريد أن أعرف هل تبحثين عن زوجة لي أم لك؟.

وكانت فهيمة خان تجيبه: لاوالله ياإبني لاأريد أن أزوجك من فتاة من العصر الحجري بل بالعكس إني أميل كثيرا الى المتعلمات فانا نفسي قد أخذت قسطا مناسبا من التعليم لكنني أرغب في إمرأة تتقن فن تربية الاطفال في حضن

هادئ مليئ بالمحبة فذلك أفضل من أي وظيفة أو عمل أخر.فالمرأة عندما تتزوج وتبدأ بانجاب الاطفال واحدا بعد آخر لايجوز أن تتركهم للخادمات ويكونوا في يد شخص متخلف ويتعلموا من كل إمرأة نوعا من السلوك والتصرف فالله وحده يعرف كيف تتصرف هؤلاء الخادمات معهم وذلك كله بسبب كون الأم موظفة وتتوجه الى العمل وتقبض في نهاية الشهر حفنة من الدنانير ثم تأتي لتعطي نصفها للخادمة، هذا رغم أنه قد تجد بالصدفة خادمة مخلصة، تراعي الاطفال وتحيطهم بالمحبة مثل أطفالها لكن على العموم فان مثل تلك العوائل التي يتوجه فيها الزوج والزوجة الى العمل ويسلمان البيت بيد الخادمة تصيبها الف مصيبة ومصيبة ابتداءا من قيام الخادمة بمعاملة هؤلاء المساكين الى قيامها بالتصرف وفق هواها في البيت إلى حد أنها قد تتحول في بعض الاحيان الى خليلة وعشيقة لصاحب البيت ودون علم أم الاطفال فان الخادمة تنعم بخيرات البيت أكثر من أم الاطفال. عندها تثور فهيمة خان وتقول ربي اقطع أثر مثل ذلك المال إذا كان وراءه خراب البيوت.

تعود فهيمة خان الى كلامها وتقول أما هؤلاء الموظفون الذين ليس لديهم خدم فانهم ينهضون من النوم صباحا على عجل ويوقظون اولئك الاطفال المساكين الذين تتراوح أعمارهم بين السنة والسنتين من النوم ويجمعون الآخرين الكبار لأرسالهم الى المدرسة. كما أنهم يقومون بلف الاطفال الصغار في جو الشتاء البارد أوالصيف الحار ويضعونهم في السيارات ويوصلونهم الى دور الحضانة وما بحكمها ثم يتوجهون هم الى أعمالهم ، وبعد ذلك يعودون لتسلم أطفالهم عصرا ويرجعون الى بيوتهم وتتكرر هذه العملية يومياً. وتستمر فهيمة خان في كلامها لتقول آه أتمنى ألاّيرى أحد مثل هذه البيوت عندما يعود المرء مساءا الى بيت بارد وأفرشة غير مرفوعة وأقداح شاي لاتزال في مكانها منذ الصباح ولا توجد ملعقة طعام حار وعندئذ تتحرك المرأة على عجل ودون نظام

ولاتعرف من أين تبدأ، أما الاطفال فانهم متعبون، منهكون، جياع ويعود الزوج أيضا وهو متعب أكثر من هؤلاء ويحصل أن تبدأ مشادة كلامية ويتحول النزاع الى معركة حامية احياناً. عندئذ تضرب فهيمة خان كفا بكف وتقول مرة أخرى يارب إقطع دابر مثل هذا الراتب ، فليتناول الناس الخبز واللبن والشاي ويرتدوا ملبساً نظيفا وبسيطا وينعم المرء واطفاله بعيش هادئ فذلك أفضل من كسب الفلوس بهذه الطريقة ومن خلال بحثها تذكرت اسرة ميرزا علي وبنتيه.

لذا فان فهيمة خان ركبت السيارة مباشرة وتوجهت الى السليمانية لطلب يد ثروين بعد أن سمعت إطراءا لها من إحدى قريباتها وسمعت عن وقارها وهدوئها ورزانتها لاسيما وانها كانت ابنة ذلك الرجل المحبوب من معارفهم القدامى، ولهذا السبب فانها وصلت دارهم وبمجرد اللقاء دخلت ثروين قلب فهيمة خان سواءا بسبب ملابسها المحتشمة أو أسلوب حديثها المتسم بالحياء والأدب.

بعد بضعة أيام عادت فهيمة خان بقلب مرتاح مطمئن الى أربيل وفرح خال وأهل ثروين بالخطبة التي وافقوا عليها.

***

انتشر الخبر بين المعارف وألأهل والعشيرة والجيران، فرح البعض وكانوا يقولون من كل قلبهم بارك الله لهم فهو رب العالمين وقد جازاهم خيراً، كما حسدهم البعض وكانوا يلوون شفاههم ويقولون: آه إنها لن تنسجم مع حماتها التي تشبه الأفعى والتي بسبب صلافتها واستئثارها بكل شيئ صيّرت زوجها الى قطعة قماش بالية بيدها يخاف منها. وآخر يقول قصر الله عمر مال وثروة كهذه التي يملكونها إذ يقال إن السيدة تعطي مصروف الجيب لزوجها وابنها وكأنهما أطفال .. أزال الله مثل هذا المال وهذه الثروة ترى ما فائدتهما. وعلى هذا المنوال انتشر في محيط معارف آسكه خان العديد من القصص والحكايات وكان الناس مهتمين كثيرا بالحديث عنهم.

انجزت فهيمة خان أعمالها كافة وتم ترتيب جميع مراسيم الخطبة والعقد والملابس والذهب.

زفت ثروين الى أربيل...و كانت سلسلة سيارات المشاركين في الزفة طويله إذ أعدت فهيمة خان زفافا لابنها لم يسبق أن شهدت أربيل والسليمانية مثيلا له منذ سنوات وجلبت لثروين من الملابس الجميلة والمخشلات مالم يكن مثلها يخطر ببالها حتى في الأحلام.

وصلت ثروين الى بيتها عند الزوج والعمة والعم، وقدعم الدفء والنكهة بيتها. ولمدة طويلة كان البيت يعج بالضيوف أو كانوا هم في ضيافة الأقارب والمعارف.

كانت ثروين نفسها فتاة جميلة خفيفة الظل حنطية اللون هيفاء ذات شعر ذهبي وقامة فارعة لكن الهموم والاحزان وفقر الحال جعلتها شاحبة ذات شعر أشعث وكانت تشبه كثيرا شقيقتها ثرشنط.

ورغم أن حياة ثروين تغيرت كليا وكان لابد أن تغير ملابسها بشكل دائمي وترتدي الملابس الجميلة وتستقبل الضيوف والناس بالابتسام وتكون في ضيافة الآخرين في كثير من الأيام إلاّأن ذلك الآنشغال لم يجعلها تنسى حتى لساعة واحدة أسرتها ولاسيما شقيقها كاوه، وعلى العموم فان من يلاحظ ابتسامتها يجد أنها لم تكن تخرج من أعماق قلبها، وهناك دائما غطاء من الحزن والهم يلف وجهها.

ورغم أن الكثيرين كانوا يحسدونها لأنها أصبحت من نصيب ذلك الشاب الوحيد الثري المشهور، لكن لم يكن أحد على علم بمكنون قلبها ونفسها وكلما تناولت طعاما لذيذا كان يقف في حلقها بسبب كاوه العزيز الذي كانت تعرف حاله الآن وماذا يتناول. ورغم أنه بسبب هذا الزفاف وزيارات فهيمة خان الى أمها واسرتها تغيرت أحوالهم كثيراً وجلبت لهم من الهدايا والملابس ماغير حياتهم وأنقذهم من

احتساب المصاريف فلسا فلساً وأنعشهم لعدة أسابيع، كانت ثروين حزينة دوما وأصبحت السعادة التي دخلت قلبها مرة وكأنها ارتكبت إثما. ومن جهتها وخلال بضعة أشهر فقط غيرت ثروين حياة بيت عمها لدرجة ضاعفت محبتهم لها وخاصة عمتها فهيمة خان التي لم تكن تخطر ببالها أو ببال زوجها بأنها تغير محمداً بمثل هذه السرعة والذي كان يبادر ويتدخل في كلام امه كأن يقول: يا أمي لاتقلقي على تلك المسألة دعيها لي فغداً سأذهب بنفسي لأرى ما هي القصة. أو ليقول يا أمي أنت متعبة لاتهتمي اتركي لي تلك المهمة. وبسلوكها وتصرفها الهادئ وبعملها ووجهها المريح جعلت ثروين عمها البارد اللامبالي والقليل الكلام يقول لنفسه: يابنيتي أرجوأن يرفع الله شأنك لديه لانك طيبت أجواء بيتنا وجعلته مفتوحا. وأصبح هو منشرحا ويجتمع الجميع معا عصرا ومساءا حيث يبدأ بسرد القصص والحكايات المتعة لهم ويدخل الضحك الى نفوسهم.

***

في أحد الأيام فاجأت فهيمة خان ثروين فوجدتها تبكي بحرارة فتقدمت نحوها ولطمت نفسها قائلة يا حياتي هل تبكين. .ماذا حصل؟ أجيبيني بسرعة هل أزعجك محمد وأسرعت نحوها وضمتها الى صدرها وقالت هل يجوز أن تبكي وأنا على قيد الحياة؟ هيا أخبريني ماذا فعل محمد؟.

وخوفا من أن تتوجه عمتها نحو محمد البرئ الذي لاعلم له بشيئ قالت بخوف واضطراب: لا والله ياعمتي لم يفعل محمد أي شيئ لكني كنت مهمومة وحزينة، وانفجرت مرة اخرى ببكاء عميق نابع من القلب.

ارتبكت فهيمة خان وتوجهت نحوها بلهفة مرة أخرى وقالت: يابنيتي لماذا، لماذا لاتخبرينني لم أنت مهمومة هكذا؟ وأخيرا أجبرت فهيمة خان، ثروين أن تكشف لها بأنها تحن إلى أهلها وخاصة شقيقها كاوه وأن قلبها مشغول به لأنهما كانا منسجمين كثيرا وكانت هي وحدها ترعاه وتهتم بكل أموره.

حزنت العمة وطوقت عنقها وقالت: ((وهل يحتاج ذلك إلى هذا الحزن، ذلك هو كاوه العزيز فهو لايبعد عنا سوى بضع ساعات، غدا صباحا بالتحديد نركب سيارة أنا وأنت ونذهب إليهم)). واستمرت فهيمة خان في كلامها وقالت: وإذا أحببت فاننا سنجلبه معنا وننقله إلى مدرسة هنا ليكون قريبا منك إذا كنت مطمئنة بأن آسكه خان تستطيع العيش بدونه. مسحت ثروين عينيها وأسرعت نحو عمتها مطوقة اياها بذراعها وقالت: ((روحي فداك ليت الأمر كان هكذا .. فوالدتي تستطيع ذلك لأن كاوه منسجم معي اكثر من أمي)). ارتجفت شفتا ثروين وتدلتا بسبب البكاء وقالت بحلق مختنق: ((هو الآن أيضا متضايق بسببي لذا فان قليبي مشغول به)). وبابتسامة رقيقة قبلتها فهيمة خان عدة مرات وقالت: ((بعون الله سنكون غدا او بعد غد في مثل هذا الوقت في السليمانية)). ومررت يدها على شعر ثروين وقالت باخلاص: ليكن قلبك مرتاحا واطمئني اذهيي الان واغسلي وجهك بسرعة إذ لاأحب أن أرى الدموع في عينيك.

وبعد يومين وصلت ثروين وعمتها الى السليمانية محملتين بالهدايا ومكثتا فيها أربعة أيام وتم نقل كاوه من مدرسته في السليمانية الى احدى مدارس أربيل وانتشر الهمس واللغط بين الجيران والآهل والأقارب والمحيطين. واحدة تقول:" سبحان الله ياأختي، وكأن ثروين تحمل تعويذة، لاحظي كيف إنها غيرت المرأة الجندرمة وكأن روحها تحوم حولها من شدة الحب."

وثانية تقول: يابنية يبدو أنك لست على أى إطلاع اذهيي واطلعي على نطاقها وحزامها فهي لاتستطيع ان تتحرك بسبب مافيهما من ذهب. ياإلهى ألم يوجد شخص آخر في هذه المدينة غير هذه الذبابة الميتة لتمطر عليها مثل هذا الدلال وهذه النعمة، فقد كان وجهها عبوسا دائما ينهمر الحقد والغضب منه وكانت منزوية في القبو الداخلي مثل متوحشى الجبال. وكان

هناك من يرفع رأسه الى السماء ويقول: آه ياإلهي فديتك بروحي صحيح إنك أرحم من الاب والأم ولهذا فانك فتحت الابواب أمام هذه العائلة المنكوبة وجازيت هذه الفتاة المحترمة الصامتة بهذه الطريقة.

أخذت فهيمة خان وثروين كاوه ثم عادتا الى أربيل وبعد ذلك تغير حال ثروين تماما ولم يبق في قلبها شيئ سوى محبة أخيها وكانت تشكر الله دوما وجعلت من نفسها عجينة بيد عمتها وكانت تستجيب لها مثلما تريد وترغب وتحاول بكل ما أوتيت من رغبة رعاية رغبات عمتها وارضاءها.

أما آسكول خان وابنتها ثرشنط فقد خلا لهما الجو بعد عودة ثروين وفهيمة خان وأخذ كاوه معهما ولم يعد هناك من يسألهما لماذا تتجولان الى هذا الحد؟ ولم يبق أحد ليسألهما أين كنتما ولماذا تأخرتما هكذا في العودة، كما لم يعد لهما ذلك الهم الذي يجعلهما في وضع قلق، لتعودا بسرعة الى البيت ولتقولا ماذا يأكل كاوه إذا عاد من المدرسة الآن؟ لهذا السبب فانهما في بعض الأحيان لم تكونا تعودان الى البيت لليلتين ونهارين لاسيما وأن السفر الى أربيل وتفقد أحوال (الاطفال) دخل ضمن المنهج.

مرت حوالي السنة على زواج ثروين وخلال تلك المدة رزقت بولد جميل الطلعة مما جعل بيتهم اكثر دفئا ومتعة وأضاء دنياهم. وقد انضم كاوه الى صفوف أحباب فهيمة خان فالبسوه الملابس الجميلة وأصبح جيبه البارد دافئا.

يبدو أن طلعة ثروين كانت خيرا على بيت الأعمام لأن محصول الحبوب في تلك السنة كان ضعف السنوات السابقة، وكما يقول المثل القديم " عندما يعطي الله فان العبد يضيف اليه حفنتين".

***

وفي إحدى الامسيات كانت آسكول خان وثرشنط وريبوار سائق السيارة التي جاؤابها من السليمانية الى أربيل جالسين في إحدى المقاهي الصغيرة الواقعة

على طريق (آلتون كوثري) في الأنتظار لأن سيارتهما أصيبت بعطل وكان السائق قد أرسل في طلب أحد مصلحي السيارات لمساعدته.

لم تمر مدة طويلة حتى وصلت سيارة جديدة وجميلة تشبه الفرس الاصيلة وتوقفت أمام المقهى وكان فيها شاب طويل القامة ضعيف البنية يميل الى السمرة في الثلاثين من العمر يرتدي الملابس الكوردية وخرج من السيارة وتوجه نحو الجالسين في المقهى والقى التحية عليهم فرد عليه معظم ركاب السيارات الأخرى وحياه بعضهم الذين كان يبدو أنهم يعرفونه اكثر بحرارة وتبادلوا معه التحايا. جلس الشاب وطلب استكان شاي واندمج في الحديث مع الجالسين وألقى كل منهم بحديث وقص لهم الشاب بعض الاحاديث اللطيفة مما أدخل البهجة في قلوب الكثير من المسافرين وقد بدا أنه شخص طيب المعشر.

بعد شرب الشاي والاستراحة نهض الشاب وبعد أن عرف أن إحدى السيارات عاطلة توجه الى سائقها وقال:" سيارتي فارغة ومن يتفضل معي فانى على استعداد وأتوجه الى أربيل." فأجابه سائق السيارة العاطلة: "أشكرك كاكه شوان كثيرا إذا كان بالامكان إيصال هاتين الاختين معك الى أربيل أما نحن الرجال فلا بأس علينا إذ لايخلو الأمر من صعوبة لهاتين الأختين لاسيماوأن الليل كاد ان يحل.

أجاب شوان قائلا: على الرحب والسعة ويوجد مكان لهذا الأخ وطفله، فقال والد الصبي ذي السنوات العشر ! أشكرك كثيرا ياعزيزي إن أمتعتي كلها مشدودة على السيارة ولم يبق أمامنا الكثير من الطريق نحن نفضل البقاء، شكرا جزيلا.

نهضت آسكه خان وثرشنط وحملتا حقيبتهما الصغيرة واستودعتا الجالسين وتوجهتا نحو السيارة. وقام صاحب السيارة الذي كان كتلة من الادب والاحترام

بفتح باب السيارة فصعدت الأم وبنتها وهما تلهجان بالشكر والدعاء وانطلقت السيارة وهما جالستان في المقعد الخلفي للسيارة.

بعد بضع دقائق كسر شوان الصمت وقال: يا أهلا وسهلا بكما ودون أن يلتفت أو يدير عنقه أكمل كلامه قائلا: ألا تتفضلون بالتدخين؟. طوت آسكه خان شفتها بطريقة عصرية وقالت: لاوالله اطال الله عمرك، لاتدخن أي منا.

بعد دقائق أخرى من الصمت استأنف شوان الكلام قائلا، يا أهلا وسهلا بكم، سيارتكم جديدة ترى لماذا تعطلت؟ ثم قال بابتسامة: ((الحمدلله انتم محظوظون لأن سيارتكم تعطلت قرب هذا المقهى)). بعد ذلك انطلق شوان في سرد قصص كهذه وكيف أنه حصل له مرة في طريق كويه مثل ما حصل لهم هنا وكيف أنه صادف فيضانا عارما بين بغداد وكركوك وكَيف أنه اضطر الى المبيت في تلك الصحراء الى الصباح. وهكذا بينما هو منهمك في السياقة والتدخين معظم الوقت كان يسرد مثل هذه القصص. ودون أن تشعرا اندمجت آسكه خان وثرشنط في مثل هذه الحكايات وأحيانا كانتا تنطلقان في الضحك بسبب كلام الأخ السائق لأن احاديثه كانت طريفة وكان يقص قصصاً وأحداثا طريفة تجبرهم على الضحك. ورغم أن آسكه خان وثرشنط كانتا تريدان أن تظهرا وقارا كثيرا دون أن تضحكا إلا أنهما لم تكونا قادرتين على السيطرة على نفسيهما.

وأخيراً اقتربت السيارة من أربيل وظهرت المصابيح والأنوار والاعلانات الضوئية على أطراف المدينة فطلب منهما شوان أعطاءه عنوان المكان الذي تتوجهان اليه واسم المحلة كي يوصلهما، فقامتا باعطائه عنوان منزل فهيمة خان. سحب شوان نفساً عميقا من سيطارتة وقال: آه هل يوجد من لايعرف بيت فهيمة خان ومحمود بيط، كاكه محمد صديقي كثيرا، وكثيرا ما يتهرب من الطعام اللذيذ الذي تعده فهيمة خان ويأتي إليّ ونتناول الطعام في المطعم معا، كذلك أنا كثيرا ما أتوجه اليهم لتناول الطعام. حقيقة إنهم أناس طيبون ..

تدريجيا مع سرد هذه القصص وصلوا الى داخل المدينة وتوقفت السيارة أمام دار فهيمة خان ونزل الجميع. دخل شوان أيضامعهما الى الدار فرحبوا بهم واستقبلوهم بحرارة. وبعد سماع قصة عطل السيارة شكروا شوان كثيرا و ودعوه بحرارة الى الباب.

***

كانت مدة طويلة قد انقضت على عودة آسكه خان وثرشنط الى السليمانية. وبعد ظهر أحد الأيام طرق أحدهم الباب وصدفة كانت آسكه خان وبنتها في البيت في ذلك اليوم، وفي الصباح كانتا قد نظفتا البيت واستحمتا وجلستا.

تم فتح الباب وكانت إحدى السيارات واقفة أمامه فنزلت منها إمرأة فارعة القوام ذات ملامح جميلة تفوح منها رائحة عطرة مع إمرأتين أخريين وسأل سائق السيارة هل هذه هي دار ميرزا علي؟ فأجابت آسكه خان: نعم، تفضلوا من تريدون؟ فقالت السيدة الآنيقة بوجه بشوش وبغنج وهي تتقدم: والله نريدكم أنتم، هل تقبلون الضيوف؟.

مدت آسكه خان يدها الى رأسها وحجابها وقالت بنوع من الاستغراب ((تفضلوا تفضلوا أهلا وسهلا بكم، يكفي أن يقبل بنا الضيف .. أهلا به وعلى الرحب والسعة)).

دخلت السيدة الآنيقة والسيدتان الأخريان واستقبلتهما ثرشنط بخفة دمها ونظافتها وكأنها خرجت للتو من الحمام ورحبت بهن وتبادلت هي وأمها نظرات الاستغراب، ترى من يمكن أن يكون هؤلاء؟ لم تتركهما السيدة الأنيقة تفكران كثيرا وقطعت خيالهما وعرفتهما بنفسها قائلة أنا إسمي (شكره سيو) أخت شوان الذي أوصلكم تلك المرة إلى أربيل.

مرة أخرى رحبت بهن الأم وبنتها واهتمتا بشكل خاص بالسيدة الانيقة وسألتآها عن صحة أخيها كاكه شوان وشكرتاه على المعروف الذي أسداه لهما

تلك المرة، لكن الأم وابنتها وقفتا إزاء إسم (شكره سيو) وانشغل رأساهما به، كل واحدة كانت تتساءل في عقلها ترى ماذا يمكن أن يكون هذا الاسم العجيب وياترى كيف اختاروا لها اسمها هذا، وهل يمكن أن يكون مثل هذا الاسم متداولا في مدينتها؟. إمرأة كبيرة عمرها حوالي الأربعين عاما واسمها شكره سيو، والله الاسم عجيب. على أي حال لننتظر رحمة الله ونعرف بعد ذلك من أين جاءت هذه ولماذا؟.

مرة أخرى بدأت ثرشنط وأمها بالحركة جيئة وذهابا حول ماعندهم وماذا ستقدمان للضيوف وماذا ستطبخان لهم وكلما كانتا تقتربان من بعضهما كانتا تتساءلان بالهمس بينهما. وقربت ثرشنط فمها من أذن أمها وبضحكة خافتة قالت: أماه أليس إسم شكره سيو هذا عجيبا لديك؟ فضحكت أمها مثلها وقالت: ماذا عساي أن أقول يابنيتي، ها قد أبيض شعر رأسي وهذه أول مرة أسمع باسم كهذا ... لقد سمعت بان الطفل الرضيع ينادونه من باب المحبة بالسكر والنبات، لكن لم أسمع أن سموا سيدة كهذه بانها شكره سيو أي التفاح الذي له مذاق السكر، لكن أن تسمى هكذا فلم أسمع به وقالت بسرعة وبهمس قد تجري التسمية هكذا في أربيل وتلك الأطراف، فضحكت ثرشنط وقالت بهمس مع هذا ليسترنا الله ونعرف لماذا جاءت هذه الـ(شكره سيو) وهذه السيدة ذات الشفة السكرية، وبعد ذلك توجهت كل واحدة منهما الى عملها بسرعة.

بقيت (شكره سيو) عندهما الى وقت متأخر من الليل وأقنعتهما ألاّ تكتفيا باستعذاب اسمها بل أن تغرما بحديثها وغنجها وأن تصغيا الى حديثها العذب وتتمنيا ألا ينتهى مجلسهن وحببت نفسها اليهما بحديثها اللذيذ بحيث عندما أخبرتهما أنها جاءت لتخطب ثرشنط لاخيها شوان وتقول بثقة بانها تتمنى أن تكون من أقرباء واحدة مثلها وكانت تتمنى في قرارة نفسها ان تستطيب ثرشنط ذلك وترتاح له وتقول في سرها: ترى ماالذي يكون أفضل أن اصبح كنة

لسيدة مثل هذه وزوجة شاب مثل شوان، ومن خلال فرحتها فهمت شكره سيو ذلك وادركت من بشاشة وجهها بانها راضية ومرتاحة لذلك وهكذا تمت الخطوبة.

وفي وقت متأخر من الليل عندما كان النوم يغالبهم تثاءبت شكره سيو مرتين أو ثلاث ومدت بدلال يدها إلى خصرها وظهرها وتمايلت يمنة ويسرة وقالت: حان الوقت لنقوم ونعود إذ لم نحس ان الليل متأخر جداً ورغم أن ثرشنط وأمها حاولتا اقناعها بالمبيت لديهما إلاّ أن شكره سيو قالت: والله نود ذلك كثيرا لكن أقرباءنا ينتظروننا ووعدنآهم بالمبيت عندهم الليلة.

بدأت شكره ورفيقتاها بالاستوداع وعدن الى بيت قريبهن.

***

ظلت ثرشنط تتقلب في سريرها وقد تشتت خيالها بحيث أصبحت في دوامة هذه السيدة الماكرة ذات الغنج والدلال وكانت تفكر في هذه الخطوبة الفجائية وهذه الموافقة و الوعد الفوري الذى أعطته وأمها ... ياللهول! كيف رضينا هكذا ببساطة من تلقاء أنفسنا ودون الاستفسار من أحد أقربائنا ومعارفنا أو أصدقائنا لنعرف من هم هؤلاء وماهي أحوالهم وأوضاعهم؟.. هكذا وبدون تبصر صدقنا تماما بكلمتين من تلك السيدة وقد أنستنا بلمعان وبريق مخشلاتها وملابسها وسيارتها وكلام أخيها كل شيئ ... ليس هذا هو الأساس فالله وحده يعرف ماهية سلوكهم وتصرفاتهم وشهرتهم لدى الناس، فالمال ليس وحده هوالاساس وقالت في نفسها: ((وثم ماذا حصل؟ ليس الأمر إجبارا سوف نسأل من هذا وذاك ومن أسرة فهيمة خان، إذا لم يرق لنا الأمر لن أقبل وسوف نفسخ الخطوبة)) وبعد لحظات تعود وتقول: لا ..ما عيبهم هؤلاء المساكين يبدو من ملامحهم انهم طبيعيون، ألم تستقبلهم أسرة فهيمة خان ورحبوا باخيها وشكروه كثيرا ..دعينا من هذا كم رحب بهم أهل المقهى واستقبلوا شوان بحرارة

واحترموه .. إذاً فهذا بعثه الله لنا، ودعيني مثل ثروين أنقذ نفسي من هذا التقتير .. لقد مللت وإلى متى أبقى هكذا؟ .. والله حسنا فعلت عندما استقبلتهم بوجه بشوش ولم اعارض.

وكذلك آسكه خان فانها تماما مثل ابنتها كانت مستلقية في سريرها على أساس أنها نائمة لكنها في الحقيقة كانت مشوشة الفكر وفي دوامة التردد وتلوم نفسها. ياللمصيبة لماذا وافقت بهذه السرعة فالأنسان حتى لو كان يبيع ويشتري الخيار والبطيخ لابد أن يهتم قليلا بالاختيار ..ماذا حصل؟.

لقد وضعت المخشلات الذهبية مثل الأساور والقلادة وغيرها التي كانت ترتديها هذه السيدة الغشاوة على عيني وكأنني لم أملك منها شيئا أبدا أو لم أرها مطلقا عند أحد، هذا هو السبب الذى جعلَني تحت تأثير لمعان وبريق الذهب والمخشلات والقهقهات والضحك وبدون أي تفكير أهب هذه الأبنة العزيزة .. ياللهول شلّت يدي على الاقل كان علي ان اقول: دعونا نفكر ونسأل خالها والأخرين .. ياترى بأي عين سينظرون الى ابنتي مستقبلا فربما يجعلون من هذه الموافقة نقطة ضغف يواجهون بها ابنتي.

بدأت شفتا آسكه خان ترتجفان تحت اللحاف واعتصر قلبها وقالت في نفسها:"أين أنت ياميرزا علي، هذه هي ابنتك وقد فقدت الدلال وبسبب الفقر وانعدام المال استقبلنا كلام تلك السيدة التي لم نكن قد رأيناها ولانعرفها وتلقفناها وكأننا عثرنا على خلية نحل في جوف شجرة". وبعد الأرق وعدم الاستقرار والتقلب في الفراش تشهَّدت وقالت : ياويحي لماذا جعلت الدنيا تضيق على وسعها؟.

ماذا حصل هل يمكن أن يأخذوا مني إبنتي عنوة؟ إذا لم نجد أنفسنا مرتاحين لاأعطي إبنتي وهذا هو كل ما في الأمر.

في الصباح الباكر نهضت ثرشنط وأمها ولملمتا نفسيهما ذلك لأنه وحسب ما تقرر ليلا كان من المفروض أن تعود شكره وأخوها اليهم كذلك خالها وبعض ألاقارب المقربين. سلّمت ثرشنط على أمها بعبارة (صباح الخير) وضحكت وقالت: أماه ماهذا الذي حصل في الليل؟ هذه السيدة داهمتنا مثل الطوفان والرياح العاتية وجرفتنا وطوقتنا وبسرعة أطعناها ووعدناآها دون أي تفكير أو سؤال من أحد.

أجابت أمها بحزن وبنوع من الشعور بالاحراج: والله انك على حق ياابنتي تلك السيدة أنستنا كل الدنيا بحديثها وكلامها المعسول وخدرتنا بحيث أصبحنا نبدو كأننا مخدرون واقعون تحت تأثير السحر.. ولملمت نفسها قليلا ونظرت الى ابنتها بثقة وقالت: نعم بسبب كونها ضيفة، لم نشأ أن نقول مايتعارض مع مشاعرها .. وهذه الكلمات لايركن اليها والمسألة لاتنتهي بالاكراه .. ماذا تقولين أنت والله لاأبدل شعرة واحدة من رأسك بكل أملاك الدنيا فدتك روحي لاتدعي قلبك يوسوس.

وبحلق يغصه البكاء أسرعت نحو ثرشنط وضمتها الى صدرها وقبلتها ثم تركتها وتوجهت بهدوء نحو الحمام. كثر الزحام قبل الظهر في بيت آسكه خان وامتلأت غرفتهم بالضيوف.

كان كل من شكره وأخيها جالسين جنبا الى جنب وجلبا أربعة أشخاص آخرين معهما، وفي الجزء الأمامي من الغرفة كان خال ثرشنط واثنان او ثلاثة من الأقارب وأولاد العم والعمة جالسين، وعند زاوية التنور والحوش الصغير كانت اثنتان من النساء القريبات انشغلتا باعدادالطعام وثرشنط تساعدهما وبين حين وأخر كانت آسكه خان تتوجه الى الضيوف لتجلس معهم وأحيانا كانت تتفقد زاوية التنور.

أما شكره فقد أسبغت على نفسها المزيد من الحلاوة وكانت تبدو بمكرها ودلالها مؤهلة كما يقال لأخراج رجل الدين من الجامع وجعلت ضيوف تلك الجلسة الذين كان أكبرهم وأكثرهم وقارا هو خال ثرشنط المعروف بتدينه وبكونه أنه عندما تزور النساء والبنات محله ويشترين منه حاجة لم يكن يتسَلم منهن الفلوس ويطلب منهن وضعها في إحدى الأواني حتى لاتمس أيديهن يده، استطاعت شكره جعله وهو منشغل بالحمد والتسبيح ينظر الى صدرها وياقتها ويطلب التوبة ويقول في قلبه استغفرالله ويصغي الى حديثها ويرددفي أحيان كثيرة أن الحديث لابدأن يكون هكذا ويقول مع نفسه في الحقيقة انها امرأة عاقلة وحصيفة وماهرة ولم تكتف شكره بالخال بل جعلت شخصا أخر مثل سردار ابن اخت آسكه خان الذي كان يعمل موظفاً في إحدى دوائر الدولة وهو رجل مثقف وذو خبرة يقول في نفسه: ياناس مابال هؤلاء الناس الذين يلفقون التهم للآخرين ويسيئون اليهم والله ان هذه المرأة أنسانة محترمة ومدركة وعاقلة وتتحدث بكلام مقبول ومعقول وقد أتيت أنا لأرجو خالتي ألا يعطوا ابنتهم لهؤلاء لأنهم أناس ذوو سمعة سيئة وتلك المرأة ذات طباع سيئة جدا كما يقولون، لكن شكره سحرت سردار بصورة جعلته يقول في نفسه حسنا فعلت إذ لم أقل شيئا لخالي وخالتي، هذه كلها بسبب هؤلاء الأوباش الذين يتوجهون الى السفرات والنزهات وعندما يعودون يبدأون بالادعاءات ويتحدثون بسوء عن الآخرين.

غمرت إبتسامة وجه سردار ونظر الى صدر ونهدى شكره النافرين وياقتها ورأسها ورقبتها وقال مع نفسه كذبك الله ياعوسه (٥) ومزقك بسبب أكاذيبك إذا كانت لك الجرأة أوتجاسرت بالمرور أمام هذه المرأة المرتبة فكيف بالادعاء بانك نزلت ضيفا عندهم لليلة في شقلاوة وشجعتك لتعصريدها وتقبلها عدة قبلات وكنت مستعجلا ولو بقيت لديهم يوما آخر لكانت تعدك بأشياء أخرى!!.

على كل حال وبعد الكثير من التردد والضجيج والسؤال والجواب قبلت ثرشنط وأهلها أخيرا أن يتم هذا الزواج.

بعد فترة قصيرة من هذه الموافقة عادت (شكره سيو) محملة بالحقائب والأكياس المليئة بالمئون ومبلغ من المال الى السليمانية وزينت العروس وكانت قد جلبت عددا كبيرا من الناس معها وأمتلأ فناء الدار والأيوان وغرف بيت آسكه خان مما اضطر بعض المحتفلين الى الاقامة في بيوت الجيران، وأخيرا زفت العروس، وتوجهوا الى أربيل التي وصلوها عند المساء، ونزل الجميع متعبين وقد تغيرت ملامحهم لاسيما أولئك الذين لايتحملون السفر بالسيارة.

استقر الناس في بيت شكره داخل الصالة الكبيرة وفناء الدار والغرف، وبعد قليل من الاستراحة شمرت شكره عن ساعدها وبكل غنج ودلال ووجه بشوش والبسمة على شفتيها وقفت على قدميها وبدأت بالاشراف على راحة المحتفلين والأهتمام بأماكن إقامتهم وترتيب طعامهم وموائدهم. وارتدت شكره ملابس كوردية جميلة جدا وأعدت شدّة لرأسها مزدانة بمختلف المخشلات الذهبية الكوردية كاللاطيرة والسرشرضم (٦) وغيرها وكانت تليق بها كثيرا. وكانت قامتها وقدها وحزامها وصدرها ونهداها العامران تخلب ألباب الناس لاسيما الشباب والرجال والضيوف المحتفلين ذلك لأنها كانت تتردد عليهم كثيرا بحجة التأكد من عددهم واحتياجاتهم ثم تبدأ بالحديث اللطيف وسرد النكات، وبالمقابل كان بعضهم منسجماً مع هذه النكات، واخرون يضحكون بفرح جراء كلامها الرقيق الواضح. وبعض آخر كان يقول في نفسه: في الواقع يجب أن تكون المرأة هكذا لامثل نسائنا اللواتي يصل صياحهن وصراخهن الى أعماق المحلة وتفوح منهن رائحة الدهن والبصل المحمر والمطبخ. أما بعضهم الآخر فانهم كانوا في السرّ والعلن يبدأون بتخيل شتى الأمورتجاه الداده شكره و كانوا يتناسون أن زوجاتهم متعبات بسبب الاعمال المنزلية وتربية الاطفال وتدبير الأمور المعاشية

والهم الأبدي حول كيفية ملأبطون سيدهن واطفالهن وخدمة البيت والضيوف، بينما يرجعون هم الى البيت ليجدوا كل شيئ جاهزا، ولهذا السبب فان رائحة الدهن والبصل تظل تفوح من نسائهم.

ورغم أن الصدفة هيأت لهم فرصة تبادل النظرات والتخيلات وإمتاع النظر برؤية شكره التي كانت تتردد بين حين وآخر على ثرشنط لتسألها عن احتياجاتها وتشكرها هي بالمقابل وتقول إنها لاتحتاج شيئا، جاءت شكره في إحدى المرات وقالت: عزيزتي العروسة ألا يؤلمك رأسك لنجلب لك شايا حارا منعشا، وعندما جاؤا بالشاي قدمته شكره بنفسها اليها أخذتها منها ثرشنط باستحياء ولم تمر الالحظات بعد تسلمها الاستكان ورفعه الى فمها حتى بدأت شكره بالمزاح والضحك الذي لامثيل له وتقول: ياناس هل رأيتم كيف أن عروسنا أمسكت بالاستكان وبدأت تشرب الشاي . . مرحى . . بالله كنت أعتقد أن الاستحياء والخجل وتعب الطريق قد سد مشتهاها ولا تذوقه، فقهقهت شكره وقالت: مرحى وشكرا لله فان عروسنا هي بنت هذا العصر، ومنذ تلك اللحظة استمرت شكره تضخم الاحداث الصغيرة وتجعلها كبيرة وتبني عليها العديد من النكات وتدفع الناس الى الضحك . . وعموما كانت على هذه الصورة في كل مكان. وعندما كانت تنطق بكلماتها وتتحدث عن كيفية شرب الشاي من قبل ثرشنط كان بعض المشاركين في العرس يهزون رؤوسهم ويقولون مع أنفسهم: يا الهي هذه ليست إمرأة عادية بل بلاء إلهي لاحظوا أي ضجة أثارت وكيف أحرجت العروس الشابة، وكان آخرون يسدون أفواههم وينفجرون من الضحك.

وهناك بعض النساء الأخريات اللوأتي كن يجلن بانظارهن معها لأنها كانت تكثر من التردد على أماكن وجود أزواجهن وكن على وشك الآنفجار من الغضب لاسيما هؤلاء النساء اللاتي كن يعرفن أن أزواجهن لامانع لديهم في

السهر مع إمرأة مثل شكره سيو الى الصباح ليتبادلوا معها النكات ويضحكوا معها ويداروها.

أما زوج شكره سيو فقد جلس على صدر المجلس كالخرقة البالية يضحك من أحاديثها اكثر من الأخرين ويطرح نفسه على الظهر وضحكاته تعلو ضحكات الأخرين ولم يكن يهتم بأي شيئ سوى أن ترضى منه شكره وتعيش معه حتى يمتع نظره بقدها وقامتها. وما عدا ذلك فانه كان يغض النظر عن كل شيئ وكأنه لايرى ولا يسمع.

والمعروف عن شكره انها تصرف النقود بمنة ويسرة وتمرح ولم تقم بما يزعج قلبها وكلما ظهر ثوب جديد واشترى منه الأخرون نوعا واحداً كانت تشتري منه خمسة أنواع مرة واحدة، ومن جهة أخرى فانها كانت مرتاحة البال لأنها لم يكن لديها أطفال بسبب نقص في زوجها لذا فانها كانت تقضى أوقاتها وفق هواها دون أن يجرؤ الزوج على أن يقول لها على عينك حاجب.

***

وعلى الرغم من أن ثرشنط قد أشتهرت في السليمانية كفتاة متحررة كثيرة التجوال فان روح النكتة وغنج ودلال شكره سيو في هذه الأمسية كانت ثقيلة عليها ولم ترق لها لأنها شخصيا كانت تقوم بمثل هذه الامور مع نساء وبنات الاصدقاء والمعارف لكن انطلاقة اخت زوجها العزيزة هذه بين هؤلاء الرجال ذوي النظرات الحادة والأولاد الشباب كانت شيئا مختلفاً أصابها بذهول تام جعلها تقول لنفسها: ياربي كيف لي أن أعيش مع هذه الأمرأة الافاقة وأسكن معها في البيت نفسه وكيف جعلتنا أنا وأمي بلسانها وكلامها المعسول نقول لابأس لسنا بحاجة إلى بيت منفصل ونعيش معها في بيت واحد خاصة عندما قالت يخرج الرجال في النهار للبحث عن كسبهم وماذا ستفعلين وحيدة في البيت وقد

جعلتنا ممتنين لفضلها هذا معنا وسماحها لي بالعيش معها في البيت ماذا أستطيع أن أفعل علىّ أن أتحمل.

مرّ أسبوع ثم أسبوعان على وصول ثرشنط وقلّت بالتدريج زيارات المهنئين والمعارف ودعوات الضيافة واستقرت ثرشنط في بيت شكره خان .

في أحد الصباحات وبعد تناول الفطور نهضت شكره واقفة ورتبت هندامها وجاءت الى ثرشنط وقالت: عزيزتي العروسة ها قد انتهى الضيوف والاحتفالات وأنت تعرفين كم تعبت أنا خلال هذه المدة لذا يجب علي أن أخرج لزيارة بعض الاقارب المرضى لكنني لن أتأخر من أجلك وسأعود عاجلا ثم مدت يدها بدلال وغنج الى التلفون وقالت: هذا التلفون بين يديك و(الثلاجة) مليئة بقربك . . ثم أستودعك الله.

أجابتها ثرشنط بحرارة وقالت: في أمان الله ومع السلامة لاتنشغلي بشأني وعودي متى ماشئت . . ومرة أخرى إستودعت شكره ثرشنط بحرارة وأكدت لها بانها لن تتأخر كثيرا. وبعد أن بقيت ثرشنط وحدها قامت وانهمكت في ترتيب البيت ثم صبت استكاناً من الشاي لنفسها وجلست على أحد الكراسي ووضعت يدها تحت ذقنها وغرقت في التفكير بحالها وبمستقبلها.

رغم أن هذه السيدة لها بعض الاحاديث والنكات الباردة جدا وكثيرا ما تحرج الآخرين إلا أنها كما تبدو ذات مبسم ضحوك وقلب طيب. ثم أخذت رشفة أخرى من الشاي وقالت في نفسها بابتسامة:

ها أنا الآن مقيمة لديها مؤقتاً بعض الوقت. كذلك فكرت ثرشنط في شوان وبابتسامة رضا قالت في نفسها: والله هوالآخر ليس سيئا، وعيبه الوحيد هو أنه مزاجي فبعض الأحيان تقطر منه المحبة والأهتمام وبعض الاحيان يتكلم كلاما فارغا ودعابات لامعنى لها مثل أخته أويبرم شفته ولا ينطق نهائيا وكأن سفنه قد غرقت.

بعد هذا التفكير نهضت ثرشنط بارتياح وحملت استكانتها الفارغة واتجهت نحو المطبخ وقالت: لأعدّ شيئا للغداء لتناوله معا عند عودة شكره خان.

وضعت الطعام على النار وأنهت الاعمال الصغيرة وجلست تنتظر شكره خان. أصبحت الساعة الثانية بعد الظهر ولم يظهر أثر لشكره، وبلغت الساعة الرابعة لم تتحمل بعدها ثرشنط فقالت: لأتناول أنا شيئا إذ ربما تناولت هي الأخرى شيئا الآن، ولم تظهر شكره حتى حوالي التاسعة مساءا حيث سمعت صوت المفتاح في الباب فدخلت شكره وهي تضحك وبلهفة حارة واعتذار وتحجج شديد قالت: اعذريني ايتها العروس العزيزة صادفتني ورطة إذ مرض أحد أقربائنا ونقلوه بسرعة الى المستشفى فبقيت معه حتى الآن. فاجابتها ثرشنط بحرارة: حسنا فعلت جزاك الله خيرا وانشاء الله يتماثل المريض الى الشفاء سريعا.

كانت شكره لاتزال تَحمل عباءتها في يدها وتتمايل بغنج ودلال يمنة ويسرة وكأنها جلست كثيرا فخدر جسمها وقالت: لأذهب أنا أيضا وأبدل ملابسي وآخذ قسطا من الراحة. وفي اليوم التالي بعد تناول الشاي نهضت شكره مرة أخرى ونظرت نحو ثرشنط وقالت: حبيبتي العروس، بسبب مرض أحد أقربائنا لم أستطع إنجاز أعمالي يوم أمس بشكل تام لذا يتحتم علي أن أخرج اليوم أيضا مرة أخرى. وبينما كانت ثرشنط تجمع بقايا الفطور من خبز واستكانات توجهت شكره الى الحمام وثم دخلت غرفتها وخرجت بعد قليل وقد رتبت نفسها بشكل يبدو وكأنها متوجهة نحو عرس أو عرض ازياء فكل جسمها كان يلمع ورائحة العطر تفوح في كل اتجاه، وقالت وهي ترتدي العباءة، في امان الله أنا ذآهبة وإذا تأخرت فلا تقلقي، مع السلامة.

أما ثرشنط المستغربة من كل هذا التزويق الصباحي والمتعجبة من الأمر الذي يحتاج الى كل هذا التلميع نظرت الى شكره وقالت: حسنا في أمان الله، لكن ربما سأتوجه أنا أيضا للسوق ومن هناك سأذهب الى دار أختي ثروين. ولأن

شكره كانت مستعجلة للخروج فانها برمت شفتها وقالت: حسنا إفعلي مايحلو لك ثم خرجت.

تعجبت ثرشنط من جواب شكره لكن لأنها كانت قد تعودت على مثل هذه الاجوبة بحكم الاضطرار فانها هي أيضا توجهت لتعد نفسها للخروج.

أمضت ثرشنط فترة طويلة داخل السوق والتجوال بين المحلات ومن هناك توجهت نحو أختها ثروين فاستقبلتها أختها وعمتها وبقية الساكنين في المنزل بحرارة وفرحوا كثيرا بزيارتها ولم يسمحوا لها بالعودة الى منزلها حتى قدوم الليل.

وفي حوالي التاسعة ليلا عادت ثرشنط الى منزلها. وعندما وصلت الى البيت وأوشكت أن تفتح الباب سمعت أصواتا وجلبة. توقفت قليلا ثم قالت لنفسها: والله لم أتصرف جيدا بتأخري فربما جاءنا ضيوف، ترى ماذا يقولون عندما يجدونني خارج البيت. فتحت الباب ودخلت وبدأت تتنصت في الممر كان صوت القهقهة وضجيج الحديث وقرقعة الأواني والملاعق والشوكات متداخلة بشكل لم تستطع معه أن تفهم أي شيئ فاتجهت نحو الداخل وعندما وصلت الى فناء الدار وجدت جمعا غفيرا من الضيوف وزوجها شوان وزوج شكره جالسين في الصدارة وقد وضعت بانتظام أنواع كثيرة من الطعام على المائدة، كما وضعت قناني المشروبات والمقبلات والفواكه أمام الضيوف، وفي إحدى الغرف كان يسمع صوت عدد من الاطفال والنساء وهم يضحكون بصوت عالٍ وكان التجمع يشبه احتفالا وعرسا لاينقصه سوى الرقص والطبل والزورناى.

وصلت ثرشنط الى الجناح الكبير الجميل الخاص بشكره خان فسلمت عليهم باستحياء وكان معظم الحاضرين منشغلين بضجيجهم لذا فانهم لم يكونوا واعين لأنفسهم فكيف برد التحية فاضطرت ثرشنط الى عبور الصالة في طريقها الى غرفتها وفي هذه الاثناء لمحتها شكره خان صدفة فاطلقت ضحكة عالية وتوجهت

لاستقبالها بحرارة والتفتت الى الضيوف ايضا ومدت يدها الى ثرشنط وقالت: وهذه هي عروسنا ثم توجهت الى أخيها شوان وقالت: قم بسرعة وامسك بيدها واجلسها جنبك.

نهض شوان وألقى تحية عسكرية لاخته وقال: تأمرين ثم توجه نحو ثرشنط ليأخذ بيدها. أما ثرشنط فقد توجهت بوجوم وحرج الى الضيوف وسحبت بهدوء يدها من يد شوان وقالت بصوت غير مفهوم: آهلا وسهلا بكم اعذروني لانني لاأستطيع الجلوس معكم لكوني متوعكة نوعا ما وكنت طريحة الفراش في بيت شقيقتي، قالت ذلك ودخلت مباشرة الى غرفتها.

وظل الضيوف الى وقت متأخر من الليل مشغولين بالشرب والضحك وروايَة النكات لكن ضحكات شكره كانت الابرز بينها.

***

انقضى حوالي الشهر وكانت كل ليلة كسابقتها تقام فيها الوليمة والاحتفال. ورغم أن ثرشنط كانت تحافظ على نفسها عند اختلاطها بهم مظهرة الحجة بعد الحجة لكنها كانت تضطر أحيانا عندما يقل عدد الضيوف للجلوس معهم.

وعموما كان الحال يسير على هذا المنوال، وفي الصباح كانت تبدأ مهزلة أخرى وهي تنظيف مكان وبقايا حفلة الليل إذ كانوا عندما يستيقظون صباحا يجدون منزلا تسوده الفوضى فالأكواب والأواني انتشرت في كافة الأرجاء وكان المطبخ يبدو وكأن القطط قد خاضت فيه معركة، وشكره خان كانت تبقى في الفراش الى الحادية عشرة أوالثانية عشرة غارقة في نومها وعندما تفيق كانت تنهض وهي تدردم ثم تنقض على التلفون وتبدأ معركة مع زوجها عن سبب عدم جلب أحد لتنظيف المنزل فهي مريضة وجسمها قد تصلب ولا تستطيع القيام بأي شيئ وكانت تثير ضجة تخيف بها المسكينة ثرشنط لدرجة أنها كانت تضطر للبدء بترتيب المنزل بسرعة تجنبا للمشاكل والمعارك لكنها كانت ترتبك

دوما ولم تكن تعرف من أين تبدأ، وفي بعض الاحيان كانت شكره تأتي بنفسها وتبدأ بالآهتمام بقطعتين أو ثلاثة من الأواني وبعض الأشياء الأخرى من أجل أن تشعر ثرشنط بنوع من الخجل وتشغل هي الأخرى نفسها. وعندما تأتي كانت شكره تسحب نفسها خفية وتذهب الى الحمام وتهتم بتزويق نفسها أوتعود الى النوم بحجة كونها مريضة لكن ثرشنط كانت تغوص في العمل ولم تكن تتوقف الابعد الأنتهاء من كل شيئ واعادة ترتيب المنزل. وبعد الأنتهاء وقد أنهكها العمل وأتعبها كانت قدماها لاتقويان على حملها وكان ظهرها يؤلمها فتضطر الى أن تغتسل قليلا وتدخل الى غرفتها بقصد أخذ قسط من الراحة.

في أحد الأيام وكانت ثرشنط قد أفاقت متأخرة بدأت تلوم نفسها وقالت: كم أنا ناقصة العقل، ترى لماذا أقبل بهذه الحال؟.

ضخت القوة في نفسها وقالت بهمس:"والله بمجرد عودة شوان هذه الليلة أنا وحدي أعرف ماسأعمل به"، وصعدت الى سرير نومها بغضب وقالت لاكثر الله من أمثالهم هل أناخادمة أبيهم.

وفي وقت متأخر من الليل عاد شوان الى المنزل مع أخته شكره بعد أن كانا في تلك الليلة لدى أحد نظرائهما في اللهو. وكانت ثرشنط لاتزال سآهرة لانها منزعجة من هذه الاحوال غارقة في التفكير والخيالات وفقدت القدرة على النوم نهائيا.

دخل شوان الى الغرفة مسلما ومحييا سائلا عن الصحة ذلك لان ثرشنط بسبب عدم رغبتها في مصاحبتهم للدعوة في تلك الأمسية، قد تمارضت. وأكد السؤال عن صحتها وثم كمن كان مرهقا كثيرا تمدد على سرير نومه دون أن يبدل ملابسه ساحباً نفساً عميقا وقال: " آه يا والدي العزيز كم أنا تعبان"، بعد ذلك بدأ يحسب عدد الاعمال التي نفذها وقام بها ذلك اليوم وثم قال: لحظة رجاءا، أولا في الصباح الباكر عندما خرجت من البيت تفقدت الاسطة والعمال

لأعرف أين وصل العمل الجاري في الدكاكين وبقيت لديهم بعض الوقت. ومن هناك ذهبت الى دائرة الطابو حول مسألة الدكاكين ومن هناك توجهت لزيارة المحافظ ومدير الأمن ثم عدت إلى مطعمي وانشغلنا بمسألة إعداد طعام خاص للعشاء لأن عددا كبيرا من الرجال المحترمين والبارزين كانوا يأتون لتناول الطعام. وفي الساعة الرابعة عصرا توجهت الى تلك الآنحاء، فقالت ثرشنط مع نفسها: إذاً قل لأحوم حول مدرسة المتوسطة أوالثانوية الخاصة بالبنات لامتع نظري وأتبادل النظرات عند خروج الطالبات تماما مثل كل يوم.

لم يدر شوان بماذا فكرت ثرشنط وكيف وماذا قالت لذا فانه واصل حساب عدد أعماله المنجزة وقال ومن هناك عدت الى مطعمي حيث استرحت قليلا وهيأت نفسي وفي النهاية ذهبنا الى دعوة العشاء ولحد الآن .ورجعت الآن الى ثرشنط خان ورغم كل َذلك فهي لاتستقبلني بالترحاب ولا تجيبني ولا تعير لي أى اهتمام.

نهضت ثرشنط وجلست على فراشها وتوجهت الى زوجها بسؤال: هل انتهيت بحفظ الله من عدّ أعمالك؟ فاجاب شوان بابتسامة وبعين نصف مغمضة بسبب السكر وكانت تفوح منه رائحة العرق والمشروبات قائلا: نعم انتهيت فانبرت بوجوم وبنوع من الغضب قائلة: أنا أيضا لدى ما أقول وأود عد اعمالي لك. فدفع شوان نفسه حتى وقف على قدميه وتوجه نحو ملابس النوم التي كانت معلقة كي يبدلها وبدون آهتمام أجاب ثرشنط قائلاً: نعم تفضلي ماذا تريدين أن تقولي؟.

احتدت ثرشنط تماما وأحست ان جميع ما في جسمها من دم يصعد الى وجهها ورأسها وبدأ قلبها بالخفقان، وبفم امتزج فيه الغضب قالت: قل لي إلى متى نبقى نحن هنا؟.

فقال شوان وهو يبدل ملابسه: ماهو قصدك من كلامك نبقى ولا نبقى هنا، لاافهم قصدك؟. فقالت ثرشنط بصوت مرتج غاضب . . اذا كنت لاتفهم فمن

الأفضل ألا تفهم فانا أريد ألاّ أبقى هنا وأريد أن يكون لي بيتي الخاص كما وعدتم وابلغتموني بأني متى ماشئت فان البيت جاهز . . أنا متعبة هنا كثيرا ولا أطيق سهراتكم الليلية فالشريعة والقانون يعطياننني الحق في أن يكون لي منزلي المستقل الخاص.

عندها أطلق شوان ضحكة عالية مدوية من فم يتلوى وقال: ليقل القانون والشريعة مايقولان . . أما قانوني وشريعتي فهما شكره خان فقط. وبينما كان شوان منشغلا بنزع بنطلونه كاد بسبب سكره ان يسقط جانبا فاكمل كلامه وقالَ: وأرجوك ألاّتتكلمي كثيرا فانا تعبان وأريد أن أنام، فاجابته ثرشنط التي كان كل جسمها يفور منه الغضب قائلة: والله اذا كانت أختك هي قانونك وشريعتك أو تاج رأسك فانا أيضا يجب أن يكون لي بيتي ولن أبقى في هذا البيت سوى هذه الليلة.

توجه شوان بسرعة الى سرير نومه وأمسك بغضب محدة وبطانية وحملهما وبينما كان يخرج من الغرفة قال: أنا نعسان وتعبان وافعلي أنت ما تشائين وقومي بما يَحلو لك ثم أغلق باب الغرفة ودخل الى غرفة أخرى لينام فيها.

ظلت ثرشنط تتقلب الى الصباح وتبكي وهي غير مرتاحة ، ثم دعت الف دعاء ودعاء في قلبها على نفسها لائمة كيف ان افراد هذه العائلة جاءوا وخدعوها وكيف تبعتهم كالعمياء وراء بريق أكاذيبهم وقبل أن تعرف من هؤلاء وماذا هم وفي النهاية حصل مثلما أخبرهم بعض ألاقارب والمعارف من هم هؤلاء وليس المهم أن يملك الأنسان المال والثروة فالله وحده يعرف كيف تم جمع هذه النقود لكنها هي وأمها كانتا تتصوران أن الناس يحسدونهم ولهذا السبب فانهم يتحدثون عنهم هكذا.

كانت تلك الليلة طويلة جدا بالنسبة لثرشنط ولاتنتهي . . ولكنها مهما كان الأمر فقد أغمضت عينيها لفترة قصيرة الى ان استيقظت على زقزقة العصافير

فوجدت أن الدنيا بدأت تضيئ فنهضت بسرعة ورتبت نفسها وملأت حقيبة صغيرة بالاشياء الخاصة بها وكان الأخرون لايزالون نائمين عندما خرجت من المنزل.

وصلت ثرشنط الى السليمانية قبل الظهر بعد أن أخبرت اختها ثروين بانها زعلانة وتعود الى أمها. وبوصول ثرشنط انتشر الخبر بين الجيران والناس بأن ثرشنط زعلانة وعادت وكان احدهم يقول للآخر: عجيب ألم تعرفوا ان ثرشنط عادت وهي زعلانة وان زوجها وأخته اشبعآها ضربا بحيث يقال إن أحد جانيي وجهها وخدها أصبح كالمصبغة الزرقاء، وأخر يختلس زيارتهم ويبدى لهم أسفه لكن ثلاثة أرباع هؤلاء كانوا يزورونهم فقط ليروا كيف أصبح وجه وعينا ثرشنط زرقاوين وتحولا إلى مايشبه المصبغة الزرقاء ويتأكدوا من ذلك وهناك من كان يضيف على ما يرآه أضعافا مضاعفة ويقول مثلا إن أحدى يديها مكسورة وان وضعها وصل حد الطلاق وذلك حتى دون أن يكون قد زارهم أو رأى وجه ثرشنط.

وهناك بعض المعارف المخلصين والأقارب الطيبين الذين كانوا متألمين جدا يزورونها ويواسونها ويلومون شكره وأخاها وآخرون يمسحون دموع أعينهم ويضربون كفا بكف وينظرون الى السماء ويقولون آه ياإلهي نحن راضون بقضائك وقدرك انت صاحب الافلاك العجيبة بحيث اجبرت هذه العائلة الطيبة وهذه الفتاة المحترمة على القبول بهؤلاء الناس الذين لاشهامة لهم ليعاملوها بهذه الصورة.

مر أسبوع على عودة ثرشنط. . كانت أمها حزينة تنزل الدموع من عينيها وتتألم لمعاناة ابنتها وتواسيها دائما وتخفف من احزانها وكان المعارف والاصدقاء والاقارب المخلصون عموما يزورنها ويدعونها الى منازلهم لتناول الطعام معهم. وفي إحدى الامسيات بينما كانت ثرشنط وأمها جالستين مع جمع من

الأقارب والضيوف طرق الباب فجأة وعند فتحه دخلت شكره خان بكل غنج ودلال ووراءها الحقائب وعدداً من الكارتونات وكذلك أخوها شوان. وحال دخول الدار اندفعت شكره خان بكل شوق وحرارة نحو ثرشنط وعانقتها وقبلتها على الخدين عدة قبلات ثم أمسكت بيد أخيها وسحبته وقالت له: هيا إذهب بسرعة، هيا عانقها على الفور وقبل يد عمتك، وعلى صراخها وصياحها آه ياويلي ويا ويلي أثارت باساليبها الماكرة الموجودين في المنزل ثم توجهت نحو ثرشنط وقالت لها باشتياق: ياقرة عيني ياروحي ثرشنط هل من المعقول أن تزعلي أنت . . خرب الله الدار بدونك ، ومن هو شوان؟، سأجعله خادما لك . . وقد مثلت شكره دورها بشكل جعل لا المحيطين بها وحدهم بل حتى ثرشنط نفسها تصاب بالحيرة والأستغراب.

بعد قليل من الاستراحة بسبب تعب الطريق بدؤا بالعتب واللوم فقالت ثرشنط: رغم حيي لك فانني لن أعود الاّ الى بيتي فانني اريد منزلا لي وحدي لأكون حرة فيه.

ضربت شكره على صدرها بيدها بهدوء وكأنها تريد بذلك ان تقول لهذه المجموعة من الرجال والنساء الموجودين حولها والذين كان الكثير منهم أقارب ومعارف ثرشنط وآسكه خان: لاتشغلوا انفسكم بهذا الأمر بل انظروا مليا الى صدري ونهدى ثم تكلموا، ذلك لأن شكره كانت في الواقع ذات صدر ونهد عامرين وجميلين جدا كما أن رأسها ورقبتها كانا أخاذين يخلبان الألباب خاصة لأنها بسبب عدم انجابها الاطفال لم يفقد جسمها طراوته، وكانت شكره تنزل شق ثوبها الى الأسفل دوما كي تجلب انتباه الرجال وتصيبهم بالدوار، ولهذا وبشئ من الغنج مررت يدها بهدوء على صدرها وياقتها وتوجهت نحو ثرشنط وقالت: البيت؟ المنزل ؟ هل هذا هو كل ما تريدين؟ سأجعل كل مافي البيت والمنزل فداءا لشعرة واحدة من رأسك ورأس طفلكما الجميل الذي هو في

الطريق. وضعت ثرشنط يدا على يد في استغراب وقالت مع نفسها آمنّا بارادة الله وسبحانه من مكر هذه السيدة، ثم تذكرت ذلك اليوم الذي ذهبت فيه مع أختها ثروين الى الطبيب وبعد عودتهما قالت إن الطبيب يقول إنها حامل وكيف أنه لاهي ولا أخوها آهتما بالأمر ولم يتوقفا عن الكلام وكأنه أبلغهما بكلام لامعنى له، لكن لاحظوا ماذا تفعل الآن وماذا تقول.

بعد تلك الأمسية وتلك الليلة استمرت شكره وأخوها في الالحاح على آسكه خان وثرشنط وأسرتهما وكلفا عددا من الوسطاء والشهود على أنه بمجرد عودة ثرشنط فان مفتاح البيت والمنزل يكون جآهزا وتقوم لها بهذا وذاك. وكان شوان يبدو معظم الوقت واجما وذابلاً. وأخيرا لم يبق لثرشنط وأمها أمام كل هؤلاء الوسطاء الخيرين الاّأن تقبلا بعودة ثرشنط معهم خاصة وأنهم لم يتركوا لها عذرا. تحركت سيارتهم وكان يسوقها شوان وكانت شكره جالسة بجانبه وجلست ثرشنط في المقعد الخلفي باعتبار أن ذلك يوفر لهاراحة أكثر. وبمجرد انطلاق السيارة شغلت شكره فمها فجأة وبدأت بالكلام عن عائلة بغدادية من معارفهم كانت في ضيافتهم ذلك اليوم وماذا عملوا وماذا قالوا ومن هناك كانت تقفز الى شقلاوه وتلك الأنحاء وكيف أنها أنقذت مرة أحد الهاربين في نقطة تفتيش على طريق اربيل كي لايلقوا القبض عليه وكيف أنها وضعته في الحوض الخلفي لسيارتها وكيف أنها وبدون أن تشعر بالخوف أوقفوا سيارتها في إحدى أكبر نقاط السيطرة على الطريق وعندما سألوها عن الشاب الجالس في الحوض الخلفي لسيارتها قالت: هذا خادمي ونحن متوجهون الى بستاننا في شقلاوه ونريد بناء منزل صيفي وقد ضحكت للعريف واكثرت من الحديث معه بالعربية بحيث جعلته لايكتفي بعدم تفتيش أمتعتهم وحسب بل وبالأمر بجلب أكواب من الشاي لها ولسائق السيارة والشاب الهارب وجلسوا معا لاحتساء الشاي وهم يتبادلون الاحاديث اللطيفة وثم غادروا في طريقهم يصحبهم الدعاء الحار

من العريف. هنا أطلقت شكره قهقهة عالية ومسحت وجهها ورأسها وياقتها بيدها ثم استدارت نحو أخيها شوان وقالت: وهل هذا وحده؟ ليتك تعرف ماالذي كان موجودا في الخلف في صندوق سيارتي.

سحب شوان نفساً من سيطارته وقال وهو يقود السيارة: ماذا كان موجودا فيها ؟.

كانت شكره لاتزال في غمرة الضحك الذي لم يكن قد هدأ بعد فقالت: ألم أقل إننا كنا ننقل رجلا مهربا فهو كان يحمل صندوقين من العتاد وعدة أطوال من القماش وكان يريد إيصالها الى الطرف الآخر، إيران / فقال شوان بابتسامة باهتة وضعيفة: ((نعم إذاً كان الرجل مهرباً لكنني كنت اعتقد أن الرجل نفسه كان مطلوبا من الحكومة))، غير أن شكره قالت :كلا لم يكن من هؤلاء ثم أطلقت قهقهة وألقت بنفسها الى الوراء وقالت: "أخشى أنك تتصور أن الشاب كان من هؤلاء الذين يعملون في القضية الكوردية والسياسة ".

وهنا هزت يدها وحركت رأسها عدة مرات وقالت بحذر شديد: "كلا، كلا وهل أنا من هذا النوع من الناس؟ لم أكن ولست من عشاق السياسة كما ولا أتعامل مع مثل هؤلاء الناس."

وسحبت ثرشنط نفساً عميقا وقالت في نفسها:" لا والله يا عزيزتي انك بالتأكيد لاتحبين مثل هذه الأمور .. فهؤلاء لايريدون شخصا مثلك." وفجأة أحست ثرشنط أن شوان بدأ يميل الى السياقة بسرعة لذا فانها قالت بصوت مرتفع بعض الشيئ:"رغم إنني لاعلم لي بالسياقة، لكن أليست هذه سياقة سريعة"، لكن شوان الذي كان منشغلا باشعال سيطارة بيد والسياقة باليد الأخرى أجاب ثرشنط ضاحكا: وهل تخافين يا حياتي؟ لاتخافي ولاحظي كم هي جريئة أختي ولا تخاف وتمرر كل هذه البضائع والرجل المهرب وتخلصهم. فقالت ثرشنط وهي تلوي شفتها وتبتسم: والله ياناس أنا أخاف فكل هذا الدمار

والحوادث السيئة تحصل وكل هؤلاء الذين يموتون أويصابون بالشلل أو العوق سببه سرعة السياقة أو اهمال صغير من السائق مثل ما تقوم به، الأن، فأنت تسوق بيد وتشعل سيطارة بيد ثانية .فابطأ شوان سرعته فورا ودون أن يلتفت قال: أمرك يا حبيبتي لن أسوق بسرعة بعد الآن وعندما أسوق لن أشعل السيطارة بنفسي. تعجبت ثرشنط من جواب شوان وتصورت أنه يستهزئ بها ويحدثها بهذا الاسلوب من باب التندر. سكت الجميع برهة وانشغلت (شكره) خلالها براديو السيارة حيث مدت يدها من الخلف الى ازرار للراديو لتبحث عن أغنية كما قالت.

كان ذهن ثرشنط مشتتا لأنها كانت خائفة في داخلها وتلوم نفسها وكانت تقول بلسان حالها:"الاتلاحظونني ؟ ماذا فعلت بنفسي مرة أخرى وكيف تبعتهم بهذه السرعة، لماذا لم أقل سنأتي أنا وأمي في الاسبوع القادم؟ حسنا وقد لايكون الأمر كذلك، والله حتى لوقتلونى فانني لن أتوقف في بيت (شكره) ولو لنصف ساعة ثم استدركت لتقول في نفسها: الا يمكن أن يكونوا قد كذبوا معنا إذ لايتصور عَقلي أن كلامهم سيكون صحيحاً.

***

وصل الجمع الى كركوك ونزلوا من السيارة ثم أخذوا قسطامن الراحة وتناولوا الطعام في مطعم أحد فنادق المدينة وبعد ذلك ركبوا السيارة مرة أخرى نحو أربيل، حيث وصلوا قبيل المغرب إلى أطرافها فظهرت الأنوار وأضواء حافات المدينة وبدأت ضربات قلب ثرشنط تدق بسرعة اذ كانت مرتبكة مثل طالب ينتظر على أحر من الجمر نتائج امتحان صعب جدا وكانت تقول في نفسها:

ربي إذا لم يكن الأمر كذلك ماذا عساني أن أفعل في هذا الوقت من الليل ..أتصور أنني سأصادف مهزلَة مضحكة فهم سيقولون: أدخلي، وأنا أقول والله لن تخطو قدماى خطوة، لماذا ضحكتم عليّ.

مدت ثرشنط يدها الى حجاب رأسها ولملمت نفسها قليلا وقالت في سرها: إنهم لايستطيعون حبسي فغدا في الصباح الباكر إن كان ذلك في مقدوري سأعود الى دار فهيمة خان وأختي ثروين ومن هناك سأعود الى السليمانية فوراً.

- لكن لماذا؟ ليؤاخذني الله لماذاعدت؟، لماذا؟ لممارسة لعبة الاختفاء والبحث الطفولية، هذا عيب واساءة للنفس، ذاك يقول حصل كذا وأخر يقول رجعت هكذا، ثم من يخلصنا من أفواه الناس؟ ومن اقاويلهم.

***

وعند وصولهم المدينة أصيبت ثرشنط بالذهول عندما وجدت شوان يسوق الى الامام بشكل مستقيم. والله يبدو أنهم كانوا على حق فقد تجاوزنا شارع بيت شكره.

بدأت ثرشنط تنظر بذهول الى الشوارع التي كانوا يقطعونها، وعندما تذكرتها وعرفتها قالت لنفسها: يبدو أن شوان يتوجه أولا الى الدكاكين ليرى أين وصل؟ ألم يكن طوال الطريق يفكر فيها ويقول باستمرار لست الآن موجوداً هناك فالاسطة والعمال الآن يلهون أنفسهم وكان باستمرار يظهر إمتعاضه لانه ترك أعماله منذ ثلاثة أيام.

- ها قد تجاوز الشارع الذي يقع فيه الدكان أيضا، أفاقت ثرشنط بعض الشيئ وفرحت قليلاً ثم بدأت تلوم نفسها لماذا تنظر بتشاؤم الى الأمور ولا تثق بكلام الأخرين حتى وصلت الى حد أن تقول لنفسها بأنها بدون اي مبرر، تضخم الأمور كثيراً وتربك نفسها وتصيبها بالذهول. ليت الأمر لم يكن هكذا ولم تجعل من نفسها حامي حمى كل الناس ولماذا لاتجعل صدرها أرحب وتتجاهل أمور الدنيا كمعظم الناس لماذا تهتم الى هذه الدرجة بكلام الآخرين. وبينما كان شوان ينعطف نحو شارع جديد قرب أطراف المدينة قال: ها قد وصلنا الى محلتنا فهي جديدة ولطيفة غير أن عيبها الوحيد هو بعدها عن الأسواق.

انبرت شكره وقالت: وهل نذهب الى الاسواق مشيا على الأقدام ، فالاسواق إذا كانت قريبة أو بعيدة فان الناس يتوجهون اليها إما بسياراتهم الخاصة أو بسيارات الباص .. ولم تمض مدة الاّ و قلل شوان من سرعة السيارة واستدار حول ساحة صغيرة كانت تبدو جديدة أيضا لأن شتلات الجوري وأنواع الأوراد الأخرى قد زرعت وكانت أكوام الجص وبقايا علب الأصباغ والسطول و الفرش والسلالم وبقايا مواد البناء لاتزال متروكة أمام الأبواب ولم ترفع.

أوقف شوان سيارته أمام واحدة من تلك البنايات المتكونة من ثلاثة أو أربعة طوابق ونزل منها ثم سحب حسرة عميقة وقال: تفضلوا ياجماعة حمداً لله على السلامة. نزلت شكره وهي تتظاهر بنوع من العرج بسبب تعب الطريق أما ثرشنط فقد أخفت ذهولها وقالت في نفسها: لاحول ولا قوة الاّ بالله كل شيئ يخص هذا البيت يثير الدهشة ..حسناتهم وسيئاتهم تختلف عن حسنات وسيئات الآخرين .. تعال وإفهم حتى ولو كان صحيحا كيف أن هذا البيت ومكوناته قد أنشئ خلال أسبوع. تبع الواحد الآخر وكل واحد حمل صرة صغيرة وبعض اللوازم. استعجل شوان وصعد عدة سلالم بسرعة ووقف أمام أحد البيوت.

مد شوان يده عدة مرات داخل جيوبه وأخيرا عثر على المفتاح وفتح الباب ودخل الثلاثة. وتركت شكره صرتها الصغيرة في الممر الصغير على إحدى الطاولات أمامها ثم مدت إحدى يديها إلى رأسها وحجابه وزلوفها ورتبتها نوعاما، أما عباءتها الموضوعة على كتفيها فقد رفعت أذيالها ووضعتها على يدها وذراعيها. عموما كانت شكره ترتدي عباءتها على هذه الصورة ـــ ثم أدارت وجهها نحو ثرشنط وقالت: من الآن فصاعدا خذى حريتك فهذا هو بيتك أمامك ومبروك. وفورا وقبل أن تعطي الفرصة لثرشنط لتجيب توجهت نحو

أخيها وكأنها شبه مغمي عليها وقالت: هيا ياشوان أنا متعبة خذني الى البيت.

نظر شوان بارتياح الى ثرشنط وقال: كيف ترين بيتك هل يروق لك؟ إذ لابد أن أذهب أنا أيضا لاتفقد الفندق والمطعم لأني تركت عملي منذ عدة أيام، لكنني سأحاول أن أعود بسرعة .. أرجو ألاّ يراودك شيئ فجيرانك كلهم معارف وأناس طيبون.

اندهشت ثرشنط من هذا اللطف والتحول وأجابته بوجه بشوش قائلة: أخشى أن تتصور أنى خائفة، ثم ضحكت وقالت:" والله ماكان ينقصنا غير هذا"، ضحك ثلاثتهم على هذا التعليق ثم توادعوا وغادر شوان وشكره وبقيت ثرشنط لوحدها في البيت.

نظرت ثرشنط حواليها بسعادة وأشعلت المصابيح جميعا ثم القت نظرة اعجاب على المطبخ وكانت معجبة به فقد كان واسعا ونظيفا يحتوي على طباخ وثلاجة وأوان جديدة وجميلة منسقة بترتيب، وكانت الثلاجة مليئة بانواع المأكولات حتى أن مواد التنظيف من خرق وفرش وما اليها قد رتبت على الحوض المخصص لغسل الأواني ثم دخلت غرفة المنام والقت نظرة عليها فقد كانت غرفة جديدة مريحة ذات نافذة كبيرة تطل على الشارع والساحة القريبة ومغطاة بستائر سميكة جيدة وكانت طاولة التجميل تنتصب مع مرآة مدورة كبيرة وعليها أدوات التجميل المختلفة من فرشاة وعطور وأمشاط.

اندهشت ثرشنط ودخلت في دوامة: ماكل هذه؟ ترى هل هي حقيقية أم أنها تمثل إحدى الألاعيب والحيل المثيرة للدهشة التي تقوم بها شكره؟ وبينما كانت ثرشنط تبحر في أعماق بحر الخيال وصلت الى خزانة ملابسها فمدت يدها وفتحت أحد ابوابها، وحالما وقع نظرها على الملابس التي تخصها أحست بالخجل من ذلك التشاؤم والريبة التي سيطرت عليها بحيث تنظر الى كل كلام ووعد

على أنه خدعة وكذبة وافتعال وربما كانت هذه النظرة المليئة بالشك والريبة هي السبب في دفعها الى عدم الوثوق بأحد. وكانت جميعها نتيجة تلك التصرفات الخالية من الشهامة التي قام بها تجاههم ذلك الشخص من أقارب والدها الذي دفعهم إلى إخلاء دارهم بحجة وجود النية في انشاء عمارة بديلة لهم تحتوى على دكاكين ويبني لهم في الطابق الثاني فندقا يدر عليهم الكثير من الأموال التي تجعلهم يلعبون بالفلوس، وظهر لهم في النهاية أنه سجل البناية باسمه في الطابو ولا تزال أمها تتابع الدعاوى معهم ولم تحسم لحد الآن.

ومع هذا الضيق والاحساس بالخجل كان هناك نوع من السعادة يغمر قلب ثرشنط عندما وجدت أن جميع الملابس والامتعة التي تركتها في منزل شكره موجودة الآن ومعلقة في الدواليب والخزانات وحتى أن ملابسها الكوردية قد صففت بشكل جيد.

أطفأت ثرشنط مصباح الغرفة وخرجت ومدت يدها إلى عينها وكأنها تريد ان تمسح دموعها ثم سارت الى المطبخ لاعداد الشاي وبعد أن فرغت من ذلك وضعت استكانا منه مع شيئ من الجبن والخبز على إحدى الصواني وأخذتها الى الصالة ووضعتها أمامها ثم فتحت التلفزيون وجلست وبدأت بشرب الشاي. بعد أن أخذت قسطا من الراحة نظرت الى ساعتها وفكرت في نفسها: الساعة الآن قريبة من التاسعة ولم يعد شوان لحد الآن رغم قوله إنه لن يتأخر كثيرا ومع ذلك مر وقت طويل ولم يظهر له أثر.

وقفت ثرشنط على قدميها وأعادت صينية الشاي الى المطبخ وغسلت الاستكان ووضعت الصينية في مكانها وبدأت باعادة ترتيب أماكن بعض الأواني والاقداح وغيرها وعادت الى الصالة وحركت بعض الكراسي من أماكنها وكأنها تريد أن تشغل نفسها حتى يعود شوان.

بعد الآنتهاء من هذه الاعمال الصغيرة ودخول الحمام وغسل الوجه والأيدي وارتداء ملابس النوم عادت الى الصالة وجلست مرة أخرى أمام التلفزيون ونظرت من جديد الى ساعتها التي أصبحت الآن التاسعة والنصف. وحوالي الساعة العاشرة بدأت تنعس لاسيما وقد كانت متعبة بسبب الطريق فقامت وأطفات التلفزيون وهي تقول في نفسها: لاحظوا كم كانوا أجلافا كيف تركوني وحيدة في هذا الوقت من الليل في هذا المنزل، الناس الذين ينتقلون الى بيت جديد تنتابهم الرهبة نهاراً فكيف اذا كان الوقت ليلا ويدخلون المنزل لأول مرة شجعت ثرشنط نفسها وقالت: ولماذا أهتم بهم سأذهب لأنام. أطفأت مصباح الصالة والممر ودخلت الى غرفة نومها وصعدت الى سريرها الذى كان عبارة عن سرير مزدوج كبير متين وجيد. جاءتها ضحكة وضربت كفاً بكف (لايبدو لي هذا العمل سهلا هكذا) ثم تحسست أفرشة النوم والمخدة ولحافها وهزت رأسها وقالت: نعم كلها أمتعة جديدة مصنوعة في المحلات الكبيرة. ثم قامت باشعال المصباح الصغير الذى يوضع قرب رأسها وأطفأت مصباح الغرفة ودخلت الى مخدع النوم وحشرت نفسها تحت اللحاف. وبعد دقائق نهضت والقت نظرة على باب الغرفة وقالت:" كنت أعتقد أنني لم أغلقه." تمددت مرة أخرى وأغمضت عينيها وحاولت أن تنام، وفجأة طرق سمعها طرق هادئ يأتي من المطبخ فضخت القوة في نفسها ووقفت على قدميها ثم عادت وجلست في مكانها وأرتبكت قليلا وملأها نوع من الرهبة لكنها أفاقت فجأة عندما سمعت بكاء طفل من بيت جيرانهم فبدأت تواسي نفسها وتقول: أليس كل الناس يقظين لحد الآن؟ .. ذاك صوت السيارات التي تروح وتأتي .. والوقت ليس متأخراً كثيرا .. ترى ماذا أصابني. وفي النهاية قامت هي باجابة نفسها قائلة: النوم في الليلة الأولى في مكان جديد يكون غير مريح ويصاب الآنسان بالأرق لذا نهضت من مكانها وأصاخت السمع وبهدوء يشوبه الخوف خرجت

من الغرفة وأنارت المصباح مرة أخرى ثم توجهت نحو المطبخ فرأت النافذة العالية الصغيرة للمطبخ مفتوحة للتهوية ولأن الرياح عالية الآن فانها تتحرك وهي التي تحركها والصوت صوتها .. وارتاح قلبها لذلك ثم مدت يدها وأغلقت النافذة باحكام ثم عادت الى الصالة ووقفت قرب الهاتف وقالت لنفسها: ماذا تقولين هل أتصل بهم هاتفياً لأعرف لماذا لم يعد شوان؟. وبسرعة سحبت يدها وابتعدت عن الهاتف وقالت:" حسافة والله حتى لو أموت الآن لما هاتفته فهم ماشاءالله ودون وجود أي سبب مشغولون بالغمز واللمز الذي يأتي منهم طائرا، فكيف إذا اتيت وقلت لماذا تأخرت؟، ثم من يخلصني من أفواههم بعد ذلك ويقولون فورا ياسيدة إذا كان حالك هكذا وتخافين أن تظلي وحيدة في البيت لماذا أثرت هذه المهزلة؟. عادت إلى غرفتها وهي تمتعض وعاتبت نفسها كثيرا وقالت: ويحك ومم تخافين ليكن الله حاميك، البيت جديد ونظيف وكأنه بيض مسلوق، قصرالله عمرك ياسيدة " أدخلت نفسها تحت الغطاء مرة أخرى واستغفرت الله كثيرا وقرأت الأدعية وركنت الى الهدوء لكنها ظلت تتقلب وكان ذهنها مشتتا ومع كل صوت يصدر من الجيران كانت تقف ثم تجلس وعندما يختفي الصوت تستلقي وكانت الخيالات تذهب بها وتأتي ودفعة واحدة كانت تحضر أمامها جميع مشاهد الخوف وقصص وحكايات الرعب مثل شاشة السينما وكانت مشاهد قديمة قد نسيتها تماما ولم تمر أمام خاطرها تبعث في رأسها مجدداً. وفجأة تتذكر فيلم الرعب الذى شهدته في السينما قبل أشهر ويحكي قصة رجل يدخل من نافذة أحد البيوت ويخفي نفسه إلى أن ينام جميع ساكني البيت ثم ينقض على الخادمة الصغيرة المسكينة ويخنقها لأنه كان يعتقد أنها إبنة صاحب الدار التي كانت يوما من الايام خطيبته وأحبها لكنها لحقت شابا أخر. وجاء هذا الرجل وقتل تلك المسكينة متصوراً أنها حبيبته. وبعد الأنتهاء من هذه التخيلات فوراً تتذكر جدتها التي ماتت ولكن عينيها ظلتا

مفتوحتين وكانت تتصور أنها تحدق فيها. سرت قشعريرة باردة في جسم ثرشنط فجفلت وجلست في سريرها مرة أخرى ثم نهضت من جديد وأشعلت جميع مصابيح الدار.. لكنها مع ذلك لم تحس بالراحة وفجأة سمعت أصوات أقدام ثم صوت من يفتح باب الدار فتنتفض جميع شعرات جسمها وتجف شفتاها وكادت أن تلجأ الى الصراخ عندما دخل شوان بسرعة فأخذت نفساً عميقاً. كان شوان قد أدار عليها ظهره ليغلق الباب ثم وجه وجهه اليها بلهفة قائلا: ها ياعزيزتي ألا تزالين يقظة ؟ كنت أتصور أنك الآن غارقة في نوم عميق.

أخفت ثرشنط اضطرابها وأجابت بابتسامة باهتة مصطنعة وقالت: كنت أشاهد التلفزيون وكانت بطني تؤلمني قليلا بسبب تعب الطريق كما أظن ، فاحتضنها شوان وقال: الله لايصيبك بأي ألم في أي جزء من جسمك ، تعالى لأعرف لماذا، مرة أخرى وضع رأسها على كتفيه وقبلها ثلاث أوأربع مرات وسحبها من يدها ودخلا غرفة نومهما.

كانت ثرشنط خائفة ومرعوبة ويتملكها الرعب بحيث أن ستائر غرفتها أصبحت شخصا أمام نظرها رغم وجود شوان بالقرب منها. مد شوان يده بسرعة الى جيب سترته وأخرج علبة مربعة ملفوفة بورق مورّد وسلمها بيَدها وقال: افتحيها بسرعة والبسيها.مدت ثرشنط يدها باستغراب ، وبابتسامة خفيفة تبدو عليها لحد الآن آثار الخوف أمسكت بالعلبة وبدأت، مع تقديم الشكر، بفتحها وفجأة قالت: أالله .. من أين اشتريت هذا السوار الجميل؟.

أجاب شوان وهو يرمي بنفسه على سريره ولايزال يرتدي ملابس الخروج:"أخبريني الآن هل يعجبك؟ البسيه". وبمجرد الاطلاع على السوار وتقليبه قالت ثرشنط بابتسامة: " نعم والله انه جميل جدا .. شكرا جزيلا ..لكن لماذا ألبسه في هذا الوقت .. غدا أفضل .. أخشى أن يتعرض للكسر في السرير .. إنها خسارَة ".

سحب شوان يدها وقال:" خسارة .. خسارة لك ؟ تعالي يابنت لأضعه أنا في معصمك .. فوضعه في معصمها ثم مد يده إلى فمها وقبلها، فتذكرت على الفور تلك الليلة التي قام فيها شوان برمي نفسه على السرير وبدأ بكلام فارغ وأزعج قلبها ثم هجم على المخدة والبطانية وتوجه الى الغرفة لينام فيها، لذا فقد قال في قلبه: ياربي انت وحدك القادر على كل شيء وبهمس قالت: سبحان مغير الأحوال. تمدد شوان مرة أخرى ونظر الى ثرشنط وقال: أحلفك بالله يا حبيبتي ثرشنط هل يروق لك المنزل .. بالله ألا تقولين مع نفسك مآهو هذا الولد المجنون الذي تغير فجأة وأصبح هكذا؟ مدت ثرشنط يدها إلى فمها وضحكت وقالت : " والله ماذا عساى أن أقول، يبدو أن حادثاما حصل".

نهض شوان وجلس باكتئاب وقال: والله أنا لست مجنونا لكن فليؤاخذالله أولئك الذين أصابوني بالجنون وجعلوني هكذا يابنت ياعزيزتي ثرشنط لاتنظري إليّ بعين سوء ولا تتصوري أني لاأملك الاحساس والمشاعر وأنا متوحش أو حيوان!

أصيبت ثرشنط ببعض الدهشة من هذه الاقوال وقالت في نفسها: اعتقد انه سكران، تعالي الآن وسايسي الثمالى .. آه ياويلي، ولهذا فانها أجابته على الفور وقالت: أبعد الله الشر عنك ماذا حصل ، كل رجل وزوجته يتشاجران وفي النهاية يتصالحان وكأن شيئا لم يكن لذا فانني أرى أن تنام الآن وتستريح فهذا أفضل وإنشاء الله سنتحدث عن كل شيئ غداً فهذا في النهاية بيتنا وَنتحرك فيه حسب هوانا وسنتدبر أمورنا كافة.

ضحك شوان وقال: " أعرف والله أنك تتصورين الآن انني سكران بالله العظيم وبحياتك أنت لم أذق المشروبات هذه الليلة ولست سكرانا لكن كفى ولم أعد أحتمل هذه الحالة ولاأستطيع هضمها وكما يقال فان السيل بلغ الزبى وبالنسبة لي فسيلي لم يبلغ الزبى وحسب بل وأصبحت محاطا ببحيرة وكدت أغرق فيها".

نهض شوان على قدميه ببطء وحزن وتوجه نحو النافذة حيث كانت قد نشرت

ثرشنط قربها ملابسه، وبينما كان ينـزع سـترته ودون أن يلتفت قـال: حبيـبتي ثرشنط هل تعـرفين أنـني مغلـوب علـى أمـري كـثيرا .. سـكت برهـة ثـم بـدل ملابسه وعاد إلى سريره وقال بعـين حمـراء مليئـة وحزينـة: ليـتني أسـتطيع أن أتحدث اليك عن حياتي حتى تعرفي ماحلّ بي وكم أنا مظلوم وإذا عرفت قصتي وماحصل لي يمكن أن تجهشي بالبكاء لأجلي، وهل تتصورين أنني أحـب كـثيرا سم الأفاعي هذه المسماة شكره وزوجها؟ آه لو تعرفين كـم أكرههمـا كليهمـا مـن أعماق قلبي! سكت شوان بعض الوقت وكأنه لم يكن يريد إظهارمكنونـات قلبـه وآلامه كثيرا لذا فقد إنهمك بترتيب وتقليب الأفرشة وترتيبها في السرير.

إندهشت ثرشنط ولم تصدق أذنها ورددت في نفسها: والله إنـه صـادق وصـدقته بسـرعة ونهضـت وتوجهـت نحـوه ووضـعت يديـه علـى اكتافهـا وألصـقت رأسـه بصدرها وقالت: لاتتضايق فكل ما حصل لايمكن ان يعود وانشـاء الله سـتعيش حياة آمنة ومريحة وأعدك بألاّ اخالفـك أبـدا وسـأعمل وفـق ماتقولـه أنـت ولـن أخرج عن كلامك.

شدد شوان أكثر من إسناد رأسه إلى صـدر ثرشـنط وقـال:" آه كـم أنـا أحتـاج إلى صدر مخلص اخلاصا حقيقيا" ثـم اسـتمر في كلامـه قـائلا: آه لـو أقـص عليـك كـم لاقيت من آلام إلى أن بلغت هذا العمر وفي أي محيط قذر وخبيث ومليئ بالأكاذيـب والتضليل والنفاق عشت، كيف أنـي في طفـولتي وبينمـا كـان الاطفـال الآخـرون في عمر عشـرة او اثنـى عشـر عامـا ينـامون في الاحضـان الدافئـة لأمهـاتهم وابـائهم ويشبعون نوما، كنت أنا في ذلك الوقت أبقى الى وقت متأخر من الليـل في صـحبة زجاجات الشرب الفارغة وبين قدور وكؤوس وملاعق مطاعم هـؤلاء الظـالمين الى ان يغالبني النعاس وأنام متلويا من الألم والشعور بالحرمان.

ضرب شوان ناصيته وقال وهـو يتمـتم: وأمـي المسـكينة اهـترأت وماتـت تحت ضغط العمل الخدمي وخدمة هؤلاء. تأثرت ثرشنط كـثيرا وكـادت أن تضـطرب

وهي تتذكر آلامها وجراحاتها من غدر وظلم في حياتها وأنانية ذلك الرجل من أقرباء والدها وكيف أن هناك بعض الناس الذين يمارسون قدرا كبيرا من سوء الخلق وانعدام الشرف وهم سيئون ولا ضمير لهم لكنهم يفلتون من العقاب وكانهم لم يفعلوا شيئا والانكى من ذلك فهم يجلسون في صدارة المجلس ويتكلمون بصوت عال ورغم أن الناس يعرفون من هؤلاء لكنهم بسبب المظاهر والتحايل والمنفعة الذاتية لأنفسهم يغضون النظر عن سلوك وتصرفات هؤلاء الآنواع من البشر ويمكن أن يكون هناك عشرة بالمئة من الناس الذين يديرون ظهورهم لأناس مثل شكره الذين تبدو تصرفاتهم السيئة ظاهرة للعيان ومع ذلك هناك الكثير من الناس الذين يحترمونهم لدرجة تقبيل اياديهم مثل قريب والدي الذي يعرف كل الناس كم هو ماكر وحيال وأمام أعين الجميع سلب جميع ممتلكات وأموال أبي منا وسجلها باسمه في الطابو ومع ذلك عندما يلتقيهم يبدأون بمخاطبته بلغة كاكه كاكه وتفضل تفضل ويبدو وكأنهم يريدون وضعه على رؤسهم..ربي لماذا بعض الناس منافقون ومراوغون الى هذا الحد؟.

كان شوان يفكر في ثرشنط في خياله وبوجوم قال:

اعذريني فانني حزين ولم اكن أريد أن أسرد عليك معاناتي في هذا الوقت من الليل وفي الليلة الأولى لدخولنا منزلنا الجديد لكن اذا كنت تحبينني تحدثي بكل مالديك من كلام وافرغي قلبك. نظرت إليه ثرشنط باخلاص وقالت بتلهف: لابأس ياحبيبي حدثني عن كل شيئ لكن لاتضايق نفسك الى هذا الحد ثم مدت ثرشنط يدها الى عينيها ومسحت دموعها وقالت: لكن اذا كنت تنزعج الى هذه الدرجة سأبكي أنا أيضا في النهاية فاحتضنها شوان وقال: لاحبيبتي لا تبكي أنتِ، اصغي إلي فاستعد شوان وبدأ بسرد قصة حياته قائلا: عندما كنت طفلا كنت اعيش مع أبي وأمي في منزلنا في قرية قرب روانذز حياة نظيفة ممتعة مليئة بالاخلاص والراحة. وعندما كبرت قليلا كنت

أذهب في الصباح الباكر مع رفاقي وأقراني في العمر من أهالي القرية الى المدرسة في رواندز لأن قريتنا كانت صغيرة لم تكن فيها مدرسة. وفي المساء كنا نعود الى قريتنا كل الى بيته. وكانت والدتي تستقبلني فرحة بي متصورة أنني سأصبح طبيبا أو مهندساً. وكانت تهيئ لي كل شيئ طيب وتضعه أمامي، وكان والدي يفتح لي صدره ويمطرني بالقبلات. كان ابي يملك بستانا يتولى رعايته ويهتم به دوما ويحبه اكثر من نفسه. وهذه المرأة شكره سيو كانت ابنة ابي من سيدة أخرى وزوجها هذا الذي تزوجته كان يتردد على رواندز وكان يعمل في المقاولات والتجارة. وكانت شكره جميلة جداً وتتنقل بين الأماكن بكثرة كما تقول أمي ودائما كان والدي قلقا يخاف من كلام الناس لأن ابنته كانت حركة جدا أما هو فكان رجلا محافظاً ووقورا جدا.

وفي النهاية فان زوج شكره هذا الذي كان هو الآخر زير نساء ويلاحق الاخريات كانت له زوجتان لكنه حين سمع بشهرة شكره الح على والدي لتزويجها منه رغم أن عمره بقدر عمر أبيها، لكن والدي ورغبة منه في تخفيف كاهله ومن أجل أن يستريح من حركاتها ويتخلص من كلام الناس رضى بذلك وزوج شكره منه لأنه لم يكن يستطيع السيطرة عليها ولم يكن يستطيع جعلها حريصة على سمعتها هي وسمعتهم.

تم تزويج شكره وانتقلت الى أربيل وعاشت مع زوجها الذى كان غنيا مما جعل شكره مشغولة بالفلوس والذهب ونسيت التحركات. أما والدي فقد قلت مشاغله وعاد الى الاستقرار. أشعل شوان سيطارة وسحب نفسا عميقا منها ومع اخراج الدخان من الصدر والأنف قال: مع الأسف بعد أن ارتاح والدي قليلا وعاد اليه الهدوء لم تمر فتره طويلة عليه حتى انتقل الى رحمة الله. وبموت والدي أصبنا نحن شر مصيبة لأنه بعد وفاته بشهرين او ثلاثه احتالت أختي شكره سيو على أمي التي كانت مسكينة جدا وساذجة وسريعة التصديق فاستطاعت

اقناعها بمعسول الكلام وإبداء الاخلاص والمحبة لها وقالت: ماذا تعملين في هذه القرى، تعالي اجليي أخي معك وتعالي الى المدينة حيث أعيش أنا إذ ما هي حاجته الى المدرسة ليدرس فيها عدة سنوات ومهما ألح على نفسه فان راتبه لن يبلغ ٢٥ ديناراً ولماذا لا يأتي معنا ليعمل تحت اشراف زوجي ويحصل في الاسبوع على ٢٥ ديناراً وكذلك ليعلمه جميع انواع الاعمال والمهن. اخذ شوان نفساً وواصل كلامه قائلا: وأنا كنت طفلا أحب الذهاب الى المدينة والسينما وما شابه فانخدعنا بكلامها وقمنا ببيع ذلك البستان الفاخر بسعر بخس وتوجهنا اليها.

بعد ذلك تدريجيا عندما انتقلنا الى اربيل وقعت أمي تحت وطأة أعباء ذلك البيت الذي كان يعج دوما بالضيوف من شاربي العرق وعشرات الأشكال الأخرى من امثالهما وأصبحت أنا كالكرة بيدها ويد زوجها يرسلانني الى اى مكان يشاءان وكانا يشغلانني في البيت والمطعم ويستخدمانني كخادم لديهما. مرة أخرى ضرب شوان ناصيته بقوة وقال: آه لم يتركونى أكمل دراستي، كم أنا نادم، ومنذ ذلك الحين انصح معارفي واقول: أرجوكم لاتدعوا أحداً يترك المدرسة والدراسة. ثم مص سيطارته وأخرج نفساً عميقاً وقال: واصلت الدراسة الى الصف الخامس الأبتدائي فقط وأخرجوني من المدرسة ولم يسمحوا لي باكمال دراستي بسبب أعمالهم التي وضعوها على عاتقي.

استمر شوان في كلامه ومع آهاته وتأففاته قال: وأخيرا فان أمي المسكينة قد أنهكها الكدوالحزن وأصيبت بمرض وبيل، أما هم فخوفا من أن يتعرضوا للوم فقد رموها في احدى المستشفيات وبعد فترة وجيزة توفيت هي الأخرى وتركتنى وحيدا بين براثن هؤلاء الناس الذين لارحمة لديهم ولاوجدان، وكبرت تدريجياًوالقوا عليّ انا الضعيف بجميع اعبائهم واعمالهم، وها انا الآن قد كبرت وتعلمت جميع انواع المهن والحرف. وقررت التحدي وقلت لهم باننى سأتخلّى عنهم

ولم اعد اقبل بهذه الحالة وهم بدوني ستحلّ الكارثة الكاملة بهم ولتحل، لأنهم تعلموا الراحة والاستلقاء على الظهر ووصول النقود إلى أيديهم على طبق من الذهب. ولهذا السبب فانني طالبتهم بالحاح وقلت لهم الآن الآن إذا لم يكن لدي منزل مستقل سأترككم وهذا البيت الذي ترينه هو ثمرة ذلك التهديد الذي صدر مني لأن هذه المجموعة من المنازل هي من ثمرات عرق جبيني ولكنها ملك هؤلاء.

ذهلت ثرشنط لهذا الكلام وكان رأسها قد أثير فأحست بأنها تحب الآن شوان كثيرا ياليتها تستطيع اقناعه بان بأمكانها الآن معالجة جروحه كافة وتصبح سندا ومهدئة قلب ومخلصة له. نظر شوان إلى ثرشنط وأقترب منها وأسند رأسه إلى رأسها وقال: تعرفين كم كان مكانك خاليا عندما ذهبت؟ والله كنت أذكرك كثيرا، لم اكن أدري أنني تعودت عليك الى هذا الحد وكم أتذكرك عندما أبتعد عنك.

قال شوان بابتسامة باهتة: آه كم أنا مستاء من الكذب والأفتراء والدجل آه كم أنا أستاء من تناول الطعام في المطاعم والمطابخ ، صدقي كان يصادف بعض الأيام أنني كنت أتناول الخبز والفاكهة فقط وفي بعض الأيام كنت أتناول طعامي في مطاعم الآخرين في حين أن مطعمي كان يعج بالرواد وكثير منهم كانوا يعودون أدراجهم بسبب عدم وجود مقعد فارغ، ولكني لم أكن أشعر بالإرتياح فيه.

أرادت ثرشنط أن تقص بعض الأمور المضحكة عسى أن يعيد ذلك شوان الى هدوئه لذا قالت: أخشى أنك كنت تتوجه إلى أماكن أخرى لتناول الطعام لأنك كنت تعرف أن لحم كبابكم كان قديما وأن عروقكم كانت تحتوي على خبز عفن وكم كان دهنكم رديء الطعم.

ضحك شوان وقال: لاوالله أنا لاأسمح لهم بذلك فانا اراقب كل شيئ لكن لوكان الأمر بيد زوج أختي فانه لاشك يود أن يقدم للناس لحم الحمير والكلاب والقطط

فهو يكفيه ان يملأ جيوبه لكنه كان على خطأ إذ كيف أقوم أنا بذلك وكيف يطاوعني ضميري على العمل السيئ.

***

نهضت ثرشنط من النوم في الصباح الباكر بأمل جديد وقلب سعيد فوَقفت على قدميها وتوجهت نحو الحمام لترتيب هندامها ثم أعدت الشاي بسرعة ورتبت المائدة وبعد ذلك تفقدت شوان الذي كان مايزال نائما فازاحت اللحاف من على رأسه و بهدوء ضربته براحة يدها ضربات خفيفة وقالت: انهض، انهض ياكسول، كان هذا هو الرجل الذي كان يحب أن يخرج في السابعة والنصف ولكن الوقت يتجاوز الآن الثآمنة ولا يزال نائما. نهض شوان بسرور وشبك يديه معا ودفع جسمه الى الامام كما لوكان يريد ممارسة الرياضة ونظر الى ثرشنط وقال: آه كم أنا سعيد هذاالصباح، لم أحسّ بهذه السعادة منذ سنين ثم صمت شوان قليلا وكأنه يفكر وبعد ذلك واصل كلامه قائلا: " منذ اليوم الذي خرجت فيه من قريتنا .. منذ ذلك اليوم، هذه هي المرة الأولى التي أحسّ فيها بالاطمئنان والسعادة على هذا النحو." اقترب من ثرشنط واحاط عنقها بيده وقال: " في الواقع أشكرك كثيرا وأنني ممتن منك .. لو لم يكن زعلك، لما أفقت لحد الآن." ربت شوان على رأسه وكأنه يريد أن يوقظ نفسه وتوجه الى ثرشنط قائلا:" عندما ذهبت وزعلت كنت أفكر في كلماتك، وبعد ئذ قلت لنفسي أيها الأحمق الى متى تبقى حماراً لهؤلاء تريد أن يهرؤا زوجتك مثل أمك ويقتلوها ، لماذا لاتفكر في حالك وحياتك وكأن الله خلقك لتصبح ماكنة لصنع النقود لشكره سم الأفاعي وزوجها ويبدو كأنهم استخرجوا مخك ووضعوا مخ الحمير مكانه بدلا من مخ البشر.. هيا استفق كفى الى متى تبقى هكذا.

تناول شوان وثرشنط طعام الفطور بفرح وسرور وهما يتبادلان الحديث والتدبير والضحك والهزل، ثم توجه شوان الى موقع عمله وبقيت ثرشنط في البيت

وتذكرت شقيقتها فرفعت سماعة التلفون واتصلت باختها ثروين وحدثتها عن قصة العودة هذه الليلة ففرحت أختها بذلك كثيرا ثم تناولت عمتها فهيمة خان الهاتف وأظهرت لها هي الأخرى سعادتها وباركت لها بيتها الجديد وقدمت لها مجموعة من النصائح مثل: بنتي الزواج بالنسبة للفتاة أو الفتى ليس ثوبا يستطيع الأنسان تغييره بل عليه أن يحاول ألاّ يعكر صفو حياة زوجه. وفي النهاية قالت فهيمة خان:إذاً بمناسبة هذه الفرحة يجب أن تأتوا عندنا غدا لتناول الطعام معنا.

ورغم أن ثرشنط قالت والله نحن مشغولون ولم نرتب الأمتعة والملابس ترتيبا جيدا أو لتكن الدعوة في يوم آخر، وربما لدى شوان عمل كثير متراكم لكن فهيمة خان لم تتركها وقالت أنا لاأعرف هذه الأعذار ولن اقبلها ونحن ننتظركما انت وزوجك لتناول طعام الغداء في بيتنا.

عند ظهر اليوم التالي كانت ثرشنط قد استعدت وكانت تنتظر أخاها (كاوه) ليأتي اليها ويذهبا سوية الى دار ثروين. اندفع كاوه نحو البيت فاستقبلته ثرشنط بشوق وحرارة وأشبعته بالقبلات وقادته الى الداخل. نظر كاوه الى أرجاء المنزل وقال: نعم، نعم مبروك، بيتكم جميل ووفق الطراز الحديث ولا يشبه بيتنا في حجمه الكبير أو عمره (وكان يقصد بيت فهيمة خان) فانتفضت ثرشنط واحتضنته وقالت: روحي فداك هذا أيضا بيتك، فقال كاوه ببرود أعرف، أعرف ليباركه الله عليك.

حامت ثرشنط حول أخيها وقالت: فدتك روحي ماذا تحب أن تأكل أو تشرب لأجلبه لك، لاسيما وانها كانت تعرف أنه جاء مباشرة من المدرسة، فاجاب كاوه بأن وقتنا ضيق لنسرع بالذهاب فالعمة فهيمة خان وباجي ثروين تنتظراننا.. هيا الوقت متأخر. لم يبق أمام ثرشنط الاّ أن تمد يدها الى عباءتها وتقول: بهذه السرعة ودون أن تشرب شيئا؟.

كان كاوه على عجل ويخلط في كلامه وردد يقول حسنا، تمهلي، تمهلي. خرج الاثنان من البيت وفيما كانت ثرشنط تغلق الباب قالَت : عزيزي كاوه هل يوجد حسب علمك أي دكان قريب؟ فاجاب كاوه بابتسامه: أي نوع تقصدين؟ أظنّ هناك دكان أو دكانان يبيعان اللبن والجبن وماشابه.

قالت ثرشنط بنوع من الوجوم: كلا ياعزيزي لاأقصد مثل هذه الدكاكين، بل أقصد المحلات الكبيرة والمخازن وأمثالهما. كاوه كان يسبقها فنزل من السلالم وكتبه تحت ابطه وقال: ماذا تريدين من الدكاكين والمخازن دعينا نصل اليهم الآن فهم بانتظارنا ليس هذا وقت السؤال عن الدكاكين.

قالت ثرشنط بنوع من التأكيد: كنت اريد شراء هدية ما وعدم الذهاب الى فهيمه خان وثروين فارغة اليد، ألم أكن في السليمانية في الايام الماضية؟ ضحك كاوه وقال: ألا تكفين عن هذه العادة، دعيني أذهب الى الساحة لأجلب تاكسياً. جاء التاكسي وركبا ومضيا. كان كاوه يريد أن يظهر لأخته أنه قد كبر ومطلع على مدينة أربيل شبراً شبرا، ولهذا السبب فإنه كلما كانا يمران بمنطقة كان يتحدث عنها ويقول: ترين هذه البناية الكبيرة، إن هذا الحشد من العمال يعملون في بناء فندق كبير هنا وذلك الذي بجانبه يشيدونه كسينما وهي على وشك الأنجاز، وهذه الارض الشاسعة يخصصونها للرياضة وكرة القدم ويقال لايوجد مثلها حتى في بغداد.

ورغم ان ثرشنط كانت تجيبه مجاراة لشعوره وتفديه مراراً بروحها فإنها في الواقع كانت تفكر كيف يمكن ان تزورهم فارغة اليد دون تقديم هدية فتبحث في حقيبتها اليدويه عن شيئ ما، وفجأة رفعت صوتها بفرح وقالت: الحمدلله عثرت على شيئ. فرمقها كاوه بنظرة وسألها: عثرت على ماذا؟ هل كنت قد فقدت شيئا؟ فأجابته ثرشنط بابتسامة: الحمدلله عثرت على زجاجة عطر غير مفتوحة في حقيبتي كنت قد وضعتها فيها بنفسي لكنني نسيتها وسأهديها

لثروين كما أخرجت قداحة سطاير كانت قد اشترتها لزوجها وقالت وسأعطي هذه لفهيمة خان، انظر اليها فهي جديدة وتحتفظ بغلافها.

ضحك كاوه وقال: حفظك الله ياختاه اتركي مثل هذا الكلام لان العمة فهيمة خان لاتدخن بل وتكره التدخين اصلاً، فقالت ثرشنط: ماذا عساي أن أعمل هل من المعقول أن أذهب خاوية اليدين (وكانت ثرشنط في الحقيقة سخية جدا وذات صدر رحب حتى في اوقات فقرها السابقة وكانت تحب دوما أن تقسم لقمة فمها قسمين قسم لهاوقسم لذلك الشخص الذي كان يصبح من معارفها أوضيفا لها لكن كما يقول المثل ((العين بصير واليد قصيرة)).

وصلوا الى منزل ثروين فاستقبلتهم اختها وعمتها وبعد الترحيب وتبادل القبلات وتقديم التهاني بمناسبة البيت الجديد انشغل الجميع باعداد المائدة وتزيينها بمختلف الاطعمة وأكلات فهيمة خان الشهيرة. وكانوا على المائدة عندما سمع صوت الباب فتحرك كاوه بسرعة لفتحه وقد تبين أنه كان شوان.أسرع شوان بالدخول فرحب به الجميع أما فهيمة خان فقد استقبلته بالضحك والفرح وقالت: يظهر أن عمتك تحبك كثيرا لانك وصلت في الوقت المناسب. فأجابها شوان بوجه منشرح وقال: وكيف لا، انظرى كم ستحبني أكثر في المستقبل. وقال عم ثروين هيا افسحوا المجال لكاكه شوان ليجلس بجانب ثرشنط خان. وقال ابنه محمد: لا والله من الافضل أن يجلس قبالتها، وبعد ذلك بدأوا بالمرح والضحك وسرد الاحاديث فقالت فهيمة خان تناولوا طعامكم أولا ثم بعد ذلك يأتي دور الكلام، أوكما كان أخي حسن يقول:

الاوروبيون يطيلون بقاءهم على المائدة عند تناول الطعام وهناك يكملون مايريدون أن يقولوه مع بعضهم. بدأت ثروين بالكلام وقالت بابتسامة: هم يفعلون هكذا لانهم قلما يلتقون ببعضهم، لانشغالهم باعمالهم، لذلك عندما يعودون الى منازلهم في المساء ويلتقون على المائدة وتناول الطعام، يتبادلون

احاديثهم مع بعضهم. ضحك زوجها محمد وقال: من أين تعرفت على هذه الأمور؟.

وثروين التي كانت تصب اللبن وكانت تقدمه للجالسين على المائدة واحدا واحداً ضحكت خلال أدائها عملها بهدوء وقالت: الفضل يعود للجرائد والمجلات فانا أحبّ مثل هذه الأشياء وأقرؤها جميعا. أرادت ثرشنط إطراء اختها فازدردت اللقمة والتهمتها بسرعة وقالت: كانت ثروين دائما هكذا تحب المطالعة كثيرا ثم رمقت أختها ثروين وقالت بابتسامة: في طفولتنا كنا نتشاجر احياناً على الكتب والمجلات وكانت الرفوف مليئة دوما بها وأحيانا كانت تحاسبنا بشدة وتقول من الذي مد يده الى رفوفي فأحد كتيبي مفقود.

تذكرت ثرشنط شوان وقصته في تلك الليلة وكيف قص عليها ضيقه ومعاناته بسبب منعه من مواصلة الدراسة بحيث لايستطيع الآن سوى مسك القلم ويعتبر أميا تقريباً لذا فانها أرادت بسرعة أن تغير موضوع الحديث وقالت: المسألة لاتعتمد على التعلم وعدم التعلم فهناك من لم يكمل الدراسة ولم يأخذ من التعليم الاّ القليل ومع ذلك فانه يصبح ذكيا ولامعا. وهناك من أكمل الكلية والدراسات العليا لكنه يشبه ثورا دائحا لارغبة لة في القراءة ولايعرف كتابة جملة مفيدة.

إنبرى محمد من مكانه وضحك ثم قال:" ياأخي يوجد من يقول بمجرد إمساكي بكتاب فانني أستسلم للنوم ومع ذلك يعتبر ولله الحمد متعلما ومثقفا.

***

مرت الأيام ودار الزمان ومضت السنوات وزاد بالتدريج عدد افراد اسرة ثرشنط وبدأ يدب فيه الصوت والضوضاء وكلما مرّ الوقت كان يزداد دفئا وطيبة. إبتداءا أصبح عدد الأطفال اثنين كما زادوا بمجيئ داده خورشيدة التي

كانت أرملة مسنة مخلصة وكانت ثرشنط تحترمها وتحبها كأمها وهي بالمقابل كانت مستعدة ان تضحي بحياتها من أجل ثرشنط وأطفالها.

وبمرور السنوات أصبح عدد أطفال ثرشنط أربعة، ثلاثة صبيان وصبية إمتلأت حياتهم بهجة وسروراً ..

وزاد آهتمام وألفة شوان مع بيته وأطفاله، ولوكان باستطاعته لوضع جميع أطايب الدنيا تحت متناول ثرشنط وأطفالها لكن رغم بذله المحاولات الجمة مع نفسه للتخلص من العادة السيئة التي هي النظر الى البنات والنساء، الا انها كانت مازالت عالقة به، وكانت ثرشنط قد استطاعت بمحاولاتها وجهودها تغييره الى إنسان آخر لكنه أحيانا عندما يصادف هذه النواعم الصغار لم يكن يتردد بشأنها ولا اراديا يطيل النظر اليها.

كانت ثرشنط في كثير من الأحيان مطلعة على هذه التصرفات لكنها كانت تصرف النظر عنها وتشكر الله لتخلصه من كل ذلك التسيب واحتفاظه ببعض هذه الآنواع من الملاحقات التي لاتعدو كونها إمتاعاً للنظر ليس إلاّ. واستطاعت ثرشنط بعقلها والتضحية التي تقدمها واخلاصها الشخصي أن تغير ذلك الشاب المتسيب وتجعله رجلاً معقولا محترماً له مجلسه وديوانه.

كانت ثرشنط منذ البداية بعد أن سمعت بقصة حياته كما روآها لها بدأت تتعامل معه كشاب مريض متأفف، وكان في الواقع هكذا، لذا فأنها كانت تغض النظر عن هذه الحركات الصغيرة وتعزوها الى مسؤلية تلك الحياة والظلم والجور الكثير والقلق بشان أخته شكره وسوء تصرفها لذا فانها لم تواجهه بها ولم تقل له لماذا فعلت ذلك لكن في معظم المرات عندما كانت على علم بأن شوان قد عاد إلى عادته القديمة هذه وعاد إلى اختلاس النظر ومغازلة بعض النساء والفتيات، كانت تتألم من كل قلبها مثل سائر نساء العالم وتبقى مهمومة وتفقد مزاجها لعدة أيام غير أن شوان كان عذب الحديث ولطيف المعشروخدوماً

جداً ويهبّ لنجدة الأخرين عندما يطلبون مساعدته سواء كانوا اقرباء ام غرباء وكان يهب لمساعدتهم قدر استطاعته، لهذا فان الناس كانوا يحبونه وكان شوان يتحول إلى مؤنس للحاضرين في كل لقاء وهذا ماكان يجعل ثرشنط تغض النظر عن هفواته.

خلال تلك السنوات كانت آسكه خان تزور أربيل وتبقى فيها لمدة شهر كل مرة تتفقد خلالها بيوت بناتها وتبقى قريبة من ابنها الذي كان مازال في بيت ابنتها ثروين التي أصبحت عزيزة لدى فهيمة خان.

وبعد مضي ايام على بقائها في اربيل كان الملل ينتابها وتقول يابنات أحب العودة الى السليمانية، ورغم أن بناتها وابنها كاوه وفهيمه خان أيضا يتوسلون اليها قائلين ياأمّاه لماذا تعودين الى المدينة وماذا ستفعلين وحيدة هناك، ابقي هنا، واذا رجعت وحدك فان قلوبنا ستبقى معك ونبقى غير مرتاحين خاصة وانت مريضة، لكن آسكه خان كانت مشغولة بصررها وكانت تقول لأولادها: والله أحنّ الى المدينة اي الى السليمانية وكانوا يمازحونها ويقولون لها: وهل هذه قرية، هذه أيضا مدينة كبيرة وجميلة، وعند ذلك تضحك ثرشنط بقهقهة وتقول لأختها ثروين: يابنتي ماذا تقولين، في المرة السابقة عندما توجهنا الى بغداد إلى منزل عمتي أصابها الملل بعد عدة أيام وكانت تقول: روحي فداكم أي واحدمن الأقارب يذهب الى المدينة أعيدوني معه فكيف لاتقول الشيئ نفسه في أربيل.

في إحدى المرات عندما عادت آسكه خان الى المدينة أي (السليمانية) تمرضت هناك وفور وصول الخبر الى اربيل توجه على الفور كل من ثروين وكاوه اليها وأعادوها إلى أربيل حيث قاموا بخدمتها كثيرا. كما آهتم بها شوان وثرشنط أيضاً وجلبوا لها جميع الاطباء الجيدين فتحسنت صحة آسكه خان تدريجياً وبعدها عادت بعد فترة الى المدينة لكن في أحد الأيام سقطت فجأة وشاء القدر

ان تفارق الحياة وعند ذلك توجه أولادها وأنسباؤها الى السليمانية وبعد مراسيم الدفن أقاموا لها فاتحة كبيرة جدا في الجامع وفي البيت ثم عادوا بعدها الى أربيل. وكان كاوه قد كبر ودخل الجامعة ولم يبق أمامه الكثير للتخرج ويصبح صاحب راتب لكن مع ذلك عند وفاة أمه كان يتحين الفرص خلسة ليبكي، وكان يرأف بها ويقول في نفسه: كم كانت تتمنى أن أكمل سنتي الدراسية هذه وأصبح صاحب راتب وبيت، وكانت تقول لي دوما: ان شاء الله بمجرد تخرجك سأزوجك من فتاة جميلة ولاأريد أن أموت قبل أن أراك مستقرا مرتاحا مطمئنا. ولم يكن كاوه وحده بل ان اختيه كانتا كذلك ولبستا الحداد وحزنتا لوفاة أمهم بتلك الحالة البائسة والمضطربة.

***

كانت ثرشنط مشغولة باطفالها بعكس فترة ماقبل الزواج التي كانت فيها تحب السياحة والتنزة خارج المنزل بينما الآن لاتخرج حتى تحت الضغط. وحتى السوق التي تحبها النساء كثيرا لم تكن ثرشنط تتوجه إليها واذا كانت هناك حاجة ماسّة فانها كانت تخبر شوان أو أحد المعارف أن يشتروا لها تلك الحاجة أوكانت تعطيهم جزءا من قماش كنموذج وتطلب منهم شراء عدة أمتار منه لتفصل منها ثوبا أو قباءا.

كان كل حياة ومتعة ثرشنط قد أصبح عبارة عن أطفالها وكيفية الآهتمام بهم ورعايتهم والحصول على مالذ وطاب لهم ليتناولوه وكيف تتصرف مع كل واحد منهم حسب هواه وكيف يجب أن يكون فراش كل واحد منهم جديدا ونظيفا وكيف يجب أن تكون غرفهم وكيف يجب الحفاظ على مدافئهم حتى لايلحق البرد بأيديهم وأرجلهم. وكان يجب تغطية جميع الثلاكات والسويضات الكهربائية ورفعها الى الاعلى حتى لاتصلها أيديهم، وكانت تنهض احياناً من النوم وتدخل بسرعة الى غرف الاطفال الذين ينامون منفردين للتاكد من أن اللحف

مازالت تغطيهم حتى لايستبردوا. أما في الصيف فكانت دائما تخوض المعارك والحروب ضد الذباب والبعوض والحر والنمل. عموما كانت تتلاسن أو تتنازع مع شوان بسبب سلوكها هكذا.

كان شوان يقول لها: وفق حساباتك فان الذي يتزوج عليه أن يترك الدنيا ويهمل نفسه وزوجه وكان شوان يرفع يده من الغضب وينظر اليها ويكمل كلامه ويقول: هل نظرت الى نفسك لتري ماحل بك؟ انك لاتهتمين بأناقتك وبهندامك وحتى ازياءك التي ترتدينها لاتليق بك وغير ملائمة لامرأة عصرية مثلك، أنك تشبهين العاملات، هجم الله بيتك جعلت من نفسك أرضا يمشى عليها أولاد الكلب هؤلاء يقصد الاطفال ثم يضحك ويقول: وعندما يكبرون سيبنون لنا قبابا لقد جعلتهم بشكل يبدو كأنني أكرههم لانهم اخذوك مني، ماذا دهاك لقد تجاوزت الحدود. فأجابت ثرشنط وقالت: أنا راضية ومرتاحة وأريد أن أعاملهم حسب رغباتهم ولا أفعل مالا تحبه قلوبهم وأربيهم كما أريد، أنا لاأترك أطفالي دون اهتمام ودون التربية اللائقة، لماذا؟ وثم ماهو ذنبي؟ هل لأنني لا أحضر الدعوات لتناول الكفته أو الدولمة أو الكباب، لقد عملت مايكفي ويزيد لنفسي والأن يجب أن أرعى أطفالي ولا سيما سيروان وكاروان اللذين هما الأن في عمر ينبغي فيه على الآباء والامهات رعايتهم كثيرا، وكما تعرف فان عمر اثنى عشر عاما اوثلاثة عشر أو أربعة عشر هو عمر التحولات لدى الأولاد وهذه الاعمار خطرة ويعتمد عليها مستقبلهم ابتداءا من الدراسة والمطالعة مروراً بالسلوك والاخلاق والتربية البيتية.

كثيرا ماكان شوان يرتب لها دعوة ويحث البعض على دعوتها والمجئ لاستصحابها معهم فتضطر وتذهب معهم، لكن وحتى عندما كانت تضطر وتذهب إلى إحدى هذه الدعوات والنزهات كانت لاترتاح وتدخل مع شوان في وساوس مثل: والله أعتقد أنني نسيت اغلاق مفتاح الغاز .. ياترى هل يمكن

أن يستعملوا عقلهم ولايتركوا الباب الخارجي مفتوحاً؟ لاأدري إني قلقة جدا لأنه عندما أتينا كان كاروان قد ذهب لشراء المجلات .. ياترى هل يجوز أن يكون قد عاد الآن؟ وكان شوان يجيبها بهمس وهدوء ويقول: خرّب الله بيتك، تخرجين مرة بالسنة، وتحولينها سما زعافا عليك وعليّ. طفلاك الصغيران هما مع طفليك الكبيرين وكلهم لدى الباجي خورشيدة التي تحبهم اكثر مني ومنك، وقدمت لها من النصائح بحيث أصبحوا لايحفظون النصائح وحسب بل و يحفظون الطب كله.

لكن أقوال شوان لم تكن تفيد شيئا فثرشنط كانت تعثر على وساوس لتجعلها قلقة وغير مرتاحة وتبحث عن ذريعة حتى تسرع في العودة. وفجأة تهمس في أذن شوان وتقول: لنقم ونستأذن والله إن باجي خورشيدة الآن نائمة فهي تنام وهي جالسة .. إنني اراها أمام نظرى نائمة وهي تراقب التلفزيون وكأن التلفزيون يدخل في حلقها حبّة النوم لأنها بمجرد التفرج عليه تغمض أجفانها وكثيرا ما يغطيها الأطفال في المكان الذي تتمدد فيه حتى لاتصاب بالبرد. كاد شوان أن ينفجر من إمتعاض ووساوس ثرشنط وكان يفرك بيديه ويقول بهمس: إذاً لماذا لاتدخلين في أوهام اخرى، فمثلاً باجي خورشيدة قد استسلمت للنوم ولم يغطِها الاطفال. كان شوان يخفي غضبه بسبب الناس لكنه نهض مضطراً وتوجه نحو صاحب الدعوة والحضور وقالَ: ياجماعة البقاء معكم ممتع جدا لكننا مع الأسف علينا أن نغادر، ثم بدأ ببيان الأعذار,

***

في إحدى أمسيات الصيف رجع شوان الى البيت وبعد الاستراحة توجه إلى ثرشنط وقال: هل تعرفين انني بدأت أملّ وأسأم وأحتاج الى بعض السياحة وتغيير الجو؟ أنوى أن أخذكم هذا الصيف الى بيروت أو مكان قريب أخر. منذ أن ولدت لم أر مكانا يستحق الذكر وكل حياتي أمضيتها في العمل والحمالة

بحثاً عن الرزق. سحب شوان نفساً وقال: لنقم نحن أيضا بتهوية أجنحتنا كما يقال فكل أصدقائي ومعارفي تعلموا التوجه الى خارج البلاد وقضاء فترة للراحة والاستجمام.

أما ثرشنط التي كانت قد أخرجت للتو أبنها الصغير من الحمام وكانت منهمكة في إلباسه فقد أجابت شوان وهي لاتزال تواصل عملها: تتحدث عن السفر والسياحة؟ تم أخذتها ابتسامة وقالت: والله لاينقصنا شيئ سوى أن نسافر مع هذا الحشد من الاولاد.

فقال شوان بشيئ من الحدة: وهل ينبغي ان يبقى الناس في السجن عندما يرزقون باطفال؟ وسابقا عندما كنت أقول لك لنقم بسفرة الى مناطقنا القريبة كنت تقولين: والله مزاجي غير مناسب وأطفالي صغار لابد أن ننشغل بغسل الوصَل وإرضاع الاطفال لكن الآن لايوجد عندنا أطفال رضع فاصغرهم عمره ثلاثة اعوام فقالت ثرشنط بوجه بشوش: بالله عليك ياحبيبي أين أنا من السفر والسياحة، أناجالسة في بيتي ولا أريد مثل تلك السياحة انا راضية بحالي.

رفع شوان يده بعصبية لكنه قال بابتسامة مريرة طيب طيب الأمر متروك لك ومبروك عليك هذا الوضع الذي انت قانعة به أما أنا فسأعد نفسي اليوم قبل الغد وسأسافر ولن أعود قبل أقل من شهر. وبينما كانت تردد عبارات الود والمحبة قالت:" لتكن في حفظ الله ورعايته ورافقتك السلامة وليحرسك الله، سافر على مزاجك وارجع متى ماتشاء. ضرب شوان كفا بكف وقال: لماذا تحولتِ هكذا يالسوء حظي فكما تقولين أيام الصبا لم تكوني تبقين في البيت. وأكمل شوان حديثه بينما كان يتأوه ويتأفف وقال: عجيب جدا حتى الآن لاأصدق انك كنت في السابق تحبين السفر والسياحة، فقالت ثرشنط بابتسامة: وهل يحتاج ذلك الى كل هذه المحاكمة والتأفف والعصبية، أنا لاأحب ولا أسافر وهل قطع أحد الطريق عليك؟ انت حر في تنفيذ رغبتك في السفر.

وفي اليوم التالي استعد شوان وأنجز مستلزماته ووضع أناساً أمناء على مطعمه وفندقه وأوصى زوج أخته شكره بما يريده منه وبعد ثلاثة ايام انطلق نحو بغداد ومنها استقل الطائرة الى بيروت.

وصل شوان الى بيروت ونزل في أحد الفنادق المريحة في منطقة الروشة على البحر. وفي اليوم التالي توجه الى السوق واشترى لنفسه الأحذية والملابس والاشياء الجميلة ورتب نفسه وهندامه وتعرف بسرعة على اثنين من المسافرين في الفندق أحدهما بغدادي ضخم الجثة قدم نفسه على أنه تاجر وصاحب شركة ساحبات ومضخات ماء، لكن شوان بخبرته في التجارة والاعمال وما اكتسبه من معلومات في الحياة ونتيجة لاختلاطه مع الناس من الكسبة والمهربين عن طريق زوج أخته ادرك أن الأمر ليس كذلك وان الرجل مهرب ثقيل الوزن تابع لحكومة بغداد ذلك لأن غرفة شوان كانت بجانب غرفته وكثيرا ماكان الاتصال التلفوني يأتيه حوالي الساعة الثالثة أوالرابعة ليلا فينهض الرجل الضخم على الفور ويستقل سيارته ويذهب. ويحدث أن يختفي عن الانظار يومين ثم يعود للظهور وعندما كان يتفرغ كان يَجلس في إحدى المقآهي على البحر حيث يتناول المشروبات، وكانت بعض النساء سيئات السمعة في تلك المنطقة يجتمعن حوله حيث يقضي اوقاتا طيبة معهن.

أما الشخص الآخر الذي تعرف عليه فكان رجلا عجيبا ذا وجه باسم من هؤلاء الذين برزوا حديثا من الأثرياء الذين باعوا أنفسهم لمؤسسات الأمن والمخابرات في حكومة بغداد، لكن هذا لم يكن من العرب بل من اللقطاء الكرد من أهالي أطراف السليمانية والذى كان بسبب بيعه نفسه وبسبب الخيانة واعماله الدنيئة مع شعبه قد عين في وظيفة مهمة جداً وجاء للسياحة وقضاء الوقت وتمضية شهر العسل مع زوجته الثالثة التي كانت بعمر ابنته.

لذا فانه كان يتبع زوجته ولم يكن يعود الى غرفته والفندق كثيرا، وفي صباح كل يوم كان يتناول فطوره في مطعم الفندق وهناك يلتقي بشوان ويبدآن بالسؤال والاستفسار عن الصحة والأحوال ولم يكونا يلتقيان بعد ذلك ولم يكن الزوج والزوجة يعودان الى الفندق طالما كان هناك محل واحد مفتوح في بيروت وثم يعود العريس وعروسه في وقت متأخر من الليل الى الفندق محملين بالاحمال والاكياس الكثيرة، ولم يكن يبدو على الزوجة الشابة تعب كثير لأنها صغيرة السنّ متفتحة لكن العريس الذى كان عمره قد تجاوز الستين كان على وشك أن يغمى عليه رغم أنه كان يرغب في إظهار نفسه بمظهر القوي المفتول العضل خوفا من زوجته دون جدوى لأنه كان يبدو متدهوراً جداً بالرغم من كل تلك الملابس والبدلات الشبابية الغالية التي كان يلبسها وتلك الستر المخططة المربعة التي تبدو وكأنها أعدت للعبة الشطرنج وكذلك وبالرغم من كل تلك الأربطة المورّدة وكل تلك الاصباغ والألوان التي كان يصبغ بها شعر رأسه شبه الأقرع.

وبعد اسبوع من وصوله الى بيروت نسي شوان نفسه وظهر عليه من جديد سلوكه القديم وبدأ باللهو واللعب والسهر الى وقت متأخر في الملاهي مع الاستماع الى المطربين المشهورين ومشاهدة الرقص الشرقي. وخلال تلك الفترة صادق إحدى الفتيات اللواتي يعملن في الفندق وبعد علمها بانه صاحب جيب دافئ ومليئ وهو سخيّ يجود عليها المرة تلو الأخرى بحيث لم يسبق لها منذ أن بدأت العمل وشاهدت الناس أن وصل أكثرهم طيبة في القلب وسخاوة ربع ما وصله شوان في السخاء لذا فان الفتاة انتهزت الفرصة وبدأت بتجربة جميع انواع العلوم والفنون والممارسات التي تعلمتها بخبرتها عسى الله أن يوقعه في حبائلها وتجعله يأخذها معه الى بلاده. ورغم علمه بأنه موجود في غرفته فانها كانت تدخل عليه بحجة تسليم صابونة او منشفة أو تبديل شرشف وأحيانا تقوم

بتبديل مناشف وشراشف غرفته مرتين في اليوم وكانت تجد حيلة ما عندما يسألها صاحب الفندق عن أسباب قيامها بذلك.

قام شوان بزيارة للمدن والمناطق المجاورة للبنان استغرقت حوالي عشرة أيام عاد في النهاية الى بيروت للاستعداد للعودة الى بغداد وأربيل لأن مدة الشهر كانت على وشك الأنتهاء.

كانت صديقته الفتاة التي تعمل في الفندق تنتظر ذلك على أحر من الجمر وعندما علمت أنه سيعود وأنه يهيئ نفسه للمغادرة بدأت بالبكاء والمكر والتوسلات على أساس أنها مغرمة بكاكه شوان وقلبه الطيب وان الدنيا قد اسودت بوجهها بسبب الأيام القليلة التي ذهب خلالها للسياحة والاستراحة ولاتستطيع أبدا أن تعيش بدونه.

ظهر التوتر والقلق على شوان فمرة كان يتألم لها ويتعاطف معها ويقول في نفسه مالمانع لأستصحابها معي وسأقول لثرشنط جلبت لك هذه الخادمة ومرة يقول لنفسه أين تأخذ هذه الدمية الراقصة؟، والله لاينقصني إلاّهذه التي خاضت الف نهر ونهر وعبرته ولم يتبلل حتى كعبها، هذه فتاة لعوب لامثيل لها كيف تستطيع العيش مع ثرشنط التي تبدو وكأنها من العصور القديمة .. أوكيف ستصدقني بأنني جلبتها لها لوجه الله للعمل لدينا. كان شوان يتراجع ويقول مع نفسه كلا كلا ياحبيبتي لاطاقة لي على أمر كهذا، لكن الفتاة كانت مصرة على توسلاتها من أجل أن يأخذها معه على امل الاستمرار هناك في المحاولات لايقاعه في شباكها لاسيما وأنه على هذه الدرجة من الشبع والراحة.

وبعد أن أفهم شوان الفتاة بأن له زوجة وأطفال وأنه يحب أطفاله كثيرا وأن زوجته متدينة جداً ووقورة لاتستطيع العيش مع شخص مثل هذه الفتاة لأن بلادنا لاتشبه بلادها وليست متسيبة ونحن كرد ولنا عاداتنا وتقاليدنا الخاصة، كانت الفتاة تجعل نفسها كأنها قد اغمى عليها وبغنج ودلال تقول: لايمكن أن

أعيش بدونك. وفي النهاية ترفق شوان بحالها وفي الواقع كان في أعماقه يرغب في ذلك فقال لها هيا استعدي وسآخذك معي. وبعد انشغال حوالي يومين بالأسواق والتبضع استقلا طائرة إلى بغداد ومنها بالسيارة إلى أربيل. وفي وقت متأخر من الليل وصلا الى البيت، وماأن فتح الباب حتى ارتفعت أصوات نزلاء البيت لاسيما الأطفال الذين فتحوا أذرعهم لوالدهم الذي تركهم منذ شهر. أسرع شوان بلهفة نحو الأولاد واحتضن طفله الصغير وحمله على صدره ودخل الى البيت (تتبعه نجوى هانم) حاملا الامتعة والحقيبة والهدايا.

كانت نجوى تبلغ خمسة وعشرين عاما سمراء ذات دم حار رغم أنها لم تكن جميلة جدا لكنها كانت تعرف كيف ترتب نفسها كي تجلب أنظار الآخرين نحوها. وكان شعرها الذهبي المصبوغ يتدلى على كتفيها وتضع شالا على كتفيها ورقبتها على أساس أنها تغطي صدرها المكشوف الذي بدا منها بوضوح نصف نهديها المكورين الممتلئين. وكانت ترتدي ثوبا من الجرسيه برتقالي اللون يصل ركبتها ويلتصق بجسمها ويحصر قدها وردفيها وجسمها الميال وتلبس حذاءا ذا كعب عال وكأنها تسير الى حفل للزفاف والاستعراض الشخصي، كما أنها صبغت عينيها وشفتيها بأصباغ وألوان متعددة وكانت كلما تذهب الى المغاسل والحمام تجدد الصبغ طبقة فوق طبقة وكانت منشغلة باستمرار بتكحيل عينيها رغم أن شوان كان قد نصحها (باننا لنا سلوكنا وعاداتنا الخاصة ولسنا متحررين مثلكم) وكان قد نبهها الى ذلك كي يكون مظهرها محترما.

نظرت ثرشنط الى باجي خورشيدة بتعجب بشأن هوية هذه الدمية الراقصة فيا ترى من تكون. وأما باجي خورشيد فبمجرد مشآهدتها هذه الفتاة أمسكت بياقتها ورددت مع نفسها أستغفر الله وياستار وبدأت بالاشارة ومن ثم بالهمس مع ثرشنط باظهار سخطها وكونها وقعت في دوامة.

***

أما نجوى التي كانت تبدو وكأنها الاخت الشقيقة منذ الف عام لوالد ثرشنط والآخرين فقد اندفعت بلهفة وبوجه ضاحك نحو أهل الدار وقبلتهم وبدأت بالأهتمام بالاطفال الذين كانوا يتملصون منها.

بدأ شوان بالسؤال عن الاحوال وبعض الأمور الجانبية ثم اسرع بفتح الحقائب وتوزيع الهدايا على أطفاله وبعد ذلك اخذ الحقائب الى غرفة النوم وحملت ثرشنط بعض الاشياء الأخرى ولحقت به.

وضع شوان الحقائب جانبا واندفع نحو ثرشنط وعانقها وقال: آه كم كنت أفكر فيكم. فبدأت ثرشنط بالضحك من الاعماق وقالت: معاذ الله من هي هذه اللعوبة التي جاءت معك؟ وابنة من هي؟ كانت ثرشنط تعتقد أن شخصا ما أرسل ابنته هذه معه ويمكن أن يرسلها الى مكان آخر أو ربما يأتي شخص ما ويأخذها معه. كان لسان شوان يتخبط وقال: ها ياروحي تتحدثين عن هذه الفتاة؟ وبابتسامة مصطنعة وبشيئ من الارتباك أضافَ: كنت أريد أن أترآهن معك لأعرف هل تستطيعين أن تحزري من هي هذه وماهي؟.

فقالت ثرشنط التي كانت تغلي من الضحك:المراهنة معي؟ ولأعرف أنا مَن هي؟ آه معاذالله كيف لم تستح وبأي وجه صعدتها معك في السيارة؟.

جفل شوان عند هذه الطعنة من ثرشنط ولم يعرف مايعمل فمدّ يده الى منشفته المعلقة على الشماعة وسحبها ليمسح بها عرق وجهه ومررها على وجهه وكأنه يريد إخفاء اضطرابه ولونه المصفر وكرر إمرار المنشفة على وجهه وفمه عدة مرات وحاول أن يتمكن من استعادة هدوئه خلال تلك الرمشات ويستطيع العثور على حجة معقولة. انتهى شوان ووضع المنشفة على كتفه والتقط أنفاسه نوعا ما وتقدم من ثرشنط وأمسك بيدها وبينما هو يقبلها قال: لم تعرفي لحد الآن من هي فاجابته بابتسامة على شفتيها قائلة: لاوالله لم أعرف، أستحلفك بالله أن تخبرني بسرعة.

وضع شوان رأس زوجته على صدره وقال: حتى لاتتعبين كثيرا ومن أجل أن تهتمي بنفسك وصحتك وتتفرغي لنفسك فهذه خادمة وقد جلبتها لك فهناك الخدم رخيصون جدا وبعض أصدقائي فعلوا الشيئ ذاته فقلت ولماذا لاآخذ أنا واحدة معي لخدمة حبيبتي ثرشنط.. أكمل شوان كلامه بشوق وقال: كان اهتمامي محصورا بك وحدك، وكنت قلقا جدا بسببك لأنك لم تأت وكلما كنت أرى هؤلاء الناس في تلك الأماكن الجميلة مع نسائهم وأطفالهم كنت أحزن لأجلك ولم يكن أي طعام يستهويني بسببك أنت والاطفال. ابتعدت عنه ثرشنط قليلا ونظرت اليه وضربت كفا بكف وصفقت له وقالت: بارك الله فيك، في الواقع لاأعرف كيف أشكرك لانك كنت تفكر بي إلى هذا الحد وتعبت كل هذا التعب لأجلي باركَ الله فيك مراراً.

كان شوان مذهولا ولم يكن يعرف هل أن ثرشنط تتكلم بصدق أو من باب الاستهزاء وقال: وكيف كنت تتصورين أنني لم أكن قلقا عليك .. والله كنت حاضرة في مخيلتي دائما تجولين هنا وهناك، ثم قالت ثرشنط بنوع من الشدة: والآن لماذا جلبت لي هذه الفتاة، لتصبح خادمة لي؟ حسنا وكم ستعطيها في الشهر؟.

مرة أخرى تلعثم لسان شوان وقال: الراتب الشهري ليس مهما إذ أعطيت مقدما رواتب ستة أشهر لأمها وأبيها أما هنا فسنكتفي بشراء الملابس لها مع بعض المصاريف البسيطة وبعد ستة أشهر إن لم ترق لك، فسنعيدها. كانت عينا شوان قد زاغتا فنظر الى زوجته وفرك يده وكان بانتظار الرد.

قالت ثرشنط بغضب وحنق: تتكلم الآن بشكل جدي أم انك سكران، وقال شوان بعض الكلمات غير المفهومة ثم استمر: لابالله وقسما برأسك أنني أتكلم بصدق.

وبابتسامة مريرة هزت زوجته يدها وقالت: وتريد الآن أن أصدقك بانك أتيت براقصة لعوب معك لتكون خادمة لي؟ استغفرالله يا أيها الزوج العزيز والله ينبغي علي أنا أن أصبح خادمة لها ، هذه تصلح مباشرة لمطعمك وفندقك، في النهار تعمل لك وفي الليل ترقص ثم تراقص مع عملاءك وزبائنك لذلك لن أرضى ببقائها في بيتي ولو لليلة واحدة .. هكذا بسرعة نسيت كل شيئ وتغيرت عاداتك وسلوكك؟.

ثار غضب ثرشنط من هذه الذرائع اللامعقولة التي قدمها زوجها وقالت: وكما يقول المثل: الحمار إذا ذهب الى بغداد .. فاكمل لها شوان المثل الشائع وقال الحمار اذا ذهب الى بغداد تحول الى بغل. تضايق شوان وانفعل لتصرف ثرشنط على هذه الصورة أمامه والتي تدل على أنها لايمكن أن تصدق به ولايمكن أن تتعايش مع فتاة كهذه، لكنه مع ذلك جلبها لذا فانه بكل توتر ورجاء وضع يده على كتفها وقال: سامحيني لم أكن أتصور أنك ستتضايقين بهذه الصورة واعتقدت أنني قمت بعمل جيد لأجلك، أما بالنسبة لملابسها أقول لها لاحقا ستلبس مثلما ترغبين وقد أخبرتها بهذه الأمور كلها هناك لكن إذا لم ترتاحي سأجد لها حلاً وأعثر لها على مكان أخر.

كانت شفتا ثرشنط ترتجفان وبردت يداها من الغضب وتركت نفسها تسقط على الكرسي الموجود أمامها وتجلس وتشبك يديها وتقول لاحول ولا قوة الاّبالله. ياخسارة! ماذا أقول الآن للناس والجيران.

كان شوان ينظر إلى فمها ببؤس وكان يتمنى أن تهدأ ثرشنط وتعود الى هدوئها حتى لايسمعها الاطفال ويتفاجأون بهذا الشجار وتذهب فرحتهم، لكن لحسن الحظ كان الاطفال مشغولين بهداياهم وأمتعتهم ولم يكونوا مهتمين بهم، فقال شوان بخوف:" حبيبتي لماذا نخسر سمعتنا، ماذا عملنا، فهي خادمة وجلبتها واذا كنت لاتريدينها فسأرسلها الى مكان آخر غداً .." وأنهى شوان

كلامه بحرارة وقال: والله اذا علمت بها شكره الآن فانها تأخذها لنفسها وتقبل يديك وتطير من الفرح، أنت تعرفين كم تعاني هي بسبب الخادمات والخدمة.
وقالت: أشهد بالله أصبت الحقيقة ووجدتهاجيداً وعلى ذمتي هذه تصلح لها فقط. أدار شوان وجهه من ثرشنط وقال بنوع من عدم الارتياح: عيني كيف عرفت أن مسكينة كهذه راقصة وسيئة فانت لم تري حتى وجهها لحد الآن، فقالت ثرشنط بابتسامة لاذعة: وهل تحتاج هذه الى تجربة ومشاهدة؟ من هيئتها وقيافتها وملابسها ومن نوع مكياجها وكحلتها تتضح ماهيتها.
رفع شوان يده وقال: تستطيعين أن تلبسيها ماشئت من الملابس وتستطيعين أن تأمريها بأن تفعل كذا ولاتفعل كذا وهي المسكينة قادمة من بيروت فكيف لها أن تعرف أننا قرويون ومن العصر الحجري، فاجابته ثرشنط وقالت: لاوالله جزاك الله خيرا لن اقول لها ماذا تعمل ولن أقول لها ماذا تلبس ولن أسمح لها بالبقاء هنا حتى ليوم واحد .. نعم والله إذا كانت هذه هي المدنية فأنا قروية ولا طاقة لي براقصة مثل هذه ثم نهضت وخرجت من الغرفة وتوجهت الى الصالة عند أطفالها وباجي خورشيد.
كان طفلاها الصغيران مشغولين باللعب بالهدايا التي جلبها لهما والدهما والولدان الكبيران كانا داخل الغرفة مشغولين بقياس البلوز والبنطلون اللذين جلبهما لهما والدهما. أما باجي خورشيدة فقد وضعت الكيس الخاص بقطعة القماش والقباء وزوج الحذاء بقربها إلى أن عادت ثرشنط وأخرجت الاشياء عدة مرات وتطلعت اليها وفي كل مرة كانت تعيد ترتيبها ووضعها داخل الكيس وتضعها بجانبها.
أما(نجوى) فالظاهر أنها كانت قد دخلت الى الحمام لغسل الوجه واليدين وعندما عادت كان منظرها كما يبدو للعين بائساً جدا لأنها أزالت الاصباغ من وجهها وارتدت ثوبا طويلا ذا أكمام طويلة مغلقة وشدت رأسها بربطة

بيضاء شدا محكما بحيث تبدو وكأنها مصابة بصداع بسبب تعب الطريق وقد اصفر لونها وتغير، جاءت وجلست على أحد الكراسي.

عندما رأتها ثرشنط وجدت الفتاة قد تغيرت كثيرا ولا تبدو وكأنها غير الفتاة التي بدت قبل قليل والتي كان يظهر عليها وكأن جميع نزق وسوء سلوك العالم يقطر منها. إستعادت ثرشنط هدوءها وسلّمت عليها بوجه بشوش ثم توجهت نحو باجي خورشيد وقالت لنبدأ الآن باعداد الطعام وترتيب المائدة ثم توجهت نحو نجوى وقالت وهؤلاء جاؤا من السفر وهم الآن جياع وقالت ثرشنط مع نفسها وهي في طريقها الى المطبخ: يا أسفي لماذا غضبت بسرعة، لماذا لم انتظر قليلا هل تلاحظين كم هي بريئة وذات لون أصفر أمام عيني. ربما هي ليست بالصورة التي تخيلتها فربما كانت مسكينة منكوبة والاّ لماذا تأتي إلى هذه الغربة وتترك أمها وأقاربها. ليتها عند دخولها لأول مرة كانت كما هي الآن، والله ما كنت أنطق بشيئ لكن عندما وصلت كان منظرها شبيها جداً بالمبتذلات. الآن لا أقول شيئا ولتمكث هنا هذه الليلة وغداً أيضا إلى أن يجدوا لها مكانا من أجل سلامة أطفالي لأنها غريبة ولا تستحق الأذى. ولم يبق الاّ القليل لتجهش بالبكاء من أجلها فقد كانت طيبة القلب وعطوفة جداً.

أبقت ثرشنط نجوى لليوم التالي وقالت لشوان: لامانع الآن حتى أعرفها جيداً. عانقها شوان وقال لها سأعمل وفق ماتقولين، فقط لاتزعجي نفسك ثم استودعها وحمل بعض الأكياس وأشياء أخرى وقال هذه هدايا لشكره سأذهب وأتكلم معها أيضا بشأن الفتاة. ركب شوان سيارته وفي الطريق تشتت ذهنه وبالأحرى كان القلق والهم قد دوخا رأسه منذ الليلة الماضية، ياترى لماذا فعل هكذا وأثر على راحة زوجته الطيبة المحترمة المضحية وهي على حق إذ ماذا تعمل بها الآن فربما تقول شكره لاأريدها رغم علمه بأنها ستصاب بالجنون من الفرح وتكون ممتنة لكن مع ذلك أصاب الهم قلبه وقال: لايعتمد أحد على

شكره فهي مزاجية فمرات عندما تكون في أقصى التسيب تجعل من نفسها شيخة ومتصوفة وتبدأ بالذكر والتهليلة وذلك كله للاستعراض وخداع الناس كذبا. ومن جهة اخرى كان شوان يخاف من ألاعيب ومناورات وخفايا شكره إذ ربما ترتب مؤامرة لمضايقة ثرشنط وارهاق قلبها، وكان يخشى أيضا من أن وجود تلك الفتاة في منزل شكره أسوء من وجودها في بيته لأنه كان يجب أن يتردد عليهم مرتين أو ثلاث يوميا على الأقل للتشاور والتداول مع زوج شكره الذي كان رأسه يشبه مصنعاً لعلم الحصول على النقود. وكان شوان يتحرك دوما وفق توجيهاته وهو نفسه كان يستفيد من هذه التوجيهات وكان يخاف أن تقوم شكره هناك بتشجيع الفتاة على تدبير الدسائس له، أما في بيته فكانت تخاف على الأقل من زوجته وتتردد أمامها، ولم يكن أمام شوان سوى الذهاب إلى أخته شكره ويتحدث لها عن تلك الفتاة. لذا فانه توجه بسيارته الى منزلها ووقف هناك وحمل معه الأكياس والهدايا ودخل. عندما رأت شكره أخآها هبّت بغنج ودلال ووقفت على قدميها وسارت نحوه وطوقت عنقه بيديها وبدأت بتقبيله وقالت: أيها الملعون الغدار متى رجعت؟ لماذا لم تخابرني؟ فقال شوان وصلت في وقت متأخر جدا من الليل وقلت لااتصل بها الأن وسأزورهم غدا لأفاجئها. خرج كاكل آغا زوج شكره من غرفته، عانق شوان وقال: الحمد لله على السلامة، في الواقع كان مكانك خاليا جدا وتركت السوق خالية. وكان لايزال واقفا ودخل في حديث حول الاعمال التي لم يجد أحدا منها على مرامه، قبل ايام تمت سرقة أحد أكياس الرز في مخزن المطعم مع كارتونين من الأواني غير المفتوحة. وفي الفندق تمت منذ سفره سرقة ما يقارب إثني عشر لحافا مع عشر بطانيات وكان لايزال يريد إحصاء البلايا والمصائب والعثرات، عندها هبّت شكره بوجهه وصاحت قائلة: دعنا الآن ليلتقط الولد أنفاسه فهو لايزال واقفا، لماذا استعجلت في الحديث حول هذه الأمور؟ جلست شكره ووضعت كيس هدايا

شوان في حضنها وفتحته وقالت: الله ما كل هذه الأشياء الجميلة، ومدت يدها وأخرجت ربطة كانت تشبه ربطة نجوى مصنوعة من الجرجيت وفي أطرافها طرزت بالنمنمات وقد اشتراها في بيروت بارشاد من نجوى عندما جعلت من نفسها دليلا لشوان. وكلما كان يشتري شيئا لأحد كان يجب شراؤه لها أيضا. لذا فان شكره فتحت الربطة المطرزة كمن عثر على خزنة ووقفت على رجليها وقالت بشوق وفرح: الله الله على هذه الربطات الجميلة والحمد لله إنهما إثنتان ونظرت والابتسامة على شفتيها: وكأنك كنت في قلبي وتعرف أنها موضة الموسم ورأيتها على رأس إحدى الفتيات في حفلة عرس احد المقيمين العرب رغبت فيها كثيرا وسألت الفتاة عنها فقالت انها وصلتني كهدية من مصر. شكرت (شكره) أخاها مرة أخرى من أعماق قلبها.

قال شوان في نفسه: والله يا أختي أنا لاأدرك مثل هذه الأمور، الفضل يعود الى مهارة نجوى، كما أن شوان استغرب من طبيعة وسلوك الآنسان المتغيرة وردد مع نفسه: حقيقة إن العالم غابة وغابة كاملة، تعال وانظر عمرها يبلغ ضعف عمر ثرشنط لكن اظهرت كل هذا الفرح بهذه الربطة ذات الخرز بينما عندما عرضتها أمام ثرشنط وقلت لها بأنني جلبتها لك ولسيران كادت أن تصفني بالجنون وقالت: والله عيب وفضيحة لم يكن ينقصني سوى هذه الألاعيب وأجبرتها جبرا أن تعطي أثنتين منها لسيران وقلت إنها تناسبها لأنها صغيرة وترتدي الملابس الكوردية أحيانا وتضعها في عنقها أو تعلقها برأسها، مادمت لاتريدينها، لماذا تحرمين بنتك منها.

قطعت شكره على شوان خيالاته وبينما هي تصفف الملابس وتلملم أشياءها سألته قائلة: حسناً تحدث لنا عن سفرتك وبيروت ولبنان، ماذا رأيت وكيف قضيت وقتك؟.

روى لها شوان أخبار سفرته وكم كانت بيروت جميلة وقال لها: كان مكانك خاليا وثم مدح المناظر والأماكن الجميلة كما تحدث لها عن الحفلات التي شآهدها وأسماء الراقصات والمطربات المشهورات اللاتي شاهدهن في مصيف عاليه الجميل ومن ضمن هؤلاء المطربات صباح وشادية والراقصة سهير زكي التي قدمت رقصات رائعة جدا بحسب تعبيره ثم نظر شوان اليها وقال ثانية كان مكانك خاليا فعلاً.

قالت شكره من قلبها: آه هنيئا لك .. أحلفك بالله هل شاهدت كل هؤلاء .. هل كن فعلا جميلات مثل الأفلام أم لم يكنّ كذلك ؟

وضع شوان سيطارة بين شفتيه وقال: والله شادية كانت أجمل مما هي في الافلام وكأنها زبدة وقشطة .. لكن صباح كانت كما هي .. شوان تحمس وأراد أن يتحدث لها عن نجوى أيضا.

أماكاكل آغا زوج شكره الذي كان الى تلك اللحظة جالساً بصمت ولم تكن شكره تعطيه الفرصة ليقول كلمة واحدة بدأ بالكلام وقال: يابني، هؤلاء المطربات لابد وأنهن كبرن فصباح وأمثال صباح موجودات منذ عقود من الزمن.

أجاب شوان: صحيح أنهن كبرن لكن العجيب أن ذلك لايظهر عليهن كثيرا لاسيما صباح. مررت شكره بدلال يدها على شعرها ورأسها وقالت: أي جمال والله كله مصطنع وكل واحدة أجريت لها عدة عمليات تجميل فهن يظهرن هكذا لكن جمالهن في الواقع مصطنع ومزيف.

كان زوجها على وشك الآنفجار لأنه كان لديه الكثير ليقوله لشوان لكنه لم يكن يجرؤ مقاطعة شكره ليفرغ هموم قلبه. انتهى شوان من حديثه عن الاغاني والرقص وتوجه نحو شكره وقال: مع كل السعادة والمتعة والمناظر الجميلة والأسواق العامرة لماذا لااحدثك عن العاملات وكم عددهن كبير وكم اجورهن

رخيصة وكل عاملة مرتبة ومنسَّقة وقوية وحتى يجد الانسان بينهن ذوات العضلات المفتولة، واضاف الآن بدأ أهالي القرى يتوجهون الى المدن للعمل وبذلك ارتاح الناس من قلة الخادمات.

ضربت شكره بيدها على صدرها وقالت: آه ليتني كنت مكانهم، نحن هلكنا بسبب كثرة العمل ولا يوجد شخص يقوم بعمل مرتب للناس واذا توفر فانه يلهي نفسه بعمل واحد إلى أن ينتهي النهار، وهنلك عمال بمجرد أن تعلمهم وتدربهم يتركونك إذا وعوا على انفسهم ويتوجهون الى محل آخر للعمل بأجور أكثر واذا كان من يقوم بالعمل فتاة أو أرملة فانها تجد لنفسها مكانا اوتتبع أحد الأوباش أما اذا كان صبياً فهو أيضا على نفس المنوال أو يذهب ليعثر على عمل آخر أو يتزوج واحدة ويصبح عديم الفائدة ولا يتعب نفسه في عمله وبهذه الطريقة يزيح العمل من كاهله بطريقة مائلة أو عوجاء.

هز شوان رأسه وقال:" كلا كلا هناك القرويون اكثر معرفة من أهل المدن ومتقدمون جدا. " واستمر في كلامه قائلا وكان أحد معارفي هناك وجلب عاملة جيدة وقال لي ان زوجتي مريضة وتئن على الدوام بسبب العاملات عديمات النظافة.

ضربت شكره كفا بكف وقالت بهدوء: مع الأسف ولماذا لم تحاول انت أيضا أن تجلب معك واحدة، والله اذا كان الأمر كذلك سأذهب أنا أيضا وأجلب واحدة لي وسأعطيها ماتشاء. ونفد صبر زوجها وقال: ماهي القضية هل هي عبارة عن شراء جوز وزبيب تذهبين الى السوق وتشترينه وتأخذينه إلى مدن وبلدان أخرى، إن الله يعرف، ربما بالمصادفة وبنسبة واحد في المائة أن ترضى إحداهن بالتوجه إلى بلد أخر. مرة أخرى أسكتته شكره بصرخة وقالت: وكيف عرفت أنت؟ الاتلاحظ أن اخي يقول هناك دلالون يجدونها لك فهم يذهبون إلى أماكن أبعد للعمل سواء بغداد أو بيروت .. إذ لايستغرق ذلك أكثر من ساعة واحدة

بالطائرة. سكت زوجها وقال في نفسه: لايوجد علم لاتعرفه هذه السيدة معاذ الله من لسانها، فغمرها شوان بابتسامة وقال:" وماذا تقولين لو أتيت لك بواحدة الآن؟".

تفتحت شكره باشتياق وحرارة واندفعت نحو شوان وعانقته وقالت: هل صحيح ذلك أحلفك بالله ولماذا لم تقل لي ذلك منذ البداية؟.

قص عليها قصة نجوى التي جلبها معه لزوجته لكن ثرشنط لم ترض بها بهيئتها ولا تريدها.

إتسع فم شكره من المفاجأة واغرورقت عيناها بدموع الفرح وقالت: هيا فديتك بروحي لنسرع اليها ونجلبها ودون ان تسمع جواب شوان أسرعت وجلبت عباءتها وقالت: إسرع ياشوان لم يبق لدى صبر أو تحمل.

كان كل جسم شكره يضحك من السعادة داخل السيارة وفركت شفتيها وقالت: حسناً، لم ترض بها زوجتك أرجو الله ان يبارك لها باجي خورشيدة المخرفة. وارادت ان تستمر في الكلام عن ثرشنط لكن شوان لم يمنحها الفرصة قال وهو مستمر في السياقة: من جهة كانت ثرشنط على حق فملابسها وشكلها وزينتها كانت غير مألوفة لثرشنط .. انت نفسك تعرفين ثرشنط فكيف تقبل بمثل هذه الامرأة؟.

وصل شوان وأخته الى البيت فتقدمت شكره بسرعة ودخلت الى الصالة مباشرة ولم تكن ثرشنط موجودة وكانت نجوى قد عملت بنفسها اكثر من يوم أمس فقد استعملت من المساحيق في وجهها مايكفي لعدد من النساء لكن ثوبها كان طويلا وذا أكمام طويلة، وكانت جالسة مع باجي خورشيد والاطفال وهي تمسك باحدى الجرائد على أساس أنها تطالعها بينما كانت باجي خورشيد منشغلة بمختلف الأدعية من استغفر الله ويارب اقبل توبتنا.

وصلت اليهم شكره مندفعة وعرفت الفتاة مباشرة وتوجهت اليها وبدأت بالترحيب بها والسؤال عنها ببعض الكلمات العربية التى تعلمتها من الافلام المصرية وعبرت لها عن سعادتها بها وجلست بجانبها ثم سألت عن أحوال باجي خورشيد والاطفال. وصل شوان اليهم وعرفهم ببعضهم وقال لنجوى: هذه اختي وعندما رويت لها قصتك أحبّتك كثيراً وقد جاءت لتأخذك معها الى منزلها لتبقي هناك فترة ما.أصيبت نجوى بنوع من الاحباط وسألت: لماذا؟.

فقالت شكره بدلال وغنج وهي تخلط بين اللهجتين المصرية واللبنانية وهمهمت بمرارة: لنذهب الى بيتنا وهناك سأخبرك.

***

ذهبت الفتاة مضطرة وجمعت متعلقاتها وعندما عادت إليها قالت لتبقى حقيبتي هنا .. لكن شكره قالت لا يا عزيزتي اجليي حقيبتك معك أيضا.

ذهب شوان الى الباحة بحثا عن ثرشنط لابلاغها لكن باجي خورشيدة صاحت عليه وقالت: ثرشنط خان في الحمام تغسل ملابس الاطفال، فذهب شوان الى باب الحمام وصاح بصوت عال على ثرشنط قائلا ها قد أتينا مع شكره نريد أخذ نجوى الى بيتهم.

ضحكت ثرشنط وهي تعصر ملابس ابنتها وقالت مع نفسها: أشهد بالله حسنا تفعلون وفقكم الله، ونعم مافعلت.

رفعت ثرشنط صوتها وقالت جسمي كله مبلل بالماء والعرق ودعوها نيابة عني وسلم لي على شكره خان.

وصلت شكره والفتاة الى باب الحمام وأرادتا أن تستودعاها فاضطرت ثرشنط الى الخروج الى مدخل باب الحمام وكان العرق يتصبب على رقبتها وتبلل ثوبها والتصق بجسدها ولم تزل الرغوة تغطي يدها لذا فانها أخرجت رأسها من إحدى زوايا الباب وسلمت عليهما وودعتهما ثم عادت الى غسيلها.

ركب الثلاثة السيارة وكانت نجوى واجمة فسألت عدة مرات لماذا يجب أن أذهب الى بيت غيره؟.

مسحت شكره يدها على صدرها وياقتها واستعدلت وتوجهت نحو الفتاة قائلة: حبيبتي بعض الناس لايدخل في رأسهم أن الدنيا قد تغيرت وتقدمت ويتصورون أنها لازالت في زمن غير زمننا الحالي ويعتبرون كل شيئ عيبا . قهقهت شكره بصوت عال وقالت: تريد الكلام الصادق والحقيقي ان زوجة شوان متخلفة جدا وهي وسواسة لاتميل الى آهل المدن والمتحضرين.

عض شوان على شفتيه وبكل ذلك الأنطلاق الذي كان يتصف به وخاصة بعد أن أمضى شهرا في بيروت والمدن الأخرى وكان يلهو يمنة ويسرة ومع ذلك اراد ان يقول شيئاً لأخته لكنه ضبط نفسه وقال في سره: يا أختي اذا كان ماتقومين به أنت وهذه الفتاة وتصرفاتكما هذه تعتبر تقدما أرجو من الله أن يدمر مثل هذا التقدم وتنهار الدنيا بكاملها عليكما معا لكن لحد الآن لاكلام لدي لأنني ارتكبت هذا الخطأ وورطت نفسي هكذا وليكن الأمر كذلك كما تتفضلين فلا تعليق لدي.

***

كانت ثرشنط النظيفة الموردة المعطرة التي تشبه الملاك في ثوبها الكوردي البنفسجي الفاتح الناعس والتي تغطي رأسها ورقبتها بحجاب ناصع البياض تعد نفسها لصلاة الظهر نظرت الى باجي خورشيدة وقالت عزيزتي باجي الحمد لله تخلصنا من العروس الراقصة المستوردة.

رفعت باجي رأسها نحو السماء ومسحت وجهها بيدها وقالت: أتمنى أن يبشرك الله بالجنة، قسماً بالله منذ اللحظة التي رأيت فيها هذه الفتاة أصابني الغثيان ولم أعد استطيع تناول الطعام ثم استمرت في كلامها قائلة: رأيت في منامي هذه الليلة حبلا يلتف حول عنقي وكانوا يريدون خنقي، وفي الصباح أفقت من

النوم على صوت حشرجة وعرفت سبب ذلك إنه بسبب دخول شيئ حرام الى بيتنا ولذلك حلمت هذا الحلم وانت تعرفين ماذا اقصد!.

خفضت ثرشنط رأسها وضحكت بهدوء وهي تقول في سرها: أكيد أن لحافها سقط على فمها وأنفها وقطع أنفاسها وإلاّ ياعزيزتي من أين جاء الحبل ليخنقك؟.

رفعت ثرشنط صوتها وقالت بضحك: توبة يارب لاتؤاخذني لكن والله إنني لاأفتري، انها تشبه الراقصات.

***

توقف بهما شوان أمام باب بيت شكره فنزلت النساء ثم قال شوان:أنا لاأدخل لانني تأخرت كثيرا وسأمر لاحقا ثم استودعهما كلتيهما وضغط على السكليتر وانطلق بسرعة وكأنه يهرب من شيء.

دخلت (نجوى) البيت وهي واجمة لأن مشاريعها انهارت لأي غرض جاءت وماذا حل بها ولوكان الأمر له علاقة بالعمل فقط لماذا لم تبق في بلدها حيث كان العمل وفيراً وهل كانت عاطلة عن العمل؟.

دفعت شكره الفتاة أمامها مرددة عبارات روحي وعزيزتي وأطلعتها على المنزل وهما واقفتان وبسرعة فتحت لها باب غرفة صغيرة وقالت هذه ستكون غرفتك فوضعت الفتاة حقيبتها هناك.

واصلت الكلام وقالت: لاتحسّي بالانزعاج والملل والله سأتصرف معك بطريقة جيدة جدا لايمكن أن تتصوريها وطيّبت خاطرها كثيرا وعندما شاهدت الفتاة ذلك المنزل الجميل والمريح ورأت كم تحمل السيدة من ذهب وكم ترتدي من الملابس الجميلة لم يبق أمامها سوى أن ينشرح وجهها ويرتاح قلبها.

وظل زوج شكره يجول بنظره معهما في ذهابهما وايابهما وهما تتكلمان بالعربية وتضحكان فلم يتمالك نفسه وتجرأ ليسأل: هل هذه هي الخادمة التي كان شوان

يتحدث عنها؟، وبسرعة ودون أن تعيره أي اهتمام قالت شكره: نعم هي. وقال زوجها وكأنه يكلم نفسه: أي والله لم تكن تنقصنا الا هذه، ماشاءالله، ماشاء الله، والله هما سيدة وخادمة جيدتان لائقتان لبعضهما صدق من قال عثر القدر على غطائه.

مرت مدة على مجئ نجوى الى منزل شكره سيو انتعشت خلالها السيدة تماما فمن جهة رفعت نجوى عنها معظم أعمال المنزل، رغم ان الناس قبل وصول هذه الفتاة كانوا يأتون اليها ويعملون لديها وينظفون المنزل لكنها كانت تحاول باستمرار أن تجد واحدة تنام لديها ليلا لأن الكثير من أعمالها ودعواتها وضيوفها كان خلال الليل والى وقت متأخر إذ كانوا مشغولين باللهو وشرب العرق وبسط الموائد ورفعها رغم أنهماكانا شخصين فقط ولم يكن لديهما أطفال لكن منزلهما كان يعج عموماً بالزوار لذا فلم يكن هناك الكثير ممن يمكن أن يبيتوا عندهما في الليل. وكثيرا ما كان صناع المطعم يأتون ويساعدونهما لكن شكره لم تكن ترغب في أمثال هؤلاء وكانت تتشكى دوما وتقول: يستغرق وقت طويل لتدريب وتعليم واحد مناسب ثم يتركني، لذا فان مشكلتها الاساسية كانت في العثور على خادمة جيدة تروق لها وتبقى لديها في الليل وفي جميع الاوقات.

ولأنها لم تكن ترغب في أن يكون منزلها غير مرتب وذلك لأجل التباهي والتظاهر لدى المعارف والاصدقاء فانها شخصيا كانت مشغولة بأمور المنزل ويتعذر عليها القيام بالجولات والنزهات. لذا فعندما عثرت على هذه الفتاة فقد أحست بسعادة تامة.

وبعد ايام قليلة وضعت شكره عدة أسورة من الذهب في معصم (نجوى) كما وضعت الاقراط والخواتم في أذنها وأصبعها وبحثت في ملابسها الشخصية

فأعطتها من كل نوع شيئا ورغم أن ملابسها كانت كردية فان الفتاة أعجبت بها وقالت إنها سترتديها في الأعراس والمناسبات.

وبسبب إرتياحها من سلوك وتصرّف سيدتها معها وسعادتها من هذه الراحة التي وقعت فيها وقيامها بالسفرات والنزهات حسب رغبتها فانها نسيت أهلها والناس الآخرين وكتبت اليهم قائلة إن الله فتح أبواب الخير أمامها وإن أحوالها جيدة جدا، وكانت ترسل لهم الفلوس حسب الامكان وقالت لهم إنها ستزور بيروت مع سيدتها وتجلب لهم هدايا كثيرة.

ورغم أن شوان كان يتردد كثيرا على منزل أخته ويشاركهم مضطراً في العديد من الدعوات ولهوهم الليلي، فانه عموما كان يتخوف من التقرب من (نجوى) ولم يكن يجرؤ على مجاملتها كثيرا وكان يريد أن تحسّ الفتاة أنه فيما عدا الحديث العادي فانه لانية أخرى لديه تجاهها. لكن أخته كانت تحثه علانية، وترتب الفرص الكثيرة للتقريب بينهما.

وكان شوان يعرف جيدا أهداف أخته وكان خبيراً بحيلها وأحابيلها لذا فانه في كل مرة كان يقوم، بالقول وبالفعل، بابطال ماتنسجه أخته ويقوم بالثناء على ثرشنط ويتحدث عما تقوم به يوميا ومايقوله أطفالها، ومايعملونه!.

***

ومنذ مدة بدأ شوان يفكر مليا بالتوجه الى بغداد والعمل فيها ويحاول الاعداد والتدبير مع ثرشنط حول مايجب عمله وكيف يذهبون وأين يستأجرون دارا أويشترونها وكانت ثرشنط تقترح داراً قريبة من دار العمة آمنة بينما يقول شوان إن مركز المدينة أصبح مكتظاً ولا يصلح للسكن ولنسكن في المناطق الجديدة في الأطراف. وحصل في بعض الأحيان أنهما كانا يحتدان حول هذه التدابير ويتحول الموضوع بينهما إلى مايشبه الخلاف ولكنهما يضحكان في النهاية ويقولان كما يقول المثل: لم يصل الطعام بعد لكن الدخان يتصاعد

وعندها يقول شوان إن الفكرة لم تتحقق بعد لكننا نتصرف وكأن كل شيئ قد تحقق فعلا.

مرت فترة مناسبة على محاولات شوان وكادت ثرشنط أن تنسى فكرة الذهاب الى بغداد عندما عادشوان ظهيرة أحد الأيام ونادى بوجه بشوش على ثرشنط وقال: انتقالنا الى بغداد أصبح حقيقة ورتبنا عملا جيداً مع عدد من جيراني.

فسألت ثرشنط وهي غير راضية ومآهو ذلك العمل؟.

بدأ شوان الكلام بحرارة وقال: اسسنا مع إثنين من أصدقائي من الموجودين هنا وأثنين أخرين موجودين في بغداد شركة للراديو والتلفزيون والثلاجة والأجهزة الكهربائية، فسألت ثرشنط: كيف وهل أن مثل ذلك العمل يعطي مردوداً لتمكين خمسة شركاء مع عائلاتهم من العيش بواسطتها؟.

خفض شوان صوته بعض الشيئ وقال: ماذا تقولين أنت؟ إنها تعطي مردودا جيدا جداً فشريكانا الموجودان في بغداد أحدهما مسؤول كبير في الحكومة وهو الذي يسهل لنا الأمور كافة ويكون التمويل من قبلنا.

فقالت ثرشنط بتردد: تريد الحقيقة أنا لست مرتاحة من مثل هذه الاعمال والتي تشتمل على الرشاوي والحيل وما اليها فهذه أعمال لاتستند على أساس فربما لن يبقى الشخص المسؤول في الوظيفة ويتم فصله أو يمرض أويموت ماذا سنعمل بعد ذلك؟.

ضرب شوان كفا بكف وقال: الله كم أنت ساذجة وفقيرة، وهل توجد الآن أعمال تجارية كبيرة بدون مثل هذه الحيل والارتباط بجهة ما. ثم ضحك وقال: وهل أن تكوين الثروة يتم هكذا ودون ثمن .. إذهبي وانظري في حال التجار الذين لاسندلهم ولا يمارسون الحيل والالاعيب لتتأكدي هل يستطيعون الحصول على الطعام الكافي لتناوله. ثم سحب شوان نفساً وقال بابتسامة: الأمور هكذا وأصبحت الدنيا كذلك.

التزمت ثرشنط الصمت بعض الوقت ثم قالت: ماذا أقول فمن جهة أرغب كثيرا في الابتعاد عن اربيل ومن جهة أخرى لاأحب ذلك من أجل أختي ثروين فمنذ أن سمعت بنيتنا الذهاب الى بغداد أصبحت مهمومة جدا وكذلك أنا ايضاً احزن لفراقها.

قالت ثرشنط في نفسها: من جهة أخرى أرجو من الله أن يمكننا من الهرب في وقت أسرع بسبب كلام الناس وبسبب فاقدة الحياء شكره هذه التي كلما كبرت أكثر وعجزت أكثر أصبحت قليلة الحياء أكثر. لقد عرضت سمعتنا الى التلوث، حتى بتنا نخجل من النظر الى وجوه الناس الذين يعرفون جميع أعمالها السيئة ويتجاهلونها احتراما لنا.

كما أن ثرشنط كانت ترغب من جهة أخرى ان تبتعد عن تلك المدينة التي تعيش هي فيها لأن ابنها وبنتها قد كبرا ويسمعان الاحاديث التي تقال عن تصرفات وأخلاق عمتهم شكره وكانا يتألمان بسببها وسمعت عدة مرات إبنها كاروان الذي يبلغ عمره الأن ستة عشر عاما يقول: والله قد أذهب وأطلق رصاصة بمسدس والدي على رأسها كي ننقذ أنفسنا منها ، وكلما كان يصادفها كان كاروان يهرب منها ولا يدعها تقبله. وللسبب ذاته كان شوان يريد ألا يبقى اولاده في أربيل ويبتعد هو أيضا فضلا عن أن (نجوى) قد أضيفت الى الموضوع.

ورغم أن شوان كان يحب أن يقضى نصف وقته في اربيل بسبب أعماله الأخرى لكن كان الأفضل على الأقل أن ينقل بيته بشكل كامل ويبتعد هو لنصف الوقت عنهم.

حزمت ثرشنط أغراضها وانطلقت مع شوان وأولادهما وباجي خورشه الى بغداد. ورغم أنها كانت متألمة بسبب الابتعاد عن أخيها كاوه وأختها ثروين وفهيمة خان التي كانت تحبها بقدر أمها فانها كانت تبكي بين فترة وأخرى إلى

أن وصلوا إلى مقربة من بغداد. لكنها من جهة أخرى كانت مرتاحة لأنها كانت تبتعد عن شكره وأمثالها وأنها تتوجه الى بغداد حيث استأجروا لهم داراً في منطقة الاعظمية بالقرب من عمتها آمنة وأولادها. وكانت ثرشنط تحب عمتها، وهي تحب ثرشنط ربما أكثر من أولادها. والعمة آمنة أخت والدها كانت سيدة جميلة مشرقة الطلعة تحب الاحسان، ورغم أنها كانت كبيرة السن ورزقت بعدد من الأولاد من الذكور والأناث وكانت قدماها تؤلمانها في الغالب وبين فترة واخرى كانت تطلب من أحد أولادها تدليك ظهرها ورجليها وكان الأطباء بسبب بدانتها ينصحونها بأن تضعف نفسها لأن عظامها لايمكنها ان تحمل كل هذا اللحم. ولكن مع ذلك فان العمة آمنة كانت رشيقة الحركة نشيطة وعطوفة وحتى أن سكان محلات بعيدة عن محلتها يعرفونها ويحبونها ويحترمونها، وفضلا عن خفة دمها فإن وجهها كان يشبه وجه طفل بريء بض مكتنز اللحم يغلب على بشرتها خليط من اللونين الأحمر والابيض. وأي شخص يجلس لديها وحتى لوكان في أسوء المشاكل والمصاعب فانها كانت تجعله يضحك بشكل متواصل وتصل قهقهته إلى خارج جدران المنزل، لذا فان عيني ثرشنط كانتا دائما ترنوان الى تلك العمة التي كان حظها وقسمتها أن تعيش في بغداد منذ أمد طويل مع زوجها الذي قدم الى بغداد منذ شبابه وعثر فيها على عمل، ثم كانت ترآها عدة مرات في السنة لمدة أسبوعين والآن قدرالله لها أن تتوجه اليها وتعيش بالقرب منها.

تم ترتيب المنزل ودخل الاولاد مدرسة قريبة من بيتهم، أما الكبيران فبعد مسافة أطول، وشوان أيضا بقي لديهم إلى أن إطمأن تماما ورتب أموره ثم عاد إلى اربيل لترتيب وتنظيم الأعمال الأخرى التي تخص كاكل آغا زوج شكره الذي رغم كرهه له لكن بسبب حياته الغامضة المليئة بالعقد فانه كان متقلبا كثير التغير لذا فانه كان في بعض الأحيان يعطف عليه ويقول مع نفسه مهما كان في

السابق فانه الآن كبير السن ومريض في أكثر الاوقات ويداريني كثيرا ويقدر ماأقوم به أنا من أجل إنجاز أعماله وكان يفكر في أنه صحيح أنه عانى من العذاب والبؤس في طفولته كانوا يكلفونه بأداء الاعمال والمهمات الصعبة كرجل كامل لكن تعبه لم يذهب سدى وقد أصبح رجلا قديرا ويفوق كاكل آغا خبرة ودراية كما أنه خاض معارك عديدة مع شكره اذ كان ينتقدها كثيرا دفاعا عن كاكل آغا عندما كان يراها تظلمه ولاتعير أي اهتمام لأسم وسمعة أحد وتضرب الدنيا عرض الحائط.

وعندما رجع شوان إلى اربيل نزل في إحدى غرف فندقه. ورغم أن شكره غضبت بسبب ذلك وزارته عدة مرات وتهجمت عليه لأنه لايجوز له أن ينزل في الفندق بل عندها فالناس ماذا سيقولون في الوقت الذى عندي هذا المنزل الكبير الجميل تنزل أنت في الفندق.

قال شوان في نفسه: ماشاءالله انت مهتمة كثيرا بكلام الناس فانت منذ شبابك ولحد الآن، وقد بلغت هذا العمر، ورغم ذلك فانك تتعاملين مع الناس حسب هواك ومزاجك ووضعت سمعتنا وكلام الناس تحت قدميك.

أنت تخشين كلام الناس بسبب نزولي في الفندق أم أنك تريدين حبك المؤامرات وتوريطى مع (نجوى). وبعد فترة تعودت ثرشنط واطفالها على حياة بغداد لكن باحي خورشه لم تكن مرتاحة كثيرا لاسيما عندما كان الاولاد يتوجهون الى المدرسة ويخلو المنزل تماما وعندئذ كانت تتضايق كثيرا.

كثيرا ماكانت تقول لثرشنط: والله لولم تكن آمنه خان وأطفالها موجودين لأصبت بالجنون التام في هذه المدينة التي يتكلم جميع سكانها بالعربية وأنا لاأفهم شيئا وعندما نذهب الى السوق فان البقال والقصاب وبائع المخضرات جميعا يتحدثون بالعربية وانا لاافهم شيئاً.

وتضحك ثرشنط وتقول: طبعا لأن الناس هناعرب وهم أيضا عندما يأتون الى مدينتنا لايفهمون مانقول ويصبحون مثلك.

وتضحك ثرشنط من أعماق قلبها ألا تتذكرين في السنة الماضية عندما زارتنا عائلة عربية في اربيل مع عائلة ابن عمتي وفي الصباح توجه أحدهم الى السوق وعندما عاد قال: لم أفهم مطلقا مايقولون فالكل هنا يتكلمون بالكوردية حتى أن الاطفال يتكلمون باللغة الكوردية كالبلابل. وعندما ضحكنا جميعا وقال لهم ابن عمتي وهل أن الاطفال العرب يتكلمون بالتركية وهم أيضا يتكلمون بالعربية فقط مثل آبائهم وأمهاتهم وبقينا نضحك على ذلك الرجل لأيام عدة وحتى باجي خورشه انفجرت ضاحكة ووضعت يدها على فمها وقالت: والله صحيح يعني أنني أصبحت مثل ذلك الرجل.

ومن أجل ألاّ تشعر باجي خورشه بالضيق والملل فان ثرشنط كانت تحاول أن ترسلها مع أطفالها الى الدكاكين القريبة من دارها وتوصيهم أن يدلوها على الطريق وتخبر أصحاب الدكاكين بأنها لاتعرف العربية وعليهم ان يكونوا هادئين معها. وكان الدكانان ظآهرين من دارهم ويبعدان بضع خطوات من الشارع الرئيسي.

وهكذا استطاعت باجي خورشه أن تذهب لوحدها عندما كانوا يحتاجون شيئا ولم يكن أي شخص آخر موجودا ليذهب، كما أن ثرشنط كانت تريد إلهاءها بالذهاب الى الدكان لشراء بعض النواعم لاسيما وان باجي خورشه عندما تذهب لشراء قنينة حليب أو قطعة جبن وعدة بيضات كانت تتصور أنها ذاهبة لنزهة تستغرق سبعة أيام وسبع ليالٍ فكانت سعيدة جداً وتقول: الحمد لله تعلمت الطريق، وتدريجيا بدأت تأخذ الاولاد الصغار الى المدرسة وتعلمت الطريق الى مدرستهم. وفي أحد الايام عندما كانت ثرشنط تعد أكلة العروق عند الظهيرة والاولاد لازالوا في المدرسة ووجدت أن الطحين عندهم قد نفد قالت

باجي خورشه: لاعليك، فقط أخبريني ماذا يسمون الطحين فانني أستطيع الذهاب الى المخبز وأشترى الطحين.

قالت ثرشنط: هذا جيد والله، جزاك الله خيرا وبارك الله فيك لكن دعيني أكتبه لك حتى يطلع عليه الخباز ويعطيك إياه.

قالت باجي خورشه بثقة كبيرة: لا ياداده أي كتابة، فقط أخبريني إنني أفهم ذلك إني بدأت أتعلم العربية. فضحكت ثرشنط وضربت كفا بكف وقالت: أخشى ان تنسيه فقالت باجي خورشيد أنت قولي لي ولابأس عليك.

قالت ثرشنط على مهل أنهم يسمون الطحين (تحين)، قولي كيلو تحين وبالاصبع قولي واحد كيلو، دعيني أعرف كيف تقولينها.

رفعت باجي خورشيد أصبعها وقالت بشكل جميل: أقول: (كيلو تحين). ضحكت ثرشنط وقالت: سيفهمون جيدا ولكن لاتنسي.

قالت باجي خورشه بسعادة بالغة كيف أنسى فانني سأظل أردده وأردده إلى أن أصل الى هناك، وفي النهاية سأتعلمه تماما، ثم أسرعت إلى عباءتها وذهبت.

تأخرت باجي خورشه بعض الشيئ سواء بالنسبة لقرب المخبز أو بالنسبة لمقدرتها فدخلت ثرشنط في دوامة من الهم والوساوس وقالت ياترى ماذا يمكن أن يكون قد حصل لها، هل يمكن أن تكون قد ضلّت الطريق لأن المخبز أبعد نوعا ما من الدكاكين. ذهبت ثرشنط عدة مرات الى الباب لكنها إضطرت في النهاية للقول لأذهب انا بنفسي، ثم راحت تتفقد عباءتها. وعندما رن جرس الباب، اسرعت لفتحه فوجدت باجي خورشه عائدة مع كيس من الطحين وهي تلهث.

فقالت ثرشنط بسعادة: الحمدلله هذه أنت أخيرا كنت على وشك الخروج بحثا عنك، قليي كان مهموما جدا، لماذا تأخرت بهذا الشكل؟.

نزعت باجي خورشه عباءتها عن رأسها وقالت بشيئ من الحدّة: قضى الله على هذه الدنيا وهذه المدينة فهم لايفهمون أبداً من المرء رغم إلحاحي وتكراري بأنني أريد كيلو واحد من ال (تاعون) كانوا لايفهمون فهو يقول (ماهوالتاعون)، (ماهوالتاعون) مرة كانوا يعطونني الصمون ومرة كانوا يضعون لي الرغيف في الكيس وأخيرا عرفوا بشق الأنفس ماأقصد.

انفجرت ثرشنط من الضحك ووقعت على ظهرها وانهمرت الدموع من عينيها وقالت: كانوا على حق عندما لم يفهموك فانت طلبت منهم (الطاعون) بينما طلبت أنا منك أن تقولي (الطحين) أو (الطاحين).

عندما كان أقارب ومعارف ثرشنط يأتون الى بغداد كان معظمهم ينزلون عندهم، وفي إحدى المرات جاءت اختها ثروين ومعها اثنان من أولادها لزيارتهم وكانت مريضة نوعا ما، وذهبوا إلى الطبيب وبقيت مدة لدى أختها ففرحت ثرشنط لذلك وخدمت أختها وولديها كثيرا وزارت معها الطبيب والمستشفى والأماكن الأخرى كما زارها أخوها كاوه وكان قد اكمل دراسته وأصبح محاميا ناجحاً وكان يعمل بنشاط في مجال عمله في اربيل، لذا فان ثرشنط كانت مشغولة دائما في المطبخ باعداد الطعام، وكانت تراعي كثيرا الضيوف وتخدمهم وتتعب نفسها لاجل راحتهم. وكانت باجي خورشه تشبه طير السنونو في تحركاته وطيرانه من موقع الى آخر ومن فرط سعادتها بأنهم من سكان (المدينة) وكلهم أقرباء ومعارف كورد وأحيانا تزور معهم مرقد غوث الطيلاني فانها لم تحس بينهم باى تعب أو إرهاق.

كان شوان يقضي نصف وقته في بغداد والنصف الآخر في أربيل وفي إحدى المرات عندما عاد من أربيل كان معه أخته شكرة ونجوى.

ورغم ان ثرشنط عندما رأتهم فوجئت بزيارتهما ولم تكن مسرورة بهذه الزيارة بسب تجدد معارضة وملاحظة ابنها وبنتها وخوفا من حركات شكره وألاعيبها

وخاصة أن (نجوى) اللعوب قد انضمت اليها، الا انها كانت ذات حياء وخجولة وطيبة القلب لذلك لم يظهر منها مايشير الى عدم سرورها بزيارتهما واستقبلتهما بحرارة مرحبة بهما وأعدت عشاءا لذيذا للغاية وهيأت للضيفتين أماكن راحة ونوم جميلة ونظيفة ومرتبة.

وعندما حان موعد النوم دخل كل واحد غرفته وتوجه نحو سريره لينام فيه، كما دخلت ثرشنط وشوان غرفتهما ووضع شوان يده على كتف ثرشنط والأخرى حول عنقها وقال لها بهدوء: والله مرافقتهما لي لم تكن ذنبي، ولو لم أكن موجودا ايضا لكانوا يأتون غدا أو بعد غد لأنهم كانوا قد أعدوا أنفسهم للمجيئ، وأضاف قائلاً: عثرت على أعذار عديدة حتى لاتأتيا معي وأخفي نفسي عنهم ورغم قولى بان لي عملا في كركوك وربما أبقى فيها ليلتين قالت شكره وما المانع اننا أيضا نبقى هناك، وهنا سحب شوان حسرة وقال انت نفسك تعرفينها مالعمل؟.

فقالت ثرشنط بهدوء لاباس مرحبا بهما هل يمكن أن افكر بلقمة الطعام التي تتناولانها، لا لكن هل تدرى مم أخاف ولماذا لاأرتاح؟ فتوجه شوان بحزن الى ملابسه ليبدلها وفي طريقه الى ذلك قال: أعرف أعرف ولماذا أنا مهتم، واستمر شوان في كلامه وقال: لاينقصنا غير أن تعمر لنا هذا المكان أيضا أي ان تعملنا فرجة للناس.

نهضت ثرشنط على قدميها وبينما هي تنزع قباءتها قالت: مثلما تقول مهما فعلت أنت حتى لو لم تأتيا معك اليوم فانهما كانتا ستأتيان في يوم آخر، أنا كنت قلقة على هذا الولد لقد لاحظت كيف تغير لونه عندما رآهما ولم يكمل طعامه وذهب. أخرجت ثرشنط آهةً وقالت لسوء الحظ لديه امتحانان صعبان الاسبوع القادم يخاف منهما وقد أضاف ذلك همّا آخر على همومه، لانك تعرف بأنه لايحب عمته ويكره تصرفاتها.

رفع شوان لحافه واندس تحته وقال: لنرى قد نسمعه شيئا ونتحدث له عن الطبيعة والغضب والقرابة واكرام الضيف، لعله يخفف من حدته.

صعدت ثرشنط الى فراشها وتمددت بجانب زوجها وقالت عجيب انك تعرف جيداً شكره سيو التي لاتعير أدنى إهتمام لمثل هذا النوع من الاقوال فهي تعمل مايحلو لها وكل شيئ سواه ليس إلاّ ترهات وأقوال لامعنى لها، فهي نفسها على الحق وفق حساباتها.

***

في الصباح الباكر نهضت ثرشنط وباجي خورشه من النوم على غير المألوف ولم تكن هي ولا ثرشنط مهتمتين براحتهما بل بمراعاة هذا وذاك وخاصة للضيفتين. وآهتمت كلتاهما بالمنزل واعداد المائدة والفطور وأعداد الأولاد للتوجه الى المدرسة من أصغرهم عمرا الى اكبرهم وكان الأهتمام باولاد ثرشنط متروكا لها شخصيا. وفي كثير من الاحيان كان أولادها يضجرون من إهتمام أمهم الشديد بهم. وحتى أن الولدين الصغيرين اللذين بلغ عمراهما سبعة وثماني سنوات كانا ينفعلان ويقولان: نحن كبيران وبمقدورنا غسل وجهينا وتمشيط رأسينا. وفي مرات كثيرة عندما كان الاولاد يصلون باب البيت ليتوجهوا الى المدرسة كانت ثرشنط تلتحق بهم وهي حاملة منشفة مليئة بالرغوة والصابون وتركض وراءهم وتقول: ياويلي لم تغسلوا أفواهكم وأيديكم بعد تناولكم الفطور والآن تفوح منكم رائحة الزبدة والجبن وحتماً تكون رائحتكم كريهة وهذا مالاأرضى به.

ورغم أن ثرشنط لم تكن تجرؤ إزاء ابنها وبنتها الكبيرين ولم تكن تشغل نفسها بهما لكن الأمر خارج إرادتها فتتدخل دون أن تريد في اسداء النصح لهما، لذا فان إبنتيها أو إبنها يسبقانها ويقولان: هيا يا ماما إبدئي: التهم بيضتك كي تشبع يابني ولاتجوع حتى الظهر. استقلوا الباص والسيارة على مهل.

لاتنشغلوا بالحركات غير المنضبطة مع أقرانكم خوفا من أن يدفع بعضكم بعضا وتصطدم رؤوسكم بالاشجار والجدران والكراسي والطاولات. كذلك لاتلعبوا على السلالم أو تمارسوا المزاح أو يدفع بعضكم بعضا كي لاتسقطوا على الارض وتصابوا بسوء لاسمح الله مثل تلك الفتاة التي ذكرتم بأنها سقطت وتأذت. وهكذا فان كل وعي واحساس ثرشنط وخيالها كان مع أولادها لحين عودتهم الى المنزل. أما إذا أصيب أحدهم بحمى، فتلك طامة كبرى فتصاب ثرشنط مع ولدها وتتصور نفسها مريضة معه ولاتشفى الا بعد ان يشفى الولد.

في بعض الاحيان كان ابنها الكبير أو بنتها يمزحان ويقولان: ياأولاد أليس أحدكم مريضا، غير مصابين بالصداع لأن أمكم أصبحت بدينة بعض الشيئ وتحتاج الى يومين أو ثلاثة من الحمية.

***

لأن عمتهم شكره كانت ضيفة لديهم في ذلك الصباح فان إبن وإبنة ثرشنط الكبيرين كانا مهمومين وليس لهما مزاج طيب. على أي حال توجها الى المدرسة. كما نهض شوان وآهتم بأموره وبدأت ثرشنط باعداد الشاي وتجديد الفطور لضيوفها ولم يطل كثيرا إذ بدأت تسمع أصوات صباح الخير وصباح النور وضحكات شكره وخادمتها نجوى تصل الى الحاضرين ثم وصلتا الى الصالة وحيتا أهل الدار وجلستا.

مدت شكره يدها الى خاصرتها وظهرها وقالت: لم أنم أبداً هذه الليلة وظللت اتقلب بسبب آلام خاصرتي فقد كانت تؤلمني كثيرا، فقالت ثرشنط وهي تصب الشاي: لاسمح الله لماذا؟ ربما كان ذلك بسبب تعب الطريق.

هنا أمالت شكره نفسها نوعاما نحو خاصرتها التي ادعت انها تؤلمها وقالت: لاوالله عزيزتي ثرشنط منذ مدة وخاصرتي تؤلمني وقد جئت لأزور الطبيب ثم مدت يدها بدلال وأمسكت استكان الشاي من يد ثرشنط، كما أن (نجوى)

كانت مشغولة بتقشير البيض واعداد اللقمة لها. ذرت الملح على البيض وجعلت منه لقمة جاهزة وسلمته اليها. قضمت شكره اللقمة قضمة أو قضمتين ثم شربت استكان الشاي بيدها وتوجهت الى أخيها قائلة: عزيزي شوان أرجوك جد لي طبيبا جيدا كي أراجعه لأنني حقيقة تعبانة فاجابها شوان قائلا : حسنا على العين والرأس عندما اخرج. وبينما بدأت شكره بقضم اللقمة الأخرى التي كانت زبدة وعسلا نظرت إلى شوان وقالت: بالمناسبة متى تخرج كي توصلنا في طريقك قرب السوق، أجابها شوان باستغراب والله علي أن أخرج الآن لانني مشغول لكن ألم تقولي بأنك مريضة وعديمة المزاج؟ إن كنت تسمعين كلامي لاتذهبي اليوم إلى أي مكان واستريحي بدلا من ذلك.

وقفت شكره على قدميها وغطت رأسها بحجابها الرقيق ولفته حول عنقها وقالت: لكن أريد أن استنشق الهواء وهذه الفتاة فقدت مزاجها ولا يقبل الله ذلك فقد مكثت كثيرا محبوسة في الغرفة. ثم قالت بغنج ودلال لابأس اخرج ولا تنتظرنا وسأطلب تاكسيا وأكملت كلامها مع شيئ من الابتسامة فانني اعرف جميع أنحاء بغداد.

ثم نظرت شكره الى ثرشنط وقالت: وأنت الاتأتين معنا إذا رغبت تعالي أنت أيضا.

أما ثرشنط التي كانت في قلبها تسخر من مرض وأوجاع خاصرة شكره وكيف أنها أوصلت نفسها الى حال الاحتضار مع ذلك تريد الآن أن تذهب الى السوق والتجوال هنا وهناك ناسية تمارضها فقالت بابتسامة: آتي أنا للسوق؟ وماذا ساعمل بالاولاد الذين سيرجعون ظهراً من المدرسة.

فقالت شكره بضجر أوه عمّر الله بيتك والله لم أشهد أحدا مثلك يضحي بنفسه هكذا من أجل اولاده. باجى خورشه في البيت وهم ليسوا اطفال رضع. فانبرى

شوان وقال: اي والله إسأليها هاقد مر عام ونصف على وجودك في هذه المدينة بالله عليك كم مرة شاهدت سوق القماش والاماكن الأخرى؟.

تحسست شكره صدرها بهدوء وقالت: كيف ألم تشاهدي لحد الآن أسواق بغداد الحلوة؟ شارع النهر أو سوق الحرير والشورجة الجميلة وكانت تريد أن تحصي أسماء أخرى عندما انبرت ثرشنط وقالت: لاوالله ربما ذهبت الى الاماكن التي ذكرتها مرة أو مرتين، واضافت ثرشنط ضاحكة: في الحقيقة لو ذهبت الى مدينة الالعاب يوميا لتمتعت بها فانني احبها كثيرا وغالباً ما نذهب اليها مع باجى خورشه والاطفال ونركب قطارها.

وقالت باجى خورشه بوجه بشوش وهي ترفع السفرة: أطال الله عمر كاروان العزيز كلما ازور مرقد الغوث الكيلاني روحي فدآه يأخذني بالسيارة الى هناك، كان الله في عونه فانه تعلم سياقة السيارة بشكل جيد.

تفرّق الجماعة بعد حوالي نصف ساعة وكل واحد توجه الى عمله كما ان شكره ونجوى دخلتا غرفتهما .. ولم يطل الآنتظار اذ توجهت شكره نحو التلفون وأدارت رقما وطلبت سيارة اجرة ودخلت الى الغرفة حيث توجد نجوى وخرجتا فيما بعد وقد زينتا نفسيهما كثيرا وعلقتا كثيراً من الحلي وادوات الزينة على ملابسهما وكأنهما تتوجهان الى العرس او الى عرض الازياء.

طرق الباب ووصلت سيارة التاكسي. تسلمت شكره العباءة من نجوى وتوجهت نحو ثرشنط وقالت عزيزتي ثرشنط لاتنتظرونا للغداء وربما لانحضر العشاء ايضاً لذا لاتقلقوا من أجلنا ثم استودعتهم وسارت نحو باب الدار.

قالت ثرشنط بتعجب ووجوم: ومتى ترجعون؟. على أى حال من الافضل أن تخابرونا. بعد ذهابهم عادت ثرشنط الى الغرفة وقالت في نفسها: معاذ الله هذه هي المرأة التي ادعت قبل قليل بأنها مريضة، ولو كانت سليمة ماذا كانت ستعلق بملابسها من ملاعيب.

وتلقفت باجى خورشه الكلام ومن بعيد ضربت رأسها بكفها وقالت: عجبا من ارادة الله، هذه مريضة وجاءت لزيارة الطبيب، أما خادمتها المكتنزة المتلئة هل لاحظت كم أصبحت بدينة؟.

مسحت باجى خورشه وجهها بكفها وقالت: الحمدالله هذا فضل من الرب ان العزيز كاروان كان قد خرج مبكراً ولم يرهما على هذه الحالة.

وضربت ثرشنط كفا بكف وقالت: والله أنا خائفة كثيراً على ابني هل لاحظت كم كان واجماً ومنزعجا في الصباح حتى اني أجبرته على شرب استكان شاي وكان يقول لن أعود الى هذا البيت أبداً. وبعد ذلك بأى طين ألطخ رأسي، يابني مادخلك انت لماذا تزعج نفسك هكذا عسآها تتجول عارية وهل تستطيع تغيير أحوالها يابني بعد ان وصلت الى هذه السن. فقالت باجى خورشه بوجوم: الولد أطال الله عمره انسان مؤدب وخجول وهوشاب فالشباب مثله يكونون ذوي دم حار وصعيي المراس، ثم قالت بحرارة يا بنتي يا أمي إن الولد يستحي من نفسه.

وفي المساء عاد شوان الى المنزل وجال ببصره وقال: أين الجماعة؟ أجابت ثرشنط بوجوم .. خرجوا بعدك مباشرة. مد شوان يده الى جيبه وقال: حجزت لها الموعد مع الطبيب لما بعد يوم غد ليفحصها وكان دورها بعيداً جداً ولو لم يكن أحد المعارف لما استطعت الحجز قبل أقل من شهر، فقالت ثرشنط بصوت خافت: يامصيبتي فقط كان ينقصنا أن تقول سأبقى هنا لشهر آخر إلى أن يأتيني الدور.

هز شوان رأسه وقال: أي مرض يا عزيزتي وأي حال هل يستطيع المريض أن يفعل ماتفعله هي.

سحبت ثرشنط آهة وقالت: مهما يكن الأمر فانها ستبقى هذين اليومين أو الثلاثة هنا ولا نستطيع نحن تغييرها ولنتركها، ليت كاروان يسمع كلامي

ويدعها وشأنها وهنا دخلت إبنتها سيران وهي تحمل كيسا أو كيسين وسلّمت على أمها وأبيها وأقتربت من أمها وقالت خذي هذه الاشياء التي طلبتها، الكيس الأبيض يخص الاشياء الخاصة بك أما الثاني فيحتوي الجواريب والأشياء الخاصة بأخوتي. تسلمت أمها الكيسين منها بسرور ثم نظرت اليها وقالت: فدتك أمك بروحها لماذا يبدو عليك التعب هكذا؟ كيف كنت الى الآن في السوق؟.

اقترب والدها منها وعانقها وقال: لأرى الأشياء التي اشتريتها.

أخرجت ثرشنط الأشياء من الكيس وهي تثني على ذوق سيران وحسن اختيارها للأشياء وكم هي دقيقه ومنظمة في شرائها. خرجت سيران بسرعة من الغرفة قائلة انا متعبة وثم التفتت الى أمها وقالت: أرجو أن يكون لدينا طعام لذيذ لأنني لم أتناول شيئاً وذهبت مباشرة من المدرسة الى السوق. ضحكت سيران وتوجهت نحو أمها وتحسست بيدها خد أمها وقالت بدلال: هل من المعقول أن تطبخ هذه الأم الجميلة طعاماً غير لذيذ ثم دخلت المطبخ بسرور وهي تضحك وعادت مسرعة لكن هذه المرة توجهت نحو والدها وقالت: آه..تذكرت أرجو أن تتكرم عليّ بفلوس بدلة ملابس لأنني تسلمت درجاتي اليوم وكانت الأعلى في الصف. كانت سيران سعيدة تغدو وتأتي وتتكلم بسرعة وقالت مدرستنا للطالبات: يجب أن تصفقوا بحرارة لسيران ليس لأنها حصلت على أعلى الدرجات بل لأنها كوردية أي انها غير عربية ومع ذلك فهي متفوقة على جميع الطالبات.

فسار نحوها والدها بشوق وفرح وعانقها وقال : عشت ياإبنتي الجميلة أتمنى أن ترفعي رأسنا هكذا دوما. ومد شوان يده بخفة الى جيبه الداخلي وقال: فقط فلوس بدلة ملابس لك؟ على العين انت تستاهلين اكثر.

توجهت سيران نحو غرفتها. امتلأت عينا ثرشنط بالدموع وقالت اللهم أبعدها عن عيون السوء، كم أخشى أن يصيبوها بالعين. ضحك شوان وقال: ولماذا لاتبكين قليلا، هذا بدلامن أن يفرح قلبك، والله من الاصح تسميتك بأم الاحزان. مسحت ثرشنط عينيها وقالت: هي ماشاءالله صارت جميلة جدا وكبرت وبسبب ذكائها أخشى أن تصاب بالعين فبدأ شوان بالدعابة وقال: حسنا نوصيها أن تجعل نفسها كسولة بعد الآن، وعند ما تخرج أن تجعل نفسها قبيحة بعض الشيئ.

وقالت ثرشنط وهي تبكي: هكذا انت، تسخر دوما من كلامي.

فرك شوان يده وقال بحرارة: يابنت أى عين وأى خزعبلات أنت مسلمة ومؤمنة بالله ثم مآهي العين وماشابه؟ سيحفظها الله ويرعاها بعنايته.

قالت ثرشنط بوجوم: قبل ايام عندما زارتنا عائلة الاسطه علي كانت نساؤهم يحملقن باستمرار في سيران ويتهامسن فيما بينهن. سكتت ثرشنط برهة ثم سحبت حسرة وقالت: كم الناس في هذا العالم حساد وينظرون بعين الحسد إلى أولاد الآخرين. ماشاءالله لديهم كل هؤلاء الاولاد والبنات، حفظهم الله لكن سمعت باذني زوجة الاسطه على الكبيرة تقول لكنتها: كيف ترعرعت بهذه السرعة وكبرت فهي طفلة الأمس. وفور سماعي ذلك الكلام ضربت بيدي على الطبلة مرتين أو ثلاث وبدأت بقراءة آية الكرسي والنفخ في الهواء لدفع البلايا وقلت في نفسي عين الحسود فيها عود.

وضع شوان سيطارة بين شفتيه وقال: لاتقلقي لمثل هذه الأمور كثيرا واتركيها، كلها بإرادة الله.

لم يمر وقت طويل فقد عادت سيران إلى أمها وأبيها وسمعتهما يتحدثان مرة أخرى عن عمتها وأخيها كاروان ويخشيان أن يعود كاروان الآن ويصادف عمته أمام الباب وستكون تلك مهزلة ممتعة.

تقدمت سيران من أمها وقالت: هل أخبرتني ماذا حدث هذا الصباح بينك وبين كاروان فقد كنت مستعجلة ولم أستطع الآنتظار لأعرف النتيجة؟.

تحدثت لها أمها عن موضوع أخيها وعبرت لها عن مخاوفها وقلقها . ولامست سيران خد أمها بيدها وقالت: لاتحزني ورغم أنني أحزن مثلما يحزن وقلقة لاتحزني فانني ساهدئ كاروان أيضا وعندما يعود سأتحدث معه وأستطيع تهدئته لذا لاتحزني ولاتهتمي.

شبكت أمها يدها حول عنقها وقالت: يابنتي أتمنى من الله أن يوفقك هكذا دائما في دراستك وينعم عليك. في الحقيقة انني قلقة على هذا الولد. وبدأ الوقت يمر حتى بلغت الساعة حوالي الثانية عشرة. وكان الاطفال الصغار نائمين وكان شوان متعبا منهكا وذهب لينام هو الاخر وكانت باجى خورشه وثرشنط جالستين وحدهما في الصالة تنعسان وكانتا تتكلمان بصوت واطئ بينهما.

قالت ثرشنط ألا يجوز أن مكروها قد حصل لهما؟ أين الصباح من الآن علماً بأني قلت لها بنفسي إذا تأخرتم إتصلوا بنا بالهاتف.

وكانت باجى خورشه التي استلقت قرب مدفأة علاء الدين وغطت نفسها بسجادة الصلاة يغالبها النعاس بين لحظة وأخرى لكنها حرصا منها على ثرشنط لم تكن تريد التوجه الى سرير نومها وكانت تجيب عن كلمات ثرشنط وتقول بلسان يغالبه النعاس: بربك لاتقلقي نفسك لأجلها إن الله وحده يعرف في أي ركن تقضيان وقتا ممتعا وانت حارمة نفسك من النوم وتقولين: ياترى ماذا يمكن أن يكون قد حصل لهما.

وقالت ثرشنط على غير رضا منها: نعم مهما يكن الأمر فان الدنيا ملأى بالف مقدور وان انقطاعهما عنا منذ الصباح لابد أن يكون له سبب فهما مهما كانتا امرأتان خرجتا ولم تعودا الى الآن فلابد أن نقلق عليهما. وخلال هذا النقاش انفتح باب الصالة ودخلت سيران الى الغرفة ورأسها مبلل وملفوف

بمنشفة وقالت باستغراب: ألم تأووا الى الفراش لحد الآن؟ وقبل أن ترد أمها لماذا لم تناما نظرت بلهفة اليها وقالت: لماذا في هذا الوقت المتأخر من الليل تذكرت وغسلت رأسك فرفعت سيران المنشفة من رأسها وبدأت بتجفيفه ومسح شعرها بالمنشفة وقالت: كنت أذاكر عندما تذكرت فجأة بانه ينبغي أن أتوجه غدا بعد الدوام الى حفل صديقة لي بمناسبة عيد ميلادها وسوف لا أستطيع القيام غدا وبهذا خلصت نفسي الآن وكأنني عثرت على شيئ . لكن لماذا أنتم جالسون هكذا ولم تذهبوا لتناموا وغدا ستنهضون مبكرا مع العصافير وتبدؤون مسرعين بالعمل.

قالت لها ثرشنط بنوع من الهم بانها قلقة على عمتها شكره ونجوى وما يمكن أن يكون قد حصل لهما إذ لم يسمع عنهما أي شيئ وتخشى أن تذهب للنوم ولا تسمع صوت جرس الباب فهما لاتحملان حتى المفتاح وهل يجوز أن تبيتا في الزقاق؟.

ضحكت سيران وقالت: كم أنت مسكينة وطيبة القلب، بالله هل يقلق الانسان لواحدة مثلها ويحرم نفسه من النوم .. ألا تعرفينها؟ قالت أمها: ماذا أقول يابنتي تراودني افكار سوء تقلقني وخاصة اني كنت قد طلبت منها أن تتصل بنا بالهاتف ، واضافت: ماذا أقول يا ابنتي، في النهاية هي محسوبة علينا اولاً وآخراً.

قالت سيران بشيئ من الحدة: أنا أقول فقط ان الموضوع لايستحق أن تضعي بسببه قلبك الطاهر في دوامة القلق ولاداعي للقلق (وأطلقت بصوت غير مسموع شتيمة) ولا تخافي عليها فهي والله تستطيع ان تقود أهل محلة بكاملها إلى نهر دجلة وتعيدهم عطشى. وكان الحديث لايزال على طرف لسان سيران عندما رن جرس الباب. فانتفضت ثرشنط وتحركت بسرعة وفتحت الباب فدخلت شكره خان ونجوى خانم تحملان العديد من الظروف والأكياس. كان

خدآهما محمرين وكانت شكره تتكلم والخادمة تـردد وسـط قهقهـة الضـحكات في ذلك الوقت من منتصف الليل.

نظرت اليهما سيران بابتسـامة ذات معنـى ثـم نظـرت الى أمهـا ورحبـت بهمـا ببرود و صعدت الى غرفتها.

نزعت شكره عباءتها من كتفيها والقت التحيـة وهـي تقـول: كيـف حـال الـدار وأهل الدار فاجابت ثرشنط: طيبون والحمـدلله .. أهلاوسـهلا بكـم كنـا قلقـين لم نسمع منكم أي خبر لماذا؟، كان يجب ان تكلمونا بـالتلفون فقـد راودتـني افكـار سوداء وخاصة بدأ الوقت يتأخر وهانحن الآن في منتصـف الليـل، فقالـت شـكره بابتسامة على شفتيها: آه أى سوق، لقـد فرغنـا منهـا منـذ مـدة طويلـة لكـن عندما كنا في إنتظار التاكسي وقفـت أمامنـا سـيارة صـغيرة ونبهتنـا بصـوت المنبه فلما نظرت وجدت كـلا مـن (أم رعـد وأبورعـد) فبـدءا بالسـلام والكـلام والقبلات حيث رحب الزوج والزوجـة بنـا وبعـد الحـاح شـديد أخـذانا الى بيتهمـا وبقينا حتى الآن وقد غادرناهم بالكثير من الاعتذار والالحاح الشديدين.

قالت ثرشنط مادام الأمر كذلك هذا جيد والحمدلله لم يحصل لكما شيئ.

أما شكره فقد بدت وكأنها تذكرت أنها ادعت المرض صـباحا لكنهـا الآن تبـدو وكأنها ليست الشخص نفسه لذا فانها بدأت بالتمثيل وقالت: يا ترى هـل وجـد لي شوان طبيبا؟.

أخفت ثرشنط ابتسامتها وقالت: أجل وجـد لـك طبيبـا لبعـد يـومين.. وكانـت شكره لاتزال واقفة وقالت وهي تتثاءب: الخير فيما حصل إذ لم يكن الموعد ليـوم غد بل لما بعد الغد لأنني مـدعوة مـرة اخرى غـدا في بيـت أم رعـد. أذاً طـاب مساؤكم ولنذهب للنوم ثم أسرعت ودخلت غرفتها.

وقالت باجي خورشه، ألم أقل لك، تلاحظين أنها لازالت تزغرد بينمـا كنـت أنـت غارقة في الهموم.

غطت ثرشنط فمها وضحكت ثم قالت: أخبريني عزيزتي باجى خورشه، لكن باجى خورشه لم تدعها تكمل حديثها وسبقتها وقالت: ولهذا فانها لن تكبر أبداً أما أنت ففي عمر بنتها لكنك بقلبك الابيض جعلت من نفسك اكبر عمراً منها. وفي الصباح مثل بقية الصباحات انشغلت ثرشنط بترتيب المنزل وإعداد الاطفال والفطور والشاي والمائدة.

لم يطل الآنتظار فقد سمع صوت التحية الصباحية من شكره وجوابها من نجوى يأتي من باحة المنزل وقد ظهرأنهما تردان على باجي خورشه واستعد الاولاد وتحركوا نحوالمدرسة ولحقتهم باجى خورشه لتوصيلهم وكذلك تبعتهم ثرشنط بالدعاء والنفخ في الهواء الى باب الدار. أدارت باجى خورشه وجهها نحو الولدين وقالت: هاتوا حقائبكم لأحملها عنكم هيا يا أبنائي، اسرعوا، فانبرى سيروان الذي كان يبلغ ثمانية أعوام وقال: كلا حقائبنا يجب أن نحملها نحن بدلا منك فزملاؤنا يسخرون منا ويقولون الطريق قصير جدا لكنكم لا تستطيعون حمل حقائبكم ولابد أن يحملها أحد بدلا منكم، فضجت باجى خورشه بالضحك وقالت: حقاًانك ابن هذه السيدة الرائعة. ثم قالت في سرها لاحظوا رغم كونه طفلا الا انه يعرف معنى الشفقة والعيب، اللهم ربي أطل عمره.

اوصلت باجى خورشه الولدين وعادت الى ثرشنط، ولم تكن شكره وخادمتها قد وصلتا لتناول الفطور لذا فان باجي خورشه وصلت بوجه باسم الى ثرشنط وقربت رأسها من أذنها وقالت بهمس: منهمكات بالتجميل وقد كن على عجل.

ضحكت ثرشنط وقالت هي الأخرى بهمس: يبدو أنهما تذهبان إلى مكان مهم جدا لأنهما قامتا بسرعة ثم استدركت قائلة: آه نسيت انهما معزومتان في بيت ابي رعد..

دخلت ثرشنط الى غرفتها لتعرف ماذا يعمل شوان فلاحظت أن شوان منهمك في تبديل ملابسه ويعد نفسه للخروج فحيآها شوان بتحية الصباح وقال: سمعنا صوت الجماعة ترى لماذا نهضوا مبكرين.

ضحكت ثرشنط وقالت :تقولان إنهما مدعوتان في بيت (أم رعد). لاأعرف من هو ابو رعد وام رعد. انحنى شوان الى الامام وانشغل في ارتداء حذائه وبعد الأنتهاء من ذلك رفع نفسه بنوع من المرارة وقال: ماذا نقول ليرحمناالله كيف سنقضي هذه الايام المعدودة.

توجهت ثرشنط نحو شوان وقالت هل ترى نفسك كيف بهذه الأنحناءة البسيطة وارتداء الحذاء أصبت باللهاث وكأنك تسلقت جبل طويذة، هذا يدل على أنك أصبحت بدينا. نهض شوان وقال: هذا صحيح فكلما آتي الى بغداد ولاأتحرك كثيرا واتناول طعامك الطيب بكثرة أسمن كثيرا.

نزلت ثرشنط وشوان معا من الطابق العلوي ودخلا الصالة لتناول الفطور وبعد وقت قصير دخلت شكره ونجوى في كامل قيافتهما واناقتهما وهما تضحكان. كانت شكره قد زوقت نفسها بشكل وكأنها تتوجه الى حفل عرس بل هي نفسها العروس. ثوبها كان مطرزاً كانت من الابريسم المذهب الغالي وكانت الكتافيات غير قابلة للوصف وكانت في تنافس شديد بحيث يصعب عليك تحديد أيها أكثر رونقا فضلا عن حزام اللؤلؤ والذهب والقلادة وسلسلة الليرة المتنوعة وشدة الرأس وقلادة الطاقية الذهبية، أما الخادمة فحدث ولا حرج فعلى الرغم من جو بغداد البارد الجاف كانت ترتدي ثوبا خفيفا ناعساً نحاسي اللون قصيرا يصل الى مافوق الركبة يحصر الخصر والصدر والنهدين جميعا. وبكلمة واحدة كان يبرز فيه مفاتن الجسم وشدت عليه حزاما ذهبيا رفيعا من النايلون وتلبس حذاءاً ذا كعب صغير وكانت ساقاها تبدوان في جواريبها النايلونية وكأنها من معروضات الفاترينة كي يشاهدها الناس وتجلب انظارهم.

كما أنها استعملت حمرة الشفاه والمساحيق الموجودة في غرفة الزينة لغرض إبراز وجهها وعينيها وشعرها المصبوغ باللون الذهبي الذي غطى كتفيها.

جحظت عيون ثرشنط وزوجها وباجى خورشه بحيث لم يستطيعوا أن يقولوا شيئا عندما رأوا هاتين الامرأتين. وبعد فترة من الصمت لم يكن يسمع أى صوت عدا صوت الاستكانات والأواني ورنين خبط الشاي وصوت التهام الطعام.

كسر شوان الصمت بعد أن قضم لقمته قضماً وبدون أن ينظر الى أى شخص قال: بالسلامة ان شاء الله إلى أين تنوون الذهاب؟ كانت شكره تمسك بسكينة ومنشغلة بالزبد والعسل اللذين تضعهما في الصمون الذي تحمله يدها. وضعت السكينة على الصحن الموجود أمامها وقالت بدلال: هل تقصدنا نحن؟ قال شوان: نعم أقصدكما أنتما ولاأقصد باجى خورشه. وكانت شكره التي كانت منشغلة بالطعام الموجود أمامها والذى كانت تبدو أنها كانت لاتشتهيه وفي الوقت نفسه كانت تريد أن تأكل شيئا، رفعت رأسها ونظرت الى شوان وبابتسامة ماكرة قالت: لم تكن الليلة هنا حتى اروي لك بأنه بالصدفة التقينا بام رعد وأبي رعد، وبمجرد أن رأياني لاتتصور ما فعلاه تجاهي، وبدأت بسرد ما فعلاه ازاءها يوم أمس، واليوم ستذهبان لبيتهما ايضا بناءا على دعوة وفي الليل ستتوجهان الى منزل اخر ومكان مغاير.

كان شوان واجماً وذهنه شاردا قطعت شكره خياله بضحكة قويه وقالت: يا اخي كنت أود أن اتكلم معك أين ذهبت؟ تعال. واستعاد شوان هدوءه وقال: والله انني افكر بك وبهذه الفتاة.. طيب ماذا تنويان الآن والى أين تذهبان؟ أذا كنتما تنويان الذهاب بالتاكسي فانني اتصور أنه يحتمل ان يختطفكما ولا الومه على ذلك مطلقاً.. والله لو أكون أنا مكانه وأوصل شخصين مثلكما لفعلت الشيء ذاته.

طرحت شكره بنفسها على الخلف من الضحك وقالت: يا مصيبة لماذا؟ أجابها شوان قائلا: لأنه عدا الأمور الاخرى ان الطمع في كل ذلك الذهب يغري الناس. الله يرضى عليك ماذا فعلت، الاتعلمين أن هذا المكان هو بغداد، لا بأس انهم يرون الملابس الكوردية كثيرا لكن كل هذا الذهب يجعل منك فرجة للناس.

أخذت شكره، رشفة من شايها وقالت: لا تخش فاننا لانذهب بالتاكسي بل هم يأتون لأستصحابنا.

قال شوان بامتعاض: حسنا ليجعله الله خيرا فقالت اختـه شكره بوجه بشوش: أنا أرتدي العباءة فكيف لهم ان يروا الذهب؟.

نهض شوان على قدميه وتحسس جيوبه وقال: مهما كان الحال أنت تعرفين الامور جيداً ولست طفلة حتى أقدم لك النصحية.

وكانت الكلمات لاتزال في فم شوان عندما طرق الباب فنهضت باجي خورشه وذهبت لتفتحه وتبعتها نجوى. وبمجرد وصول نجوى الى الباب عادت بسرعة وقالت بلهفة: باجي جاؤا لأخذنا.

انتفضت شكره وقالت: حسنا قولي ها انني قادمة ثم توجهت لتغسل يديها قليلا وامسكت بعباءتها ومدت رأسها الى ثرشنط والآخرين وقالت عند الباب: يا أهل الدار مع السلامة.

أجابت ثرشنط وحدها أما شوان وباجي خورشه فقد أجابا بصوت غير مسموع.

أشعل شوان سيطارة ووضعها بين شفتيه وقال: أرجو من الله أن يخذلك وتذهبي دون رجعة. أخذ نفساً هذه المرة من سيطارته بعمق وقال: منذ أن رأيتها كانت هكذا ولم تعر الدنيا أي أهتمام. ها تقدم بها العمر لكنها باقية على حالها لاتتبدل ولا تتغير. أظهر شوان حسرة عميقة وقال: بالله عليكم ماذا كان عليّ أن أفعل بها.

قالت ثرشنط بلهجة شبه غاضبة: يا رجل عسى الله أن يقلع عينها.. لماذا جعلتموها انت واولادك حجر عثرة أمام حياتنا الخاصة.. وهل تعرفونها الان

فقط.. فكما يقولون ان ما شبّ عليه المرء في الصغر لايتركه في الكبر.. ماذا تقول، مهما فعلت فانت الخاسر لذا اتركوها، ولا تزعجوا انفسكم كثيرا لأنه لايوجد شخص من معارفنا لا يعرفها، ولايعرف ماتعودت عليه.

قال شوان بابتسامة مفعمة بالتوجس: أخاف أن تقوم بالشيئ نفسه غدا لدى الطبيب، والله اني لن اذهب معها خطوة واحدة ان كانت هكذا متبرجة.. لكنه عاد ليقول في نفسه وهل تستطيع منعها من ذلك؟.

كانت ثرشنط متضايقة وغاضبة وقالت: كفى منذ ثلاثة أيام نسينا كل شيء عدا شكره خان وخادمتها اللعوب كيف جاؤا وكيف ذهبوا وماذا فعلوا.. لننه الموضوع هنا. وقفت ثرشنط على قدميها وتوجهت نحو باجي خورشه وقالت: لنلتفت الآن الى منزلنا ونعرف ماذا نفعل وماذا نطبخ.. لدينا الكثير من الملابس مطروحة هناك تنتظر الغسيل.

وبينما كانت باجي خورشه ترفع الاستكانات قالت: أما الملابس فلا تتحدثي عنها.. هذا اليوم لاأتركها قبل أن أغسلها جميعا رغم ان الجو ممطر ومغيم لكنني سأعالجها بالتأكيد.

***

وصلت شكره الى منزل أبي رعد الذي هو من معارفها وكانت قد جلست في السيارة بجانب شقيق أم رعد الضابط وقد تحدثا كثيرا في مختلف المواضيع وضحكا لحد الاشباع. كما أطرى الشاب كثيرا على ملابسها الجميلة واناقتها وذوقها لانه كان يعتقد أن عمرها بالكاد يبلغ خمسة وعشرين عاما لذا فانه ردد عبارة ماشاءالله عدة مرات.

كان واضحا ان الشاب يلتقي بشكره خانم لأول مرة لذا فانه قال لها بانه ضابط برتبة ملازم اول في الحبانية وجاء هذه الايام في اجازة الى منزل اخته لكن مع

الاسف لم يحضر يوم امس الى البيت ليتشرف بمعرفتهما ومن جانبها استطاعت شكره ان تسيطر على الشاب وتطير صوابه بغنجها وودلالها وأحاديثها الشيقة.
وصلوا الى منزل أبي رعد فنزلوا و استقبلتها أم رعد وعانقتها باشتياق ومع قهقهات وضحكات الخادمة دخلوا. كان المنزل جديدا ورائعا وكبيرا يطل من جوانبه الاربعة على بساتين البرتقال والليمون والنارنج والفواكه الاخرى والازهار والورود. ورغم ان الوقت كان شتاءاً فان اوراق وازهار بعض أشجار الفواكه والعنب قد سقطت بسبب البرد عدا أشجار البرتقال والليمون والنارنج والنخيل التي هي دائمة الخضرة ويستمر جمالها حتى في الشتاء، وقبل الدخول وصلوا الى مدخل عريض وواسع واخاذ يطل على ذلك البستان الجميل. وكان المنزل مزدانا من الداخل بالسجاجيد الفخمة والكراسي الغالية بحيث يظهر للوهلة الأولى أن صاحبه مترف وثري.
وأم رعد التي كانت تبلغ حوالي الأربعين من العمر رغم أنها لم تكن جميلة جدا الا أنها كانت ذات وجه بشوش فارعة القوام حنطية اللون وكان شعرها كثيفا ذهبي اللون وتنساب جديلتان طويلتان على كتفيها ورقبتها وتصلان الى خصرها وكانت ترتدي ملابس عصرية طويلة مغلقة ومحتشمة و في اصابعها عدة خواتم جميلة مع عدة قطع من السوار وفي معصمها ساعة ذهبية جميلة جدا.
توجهت شكره والاخريات الى الصالة الواسعة الجميلة وجلسن هناك وبدأن بالاحاديث والسؤال عن صحة بعضهن البعض.
قالت أم رعد: أهلا وسهلا بكم، والله بعد مغادرتكم الليلة بقينا نتحدث عنك وكان أبو رعد يتكلم ثم أتناول أنا الكلام الى أن شاركنا أخي حسن الذي اعجب بك قبل ان يراك وحتى انه قال: مع الاسف لم أكن في المنزل والله حتى لو كان لدي اعمال ومواعيد غدا فانني سألغيها وسأذهب بنفسي لاستصحابها معي فقط أريد منكم أن تعطوني العنوان.

وعند سماعها هذه الاحاديث كانت شكره تزداد غنجا ودلالا وتجعل عينيها ساحرتين أكثر وكأنها صبية وتشعر بالخجل والاستحياء من هذه الاحاديث فتضع ساقا على ساق. وعندما انتهوا من الاطراء والمديح بدأت شكره بالحديث عن (حسن) وتوجهت نحو أم رعد وقالت: حفظ الله اخاك انه من سلالة الامراء. ماشاء الله كم كان حديثه ظريفا لم أحسّ بنفسي الا عندما قال تفضلوا انزلوا فقد وصلنا. ثم ضحكت بقهقهة عالية رقيقة وقالت لم اشعر كيف انتهى سريعا ذلك الطريق المزدحم المكتظ بالناس والسيارات من (الاعظمية) الى (المنصور). ومرة اخرى كاد أن يغمى على شكره بسبب الضحك وقالت: لوكان الأمر بيدي لما سمحت بانتهاء الطريق بسبب طراوة حديث (الملازم حسن) ولذته.

انتفض حسن فرحاً وشكرها بوجه بشوش جدا وقال: أنت تستحقين أن يمطر عليك الناس لا بالحديث اللذيذ وحسب بل بالأوراد والأزهار.

نهضت أم رعد وقالت: ماذا تأمرين سأجلب لك بعض الكعك والبسكويت لتتناوليه مع الشاي.

أجابتها شكره بطريقة متحضرة عصرية: لا، اشكرك كثيرا، لاتتعبي نفسك فكاكه حسن أطال الله عمره حين دق الجرس كنت لازلت أحتسي أستكان الشاي لذا لا تتعبوا أنفسكم فنحن تناولنا الفطور.

فقالت أم رعد ضاحكة: اذا لا ألح عليكم الى أن تجوعوا تماما عند وقت الغداء. حسناً لأذهب أنا لاعداد الطعام، ثم توجهت نحو شقيقها وقالت: ياحسن إهتم بشكره خان ولاتدعها تشعر بالملل فأبو رعد على وشك العودة لأنه قال لن اطيل البقاء في الخارج و سأرجع سريعا فنظر حسن إلى شقيقته و قال بحرارة: احاول ان لا أدعها تشعر بالملل.

وبعد برهة حضرت خادمة المنزل حاملة صينية الشاي والقهوة ووضعتها أمامهم ثم عادت اليهم مرة أخرى بعد وقت قصير بصينية من الشربت وبعض

المعجنات. كانت الخادمة متوسطة العمر ترتدي رداءاً طويلاً أسود اللون وقد شدت رأسها بغطاء أسود مثل النساء العربيات وكلما كانت تخرج من الغرفة التي جلس فيها حسن وشكره ونجوى كانت تظهر شيئا من الامتعاض وتقول مع نفسها: وقانا الله، من هما هاتان الضيفتان اللتان جعلتا السيدة والسيد مشغولين بهما ؟.

وعندما كلفتها أم رعد للمرة الثالثة بتقديم بعض الاشياء لهما لم تتحمل الخادمة وسألت سيدتها من هي هذه السيدة ذات الملابس البراقة؟.

فأخبرتها أم رعد بانها من عائلة طيبة جدا ولديهم بساتين جميلة في مصايف شقلاوه وفي الصيف المنصرم كانوا ضيوفاً عندهم وخدموهم كثيرا وأمضوا أوقاتا ممتعة عندهم وقالت: هذه السنة ان شاء الله سنأخذك معنا لزيارة المصايف وسنجد شخصا آخر للأهتمام بالمنزل.

قضى شكره وحسن ونجوى مدة مناسبة مشغولين بالحديث وكان صدى قهقهاتهم يتردد ويسمع كثيرا.

سأل حسن شكره أي لعبة تحبين (الدومينة)، (الطاولة) أم (الشطرنج) فاجابت شكره بدلال: والله اذا كان ورق اللعب موجودا فانه هو المفضل وأنا احب لعبة (الكونكان) فقال الشاب: بعيني فانا أيضا أحب هذه اللعبة ومد حسن يده الى درج البوفيه القريب وأخرج شدة من ورق اللعب وضحك ثم قال: يبدو أن أذواقنا متشابهة. في هذه اللحظة انضمت اليهم أخته أم رعد وعندما شاهدتهم منشغلين باوراق القمار جلست هي أيضا معهم وقالت بأبتسامة لطيفة: أوه حسن لاعب ورق مشهور جدا وحظه قوي في القمار ويربح دائما. استعدت شكره وقالت: دعه يجرب نفسه معي وأطلقت قهقهة عالية ثم قالت: أعتقد أنه سيخسر معي.

سحب حسن المائدة الى جانبه وبدأ بخلط الأوراق وقال: لنرى. وتوجه نحو شكره وأكمل كلامه قائلا: والله يبدو من الآن أنني أخسر معك. بدأ اللعب وقامت أم

رعد الى اعمالها. وضعت نجوى ساقا على ساق ومدت يدهاالى بعض المجلات وانشغلت بها.كان ثوب نجوى ضيقا الى حد أنها عندما وضعت ساقا على ساق صعد ثوبها أكثر نحو الركبة ووصل الى الفخذ. أمسكت نجوى المجلة بيد وكانت مشغولة باليد الاخرى باطراف الثوب بدعوى أنها كانت تريد سحبه الى الاعلى نحو ركبتها على أساس أنها تريد أن تظهر للحضور أنها خجولة ولاترتاح أن تظهر ساقاها وركبتاها وفخذاها مكشوفة لكنها في الحقيقة ترغب في ظهور تلك الاجزاء والا لماذا كانت تضع ساقا على ساق وهي تلبس ذلك الثوب الضيق القصير.

كان كل من شكره وحسن منغمسين في لعبهما وكانا يتبادلان كلمات الاستهزاء والضحكات العالية بينهما الى أن وصل الأمر لحد أن ترتطم يداهما (بالصدفة) ببعضهما عند وضع الورق ورفعه وتوزيعه، لكن صوت جرس الباب أعادهما الى هدوئهما حتى لاتتزايد (الصدف) وذهبت الخادمة لتفتح الباب حيث وصل ابو رعد صاحب البيت الذي رحب بالضيفة بحرارة: يا هلا يا هلا كما ظل يتكلم وهو يمشي.نهضت شكره والاخرون احتراما وبكل شوق وفرح بدأوا بالتحية والسلام وقال أبو رعد: ها أنتم تلعبون، هنيئا لكم أما أنا فمنذ خروجي من البيت في الصباح دخلت في عدة مشاجرات. فقالت زوجته بلهفة: اية مشاجرة؟ ومع من لا سمح الله؟.

أجاب حسن ضاحكا وهو يرفع الورق ويرميه: أعرف أنا مع من كانت المشاجرة الاولى من الواضح أنها كانت مع السواق في الشارع لان كل واحد منهم يريد أن يسبق الآخر. أما الثانية، ولم يدعه أبو رعد يكمل كلامه وسبقه وقال: لندع هذا الموضوع حاليا وثم توجه نحو شكره ونجوى وقال: حسنا أهلا وسهلا بكما ثانية مع الأسف تأخرت بعض الشيء لكن لم يكن الأمر بيدي لم اكن اريد ان

أخرج اليوم لكن الحياة المليئة بالمصاعب لاتترك الأنسان يعيش مرتاحا حتى ولو ليوم واحد.

جلس أبو رعد قبالة شكره وتابع لعبها مع حسن لكنه نهض بعد فترة وصاح: أم رعد.. ارجوك أستعجلي فنحن جياع.

تم أعداد السفرة والمائدة بأكلات أم رعد التي طبختها بنفسها لأنها رغم امكانياتها الجيدة لم يكن لها طباخون، وكانت تقول لا أسلم أكلاتي بيد أحد ويجب علي أن أقوم بطبخها بنفسي فوالدتي عودتنى هكذا.

أجتمع الجميع حول المائدة وبدؤا باظهار امارات الاعجاب مثل الله الله ومدح المائدة والاطراء عليها وبدؤا بتناول الطعام.

قال أبو رعد وهو يقضم فخذ الدجاج الذي كان في يده: مع الأسف ألغي خروجنا هذه الليلة لأن صاحب الدعوة أصيب باوجاع في بطنه ونقلوه الى المستشفى ولايزال هناك، وقبل مجيئي زرته فوجدته متعبا ويقولون ربما كان مصابا بالمصران الأعور لذا فاننا أيضا سنبقى في بيتنا وسينضم الينا اثنان أو ثلاثة من معارفنا ونقضي السهرة هنا.

أظهر الجماعة أسفهم على ما اصاب الرجل المريض وسألته زوجته بيت من؟ ومن يأتون الينا؟.

أجابها زوجها الذي كان منهمكا تماما في تناول الطعام لأنه كان شرها كثيرا أجاب بفم مليء بالأكل: بيت أبو خليل وبيت أبو ليلى.

أظهرت زوجته سعادتها وقالت ألف أهلا وسهلا بهم فانني بانتظارهم منذ مدة، ثم سكتت وقالت بوجوم: طيب ما حدثتنا عن مشاجراتك، كنت قلقا جدا.. أية مشاجرات واجهت؟.

مرة اخرى كان زوجها أبو رعد يبدو بفم ممتليء وكأنه يخشى أن يهجم احدهم على المائدة الآن ويختطفها وكأنه لم يتناول الطعام منذ سبعة أيام وسبع ليال

فهجم على الطعام على هذه الشاكلة وبهذا الاسلوب، أجاب زوجته قائلاً: مثل جميع الأيام التي لاتسير فيها الأعمال بشكل جيد علينا أن نضع أيدينا في جيوبنا لتقديم الرشاوي لهذا وذاك حتى ينجزواعملا لنا وألاّفانهم يؤخرون أعمالنا. استمر الرجل في كلامه وقال: منذ اسبوعين وبضائعنا مطروحة في الكمارك وكلما أرسل من يقوم باخراجها يقولون له غدا أو بعد غد رغم ان مبانينا بانتظار هذه الأشياء المطروحة في الكمارك. ذهبت اليوم بنفسي وخضت معركتين أو ثلاث معارك صغيرة وفي النهاية دفعت بظرف الى جيب المأمور، ونظر أبو رعد بحرارة الى الجماعة وقال: قسماً بحياتكم لم يستغرق الأمر كله نصف ساعة حتى عاد وسلمني الأوراق كافة وقال ارسل سيارة لوري وتسلم بضائعك.

ضحك الجميع.. وتدريجيا انتهوا من تناول الطعام وانتشروا وبدؤا بغسل أياديهم. وبعد ذلك قدم الشاي وبعده الحلويات وخلال ذلك تبادلوا أطراف الحديث واخذوا قسطا من الراحة ثم نهض أبو رعد ومد يده الى ورق اللعب وتوجه نحو شكره وقال: الآن جاء دورنا أنا وأنت فلنبدأ. ومد حسن يده الى علبة الشطرنج وقال لنجوى: هل تعرفين الشطرنج؟ تعالي نلعب الشطرنج نحن أيضا.

أجابت نجوى بوجه بشوش وباسم وقالت: أعرفه جيدا. وجلس الاثنان حول الشطرنج وبدءا باللعب.

ظهر في تلك الأثناء أن أطفال المنزل عادوا من المدرسة لأن الدار امتلأت بالاصوات وتوجهت أمهم نحوهم. وبين آونة وأخرى كان يسمع صوت أحد الاطفال مع صرير الأبواب ورمي الأشياء وكان الوضع يبدو وكأن أحدهم ثار غضبه وبدأ بضرب الجدران والأشياء الأخرى في البيت بحذائه.

هز أبو رعد رأسه وهو يلعب وقال:

هذا ولدي الأوسط وربما اضاع شيئا ما وهو على هذه الشاكلة كل يوم وحال عودته من المدرسة اذا وجد أن أحدا حرك شيئا من مكانه يبدأ بالصراخ والزعيق هكذا ويضرب الأشياء والجدران بحذائه.. والخطأ يعود الى أمه التي جعلته يفعل هكذا فهي تداريه كثيرا وتحبه أكثر من كل واحد منهم.

أما حسن الذي كان خال الأولاد فقد ضحك وقال: الاطفال في هذا العمر يكونون مشاكسين ومتحججين.

توقف حسن عن لعب الشطرنج وقال لنجوى: اعذريني لأذهب وأعرف ماهي هذه الفوضى.. وقام وتوجه نحوهم.

نظر أبو رعد الى شكره بابتسامة وقال: تعرفين لماذا انتفض حسن وذهب بسرعة؟.

انه خاف من أن أذهب أنا وأضربه فهو مثل اخته يحب سعدي كثيرا.

قالت شكره بدلال: أنا لايشغل رأسي أي هم فالاطفال فعلا يجلبون الكثير من المتاعب والمشاكل، وأخي أيضا يعاني من نفس الحال بسبب أطفاله وأمهم تعاني الأمرين بسببهم فكل واحد منهم يحب أكلة معينة فهذا لايحب البصل والآخر يحب فقط الرز الأبيض واذا احتوى على طماطة واحدة أو قطرة واحدة من معجون الطماطة لايقرب فمه منه أما الآخرون فلا يأكلون الرز نهائيا وزوجة أخي تقضي الليل والنهار في المطبخ لأجلهم.

قال أبو رعد يبدو أن أولاد أخيك يحبونك كثيرا.

جعلت شكره عينيها ساحرتين وقالت: روحي فداهم وكيف لا أحبهم وهم يحبونني أيضاً وعندما أعود في الليل يتنازعون دائما بسببي فذاك يقول هذه الليلة أنا أنام عندها والآخر يقول كلا فالدور دوري وعندما يرونني يحيطون بي ويغرقونني بالقبلات.

غمز أبو رعد بعينه بهدوء وقال: يظهر أن أولاد أخيك ذواقون. غطت شكره فمها وأوقعت نفسها على الظهر من الضحك.

عاد حسن وهو يضحك وقال: اصبحت الدنيا مثل اللبن الراكد تماما

قال أبو رعد: ماذا فعلت؟

جلس حسن من جديد مقابل نجوى ومد يده مرة أخرى الى رقع الشطرنج وقال: ماذا فعلت، بقبلتين وكلمتين طيبتين ورشويين اصلحت الأمر.

ضحك أبو رعد بقوة وقال: ألم أقل اصبح كل شيء مرهونا بالرشوة وبعكسه لاتسير أمور أى شخص بصورة جيدة لكن ماهي الرشوة التي قدمتها؟.

قال حسن: وعد بالمصاحبة الى السينما، شراء كرة قدم له حسب مزاجه.. ضج الجميع معا في الضحك.. التهى الجميع فترة مناسبة بلعبتي الكونكان والشطرنج الى أن بدؤا يملون وبدأ الخدر يتسلل الى ارجلهم وأيديهم، لذا فقد توقفوا وبدأ بعضهم بالتمايل والأنحناء يمنة ويسرة.

مدت شكره يدها الى قدمها ودلكت ساعدها لمدة ثم نهضت وتوجهت إلى الحمام وقالت: يا للمصيبة الوقت متأخر جدا لقد نسينا أنفسنا.

قامت نجوى بجمع أدوات وأوراق اللعب وجلبت قطعة مسح وقامت بتنظيف الطبلات والموائد الموجودة أمامهم وجمعت أعقاب السطاير وقشور الفواكه وأخذتها الى المطبخ وتكلمت بعض الوقت مع حسن حول الاختلافات بين العربية اللبنانية والعربية العراقية وكيف أن بعض الناس لايتفاهمون مع بعضهم رغم ان اللهجتين عربيتان.

ذهب أبو رعد الى أطفاله.

غسلت شكره وجهها وهندمت رأسها وصدرها وياقتها وجددت مرة اخرى تجميل ملامحها بالمساحيق والكحل ودهنت شفايفها من جديد ومسحتها مع بعضها ورتبتها وعطرت نفسها بشكل مبالغ فيه وخرجت بغنج ودلال من الحمام والتقت في الممر الصغير بأبي رعد وكان يبدو انه كان ينتظر خروجها من بعيد لذا فانه أسرع اليها وبكثير من الود نظر الى جانبيه، وبعد التأكد من

عدم وجود أحد اقترب منها وأمسك بيديها وعصرهما بقوة وقال بهمس: آه يا روحي ما هذه الرائحة الطيبة.

قالت شكره بدلال وهمس: بربك لاتفعل هكذا أخشى أن يرانا احد، وضحكت بهدوء وهي تهمس: تماما مثلما حصل ذلك اليوم في شقلاوه عندما دخل الولد الصغير لكن الله كان رحيما بنا اذ لم يشاهدنا أحد ولم ننفضح.

قال أبو رعد بلهفة وبسرعة فائقة وبخوف: وماذا عسانا أن نفعل وكيف أستطيع أن اختلي بك.

انتزعت شكره نفسها من بين يديه وقالت بهمس: والله أنا أيضا لا أعرف. وفي تلك اللحظة سمعا وقع أقدام فدخلت شكره الى الحمام وصاحت بصوت عال نوعا ما: نجوى عزيزتى، نجوى هاتي لي ذلك الكيس.

وصلت أم رعد بسرعة الى باب الحمام وقالت بلهفة: ياعيوني شكره خان أي كيس تريدين كي اجلبها لك أنا، و بكل أدب أضافت من خارج باب الحمام: مع الأسف لم تأخذي قسطا من الراحة اليوم ولم تتمددي قليلا.

أجابتها شكره من داخل الحمام وقالت: أشكرك كثيرا عمر الله بيتكم، استرحت كثيرا فانا جالسة منذ الصباح الهو وآكل وهل قمت بنقل الاحمال كي أكون متعبة بينما انت واقفة على قدميك وقمت بطبخ كل هذا الطعام، اذهبي انت وتمددي قليلا قبل مجيء الضيوف.

خرجت شكره وتوجهت كلتاهما نحو غرفة الضيوف.

سارت شكره باتجاه (أبو رعد) وقالت: أم رعد تقول بانك تعبت من الجلوس. تلقف الرجل الكلام منها وقال والله أم رعد على حق اذهبي وتمددي قليلا.

هزت شكره خان كتفها وقالت: كلا فأنا لا أغفو أبدا في النهار ثم نظرت نحو خادمتها نجوى وقالت: أليس كذلك يا عزيزتي نجوى هل سبق أن رأيتني أنام نهارا؟ وضعت نجوى يدها بسرعة على رقبتها وهزت رأسها وقالت منذ أن

رأيت باجي وعرفتها لم أشآهدها تتمدد في النهار رغم حرارة الجو وطول النهار فكيف الآن في الشتاء.

نظر أبو رعد الى شكره من تحت وبهدوء سحب نفسا وقال: مهما كان فان التمدد والاسترخاء أمر مفيد جدا.

***

كانت غرفة الضيوف مزدحمة، وكان صوت قهقهة الرجال فيما بينهم مع صوت اصطدام كؤوس الشرب وصوت الاواني والملاعق وتناول اللبن والمزات ورائحة عطور النساء المختلفة وصوت حديثهن وضحكاتهن الناعمة المصطنعة في تلك الغرفة الواسعة المفروشة جيدا بانواع السجاد والمليئة بالمصابيح والكراسي والقنفات الفاخرة والغالية المزدانة والدافئة يرن وتختلط بعضها بالكامل مع بعض.

ورغم أن أبا خليل لم يكن عجوزا جدا لكن شعر رأسه كان أبيض بالكامل وكان قصير القامة مهندما وهادئا ورصينا وكانت ملابسه جذابة الظاهر من الملابس المستوردة من الخارج وكانت زوجته تشبه أم رعد كثيرا مما يدل على أنهما قريبتان لكنها بخلاف أم رعد كانت حركة جداً وذات ادراك سديد ونبيهة وخلال مدة قصيرة من وصولها الى هذا المكان انتقلت بين عدة أماكن وقامت اكثر من مرة بتفقد المطبخ والصالة وأطفال المنزل.. وعندما تعود الى الجماعة كانت تبدأ بالغمز واللمز مع الرجال وتتحدث أحاديث مضحكة تجعل الجميع يضحكون. لذا فان شكره كانت مترددة ازاءها نوعا ما وأعادت ترتيب مظهرها وجلست باحترام وتصرفت بوقار وكل من يراها الأن ولايعرفها كان يتصورها ملاكا بعيداً عن الخديعة والغش.

وكان أبو ليلى ضمن نفس المجموعة التي تضم صاحب الدار والرجل ذا الشعر الأبيض و كان واضحا أنهم جميعا من الاثرياء والمقاولين والمهربين ورجالات السوق.

كان أبو ليلى رجلا طويل القامة أبيض ورفيعا وكان نصف شعر رأسه قد سقط لكن هيأته كانت مرتبة ورشيقا جدا ونظيفا وكان عمره يبدو في حدود الستين.
أما زوجته فكانت بضة ذات شعر أسود ناعم طويل وكانت خفيفة الظل قصيرة القامة نوعاما لذا فانها كانت تلبس حذاءا ذا كعب عال رتبت نفسها بشكل جيد وكان عمرها أقل من عمر زوجها بكثير وهي مثل السيدة الاخرى كانت ثرثارة حركة وتحب المزاح لذا فان شكره عندما رأتها طارت روحها وتمنت مع نجوى أن تنشق الارض لتدخلاها وتخفيا نفسيهما بسبب المرأتين الفهّيمتين وسليطتي اللسان.
أشتدت حرارة المجلس وبدأت المرأة البضة بالحديث عن البدانة والحمية والاكل وانشغلت فترة بهذا الموضوع و عندما تحدثت في موضوع البدانة والحمية ضحك زوجها وصعدت قهقهته وقال: بدأنا مرة اخرى كم كيلو فقدت الشهر الماضي وكم زادت هذا الشهر وبفرح وضحك توجه نحو زوجته وقال: كم مرة طلبت منك أن تأكلي القليل وتتناولي فقط ما اصبه لك ستعرفين كيف تصبحين خلال شهرين (غزالة). ضحك الرجل بقهقهة اخرى وقال: لكنك تبقين جالسة و تأكلين حسب هواك وتملئين الصحون وتضعين الحلويات والباقلاوة أمامك وتستمرين في الاكل وفي النهاية تصيحين آه لقد سمنت. انفجر الجميع ضاحكين.

إنتهى الحديث حول الحمية ومد صاحب الدار أبو رعد يده بسرور وحرارة الى شكره خانم ومرة أخرى عرفها مع الاحترام المقترن بالاطراء والمديح بالضيوف وأضافت عليه أم رعد اضعافا الى الاطراء الذي قام به زوجها وقالت ما الفائدة ليتكم اصبحتم ضيوفها فعندئذ كنتم تعرفون كيف تكون السيدة والمرأة المقتدرة. كما هزت أم رعد رأسها وقالت ماذا أقول كل شيء يليق بها والله قلّما رأيت إمرأة مرتبة و كفوءة وحلوة مثلها. بعد مدة قصيرة بدأ الرجال بالحديث حول شؤونهم، وفي جهة اخرى من الغرفة اجتمعت النساء حول بعضهن

وبدأن بالحديث عن الملابس والمخشلات الكردية وكم من الذهب الوفير تملك المرأة الكوردية وكله من القطع الثقيلة مثل الحزام والشيال (لاطيرة) الذي يعلق بالرأس وكذلك (القلادات) والقطع الاخرى.

ثم بدأت شكره بالحديث كخبيرة تستقي معلوماتها من الكتب بايراد الحكم والكلمات المأثورة بحيث كان الحياء والمهابة يقطران منها ومن كلامها ووجهت حديثها الى النساء وقالت: تتحدثن عن مخشلات النساء الكورديات كأنها مبالغ بها وهل ما لديكن قليل من القطع الثقيلة؟ فقط الحجول التي تضعها المرأة العربية في قدمها تعادل قطعتين ثقيلتين من مخشلات المرأة الكوردية، ونسيت شكره نفسها وأظهرت المزيد من الدلال وجعلت صوتها أرق وقالت ياعيوني أنتن أيضا تملكن الاحزمة وأنتن أيضا تملكن قلادات الليرة وشبيهاتها.

وقد ظهر أن الشرب فعل فعله برأس أبي رعد ولم يبق لديه ذلك الخوف والتردد والصبر وكسر حاجز الخجل وكما يقال (الشراب والصواب) وكما معروف فان الكثير من الناس عندما يسكرون فان الأمور التي يستطيعون اخفاءها عندما يكونون واعين لا يتمكنون من اخفائها عند السكر لذا فانهم يباشرون باظهار رغباتهم وما يخفى في قلوبهم، لذا فان أبا رعد وجه كلامه الى النساء قائلا: ماهذا ولماذا ابتعدتن عنا وعزلتن انفسكن عنا بهذه الصورة؟.

فاجابت المرأة البضة فورا وقالت: والله لانكم تتحدثون عن المقاولات والانشاءات والساحبات والقلابات ونحن لانفهم في هذه الأمور ولهذا فاننا نتحدث في شؤوننا.

عند ذلك بدأ الرجل المعقول الهادىء ذو الشعر الابيض بالكلام ويبدو أن رأسه قد حما هو الآخر فقال: أبو رعد على حق تفضلن واقتربن منا وعهدا علينا ألاّنتحدث عن المقاولات وامور السوق.

وتحدثت الضيفة الاخرى التي تشبه أم رعد فاجابت الرجال وقالت: أحسنوا الينا دعونا وشأننا نتكلم كلمتين في شؤوننا.

ولم يطل الانتظار كثيرا اذ بدأ الرجال مرة اخرى بالاصرار ولماذا انتن بعيدات ويجب ان تقتربن منا.

نظرت الضيفتان الى بعضهما وتعجبتا من هذا الالحاح من الرجال حول وجوب الاقتراب منهم.

ادارت السيدة البضة رأسها وعضت على شفتها وقالت مع نفسها: متى واي ليلة عمل هؤلاء الرجال هكذا؟ بين ليلة واخرى نتجمع في أحد البيوت ويحصل ان النساء يدخلن غرفة اخرى ولايسأل عنا أحد لكن لاحظوا مايفعلونه هذه الليلة. لقد عرفت السيدة بذكائها وكثرة اطلاعها ان هؤلاء الرجال يفعلون ذلك بسبب هاتين السيدتين اللتين انضمتا الى لقائهن هذه الليلة.

بقيت النساء في أماكنهن، لم يمر وقت طويل اذ وقفت أم ليلى على قدميها وتوجهت نحو النساء وقالت الا تأتين لنذهب الى الصالة؟، ثم نظرت الى ساعة يدها وقالت: الآن يعرض فلم ممتع في التلفزيون ويجب الا يفوتني. بدأت السيدة الاخرى وصاحبة الدار بالضحك وقالتا هل هذا صحيح؟ ثم نهضتا فاضطرت شكره ونجوى للوقوف معهما.

لم يتمالك ابو رعد نفسه فنهض وقال: ماهذا وماهو قصدكن؟ هل تقصدن التلفزيون، سنجلبه لكن للغرفة الآن. أي كلام هذا، نحن لم نقبل بهذا الابتعاد القليل و تتصورن الآن أننا نسمح لكن بالانتقال الى غرفة أخرى؟.

احمر أبو رعد وعينه كانت ترى احماسا باسداس من أثر السكر لكن النساء لم يسمعن كلامه وتوجهن الواحدة بعد الاخرى الى صالة البيت وجلسن هناك ومن الواضح ان شكره ونجوى لحقتابهن. وبعد الجلوس ببضع دقائق بدأت شكره

بالتثاؤب ونظرت الى ساعتها وقالت: آه الساعة هي العاشرة ونظرت الى نجوى وقالت: الوقت متأخر جدا يجب علينا العودة.

أجابت الضيفتان وقالتا بالتناوب: الوقت لازال مبكرا والآن فقط اصبحت جلستنا ممتعة.

أما أم رعد المسكينة والساذجة فقد ضربت على صدرها وقالت: كيف تتحدثين عن الذهاب؟ والله قسما بحياة رعد وحسن لا يمكن أن تتحركا من هذا البيت قبل ان تتناولا العشاء. وبعد ذلك مباشرة نادت على زوجها وتحدثت له عن ذهاب شكره فجاء زوجها الى الصالة وتوجه نحو شكره وقال بعدم ارتياح: ماذا تقولين؟ تريدين الذهاب؟ قسما بالله لاتخطوان خطوة الى الخارج الا بعد تناولكما الطعام.

ثم نظر الى زوجته وقال هيا يا أم رعد استعجلي واصدرى الأمر بتقديم العشاء.

أظهرت شكره نوعا من الثقل والوقار وقالت: أي طعام والله لا أشتهي شيئا فقد تناولنا الكثير في الغداء. ثم اطلقت شكره قهقهة رقيقة وقالت: لم يتم هضم طعام الغداء لحد الآن ثم قالت بضع كلمات عن الصحة وطعام العشاء لكنها بسبب السيدتين الضيفتين لم تجرؤ أن تظهر المزيد من الغنج والدلال.

تم تقديم الطعام ومرة أخرى زينت السفرة والمائدة واجتمع الجماعة حولها وانفضوا وهم يتضاحكون ويخلطون بين النفاق والرياء والأنانية وكأن هذه الدنيا قد خلقت لهولاء الأقلية من الأثرياء والسكارى ذوي السكر الردىء.

بعد تناول العشاء استعجلت شكره المغادرة وقالت: والله علينا الذهاب لأنه تم الحجز لي لدى الطبيب غدا فنظر أبو رعد اليها بانزعاج واضح وبعينين شبه نائمتين وقال: لاحظي أنت لاتقيمين وزنا لأم رعد ولاحظي كم ترجوك أن تبقي عندنا هذه الليلة.

أجابت شكره بابتسامة خجولة مصطنعة وقالت: في الحقيقة لايمكن ذلك ويجب أن اعود.

فانبرى حسن قائلاً: إذا فانني سأوصلكما. لكن أبا رعد اعترض وقال: لايمكن، أوصلهم أنا بنفسي ثم نظر الى أم رعد وقال: لطفا هاتي لي تلك المفاتيح. وكان واضحا أن وعيه واحساسه كانا مع شكره.

بدأ الرجل ذو الشعر الأبيض الكلام بحرارة وقال رافعا يده:

لا أنت ولا حسن ستوصلانهما اذ أن أبا محمد جاهز في السيارة تماما وكلاكما سكرانان وليس من المعقول أن تسوقا.

لم يستطع أبو رعد الا أن يقول حسنا لكنه كان على وشك الانفجار وشتم في قلبه الف مرة الضيف والسيارة والسائق.

وصلت شكره الى منزل اخيها ودقت الجرس ففتح الباب. وجدت شكره أن البيت مزدحم اثنتان أو ثلاث من النساء مع بعض الأطفال كانوا جالسين في الصالة. كان صوت الرجال يأتي من غرفة الاستقبال. ثرشنط كانت مشغولة، باجي خورشه تتحرك وتتراكض يمنة ويسرة ومستعجلة ومشغولة كثيرا.

وضعت شكره العباءة على ذراعها ودخلت الى الصالة فقامت لها النساء وتعانقن معها بحرارة وبدأن يسألنها عن أحوالها، وبالمقابل رحبت بهن شكره بحرارة بالغة وكأنها تريد ان تذوب من اجلهن، ودخلت ثرشنط فجأة ورحبت بهن وهنأتها شكره لان أقرباءها جاؤوا من السليمانية لزيارتها.

شكرتها ثرشنط بوجه بشوش جدا وأجابتها قائلة: نعم جاء خالي وزوجة خالي وليباركهم الله وقد تزوج ابن خالي وهم الآن هنا لتجهيز العروس وخالي لا سمح الله مريض نوعا ما وقد جاء لمراجعة الطبيب.

وكانوا مستمرين في حديثهم هذا عندما دخلت فتاة رقيقة وطويلة في الثانية والعشرين من العمر فتوجهت ثرشنط بقلب مرتاح الى شكره وقالت: هذه هي عروسنا وتلك امها وهذه زوجة خالي وأنت تعرفينها.

تحدثت شكره بمنتهى الأصول وهنأتهم بحرارة بالغة مع الدعاء لهم ثم جلست لبضع دقائق واحتست شايا وقامت حيث القت نظرة على الضيوف وقالت: أرجو المعذرة لانني لا أستطيع الجلوس معكم لكوني مريضة نوعا ما وغداً عندي موعد مع الطبيب.

دعا الحاضرون لها بالشفاء وحيوها تحية المساء.

دخلت شكره غرفتها وتوجهت الى نجوى التي كانت قد دخلت مباشرة الى غرفتها بعد دخول الدار ذلك لانها لم تكن تريد دخول غرفة فيها مثل هؤلاء الضيوف (ذوات الرؤوس المغطاة من الريفيات المتخلفات) حسب رأيها ورأي سيدتها. ثم قالت ثرشنط مع نفسها: تتجول منذ الصباح بين الأزقة لكنها لم تتحمل الجلوس قليلا مع ضيوفي.

دخلت شكره غرفتها لكنها رجعت بسرعة ونادت على ثرشنط لتأتي الى باب الصالة وقالت وهي تتثاءب: ماذا تعملين فيما يخص المكان والمنام، اذا رغبت فليأت بعضهن الى غرفتنا.

أجابت ثرشنط وقالت: وكيف نضايقكم فلدينا والحمدلله الكثير جدا من الغرف.

تمايلت شكره وقالت: يا ماما أقول اذا كنتم متضايقين تفضلوا الى غرفتنا، ثم دخلت غرفتها.

على كل استقر الجميع وتوجه كل واحد الى مكانه. وفي صباح اليوم التالي نهضت ثرشنط و باجي خورشه مبكرتين من أجل الضيوف كالمعتاد. كما نهض أطفالهم وبدؤا بالاستعداد للمدرسة. بدت سيران الابنة الكبرى لثرشنط واجمة وغاضبة ذلك الصباح فاقتربت أمها منها وسألتها بهمس عن سبب انزعاجها فاجابتها سيران بوجوم: انتم تملكون فندقين واحد للجميع وأما الفندق المنزلي فخاص.

ضربت ثرشنط بكفها على خدها وقالت: يا سيران لا تتكلمي هكذا حتى لايسمعك أحد فخالي هو البديل عن جميع أهلي.

وقالت سيران بغضب هادىء: والألطف من ذلك أنهم قالوا لي في الليل: فديتك عليك أن تتعيي قليلا وتذهيي مع (سروه) الى السوق لأن سروه خان تقول انني معجبة كثيرا بذوق سيران.

قالت أمها بخوف ولهفة: فديتك ما المانع اذا فعلت ذلك.

وقالت سيران التي كانت على وشك الأنفجار: أنت على حق لم يكن هناك مانع وكنت أنفذ لكم ماتريدون بكل استعداد لو لم يكن لدي إمتحان، لكنني أهيئ نفسي في هذه الأيام لأن امتحاني صعب حتى ليس لدي وقت للتوجه الى الحمام. هزت سيران يدها ونظرت الى جانبيها وقالت بانزعاج: هذه الليلة لم تدعني باجي خورشه أنام نهائياً بسب شخيرها حتى انني وضعت القطن في اذني لكن دون جدوى وهذا بالإضافة الى كل الهموم.

وبسرعة توجهت سيران لجلب كتبها كي تغادر.

لم يطل كثيراً فقد نزل هذه المرة ابن ثرشنط الأكبر وتوجه نحو والدته وسلم عليها ثم سألها بشوق: امي العزيزة كيف هي صحة خالي، المسكين لم يكن حاله جيداً هذه الليلة فقد كان ظهره يؤلمه كثيراً.

نظرت ثرشنط بعين حزينة وخائفة الى ابنها وقالت: والله ياعزيزي قد تحسن بعد ذهابك والحمدلله اكثر، اعتقد ان آلام ظهره تعود الى الطريق وقد دعكته قليلاً ووضعت كيس ماءِ حار على ظهره فتحسن والحمدلله واليوم سيجد له والدك طبيباً ليزوره للفحص.

ثم قالت بهمس: عزيزي كاروان هل تلاحظ كيف تظهر سيران انزعاجها وتقول: لم هذا العدد الكبير من الضيوف وأنا عندي امتحان.

وضع كاروان يده على كتف امه وقال: لا تتضايقي ولا تعيري لها اي إهتمام فان قلبها يتحسن الآن وهي على حق فالبيت كان مزدحما جداً لكن بالنسبة لخالي العزيز واهله فاذا اردت فسأفرغ لهم الغرفة وأنا مرتاح.

وضعت امه يدها حول عنقه وقالت: فديتك أطال الله عمرك.
وصلت اليهم سيران ايضا وعرفت ان امها انزعجت من كلامها لذا فقد عادت اليها وقالت: امي الحبيبة ماذا أعمل عندي امتحان والاّ فانني سعيدة مثلك بقدومهم.
سحب كاروان ذراعها وقال بابتسامة: بالله لنذهب لا تثرثري كثيراً، امتلأت عينا امها بالدموع ونظرت الى السماء وفتحت يديها وقالت: يا إلهي أرجو ان تحفظهم.
اجتمع الضيوف كلهم في الصالة، كان خال ثرشنط قد تحسن لكن خلال تلك الفترة القصيرة منذ جلوسه سأل عن الطبيب مراراً، قال شوان بحرارة، اول عمل اقوم به بعد خروجي الآن هو البحث عن احسن طبيب لك.
كانت ام العروس تبدو لمن يراها مرتبة جداً وطيبة المعشر لأنها بمجرد الأنتهاء من الفطور شمرت عن ساعدها وبدأت برفع السفرة وقالت: هيا يا ثرشنط خان ماذا عندك من عمل لأقوم به نيابة عنك، وأي طعام تحبونه لأطبخه لكم.
ضحكت شفيقة خان وأضافت: ان طبخي لذيذ وليس سيئاً لذا فلا تخافوا من هذه الناحية.
اما باجي خورشيد التي كانت سعيدة جداً بزيارة الضيوف القادمين من (المدينة) فقد اصبح التعب كله نزهة عندها لذا فانها انتفضت وقالت، قسماً بمرقد النبي(ص) وغوث الطيلاني، لا تمدين يدك لأي شيء.
قالت ام العروس شفيقة خان: عزيزتي لا تحلفي هكذا فقد جاء أهل حي كامل لزيارتكم كيف يجوز الا نعمل ولا نساعدكم فوقفت وقالت: سادفع كفارة يمينكم ويجب ان تكلفوني بعمل والا سأعود الآن الى السليمانية.
أسرعت شفيقة خان الى السفرة وبدأت برفعها وقالت أختي أنا لم أتعود الكسل واصاب بالملل اذا جلست بدون أن أعمل شيئا.

ضحكت ثرشنط وقالت: طيب أمدك الله بالصحة والسلامة مادام الأمر كذلك فان طبخ الرز والبامية يكون من واجبك. وضحكت كلتاهما وقالت شفيقة بحرارة. على العين والرأس.

كانت العروس قد ذهبت لاعداد نفسها لان الاتفاق كان قد تم بين العريس وشوان على أن يوصلاها في طريقهما الى مكان ما. استعد كل من العروس والعريس وشوان واستودعوا الجماعة وغادروا. كانت فاطمة خان زوجة خال ثرشنط إمرأة متوسطة القامة بيضاء بدينة نوعا ما وكان لها وجه منسق وشكل محبب الى النفس غير انها كانت عبوسة على وجه العموم مقطبة الوجه كما كانت كثيرة الضجر تجاه كل عمل جيد أو رديء إذ كانت تجد فيه عيبا ما وكانت الطف النكات واكثر المشاهد اضحاكا بالكاد تثير بعض الأنفراج في شفتها.

كانت فاطمة خان جالسة بجانب زوجها مركزة نظرها على فم شفيقة خان أم العروسة عندما كانت تتحدث في تلك المواضيع مع باجي خورشه وثرشنط، وعندما لايراها أحد تغمز الى زوجها وتقول له بالنظر والاشارة: هل تلاحظها كم هي غمازة ولمازة وكيف انها بفمها المهذار شغلتهم جميعا.

ذهبت أم العروس مع باجي خورشه الى المطبخ حيث كانت تعمل وتعد الطبخ والطعام وتتهامسان احياناً اثناء العمل. ولأنه كان واضحا أن ام العروس لم تكن تعلم شيئا عن سمعة وشهرة شكره خانم فانها بدت منهمكة في السؤال من باجي خورشه حولها وكيف انها دخلت فعلا في قلبها لانها بحسبها امرأة محترمة كما انها جميلة ورشيقة. أما باجي خورشه فانها كانت تعض شفتها سرا وتجيب بنوع من الخبث وتقول في سرها يامسكينة لاتثقي بلسانها الذرب فهذه بامكانها أن تقود محلة كاملة الى نهر سيروان وتعيدهم عطاشى. وتساءلت شفيقة خان ياترى لماذا لم تغادر رغم أن الوقت حوالي الساعة العاشرة وانها من الممكن ان تكون مريضة. وتجيبها باجي خورشه بانها ستذهب الى العيادة

مساء هذا اليوم. ولهذا السبب لم تغادر وربما كانت متوعكة قليلا. وكانت ثرشنط تحوم في الصالة حول خالها وزوجة خالها وتريد أن تبين لهما كم هي فرحة وسعيدة بمجيئهما.

نهض خالها وقال أذهب لاتمدد قليلا. وضعت ثرشنط الشبشب أمام رجليه وأمسكت بذراعه باخلاص رغم أن خالها كان قويا وهادئا لكنها كانت تريد أن تظهر له كم تحبه هي وكم اصبح البيت منوراً بمجيئه.

أوصلت ثرشنط خالها الى غرفته ولم ترجع الى زوجة خالها فاطمة خان قبل أن تغطيه.

كانت زوجة خالها تريد أن تنفس عن همومها قليلا لاسيما و أنه لم يكن هناك سواها وثرشنط لذا فانها ضربت كفا بكف وقالت: سببنا لكم التعب والازعاج.

انتفضت ثرشنط وقالت: لا تقولي هكذا ومرة أخرى القت محاضرة طويلة حول مبلغ سعادتها بمجيئهم فهزت زوجة خالها رأسها بعصبية وعبوسة وقالت: لم يكن يحتاج ذلك، اصبحت الآن موضة أية فتاة تتزوج في السليمانية، لاترضى باشياء المدينة بل يجب شراؤها من بغداد، وبينما كان قباؤها قد تداخل مع ذراعها وساقها قالت: وقانا الله مكر بنات هذا العصر ثم تلفتت يمنة ويسرة ووضعت يدها على فمها وقالت بصوت واطىء. والله يا بنتي هذه كلها بتحريك من أمها وهي التي رتبت هذه الزيارة الى بغداد. ثم هزت زوجة الخال رأسها وضربت بهدوء على فخذها وقالت الله يستر من هذه المراة الساحرة فمجرد أن قال خالك أريد أن أزور ابنة اختي واعرض نفسي على الطبيب استغلتها المرأة لتنفيذ ماتريد. وبشيء من اليأس ضربت كفا بكف وقالت: والولد اصبح تماما مطية لها ولابنته ومنذ الآن ركبتاه معا.

وقالت ثرشنط بلهفة واستغراب: وماذا في ذلك يا زوجة خالي أهلا وسهلا بكم كلكم والله لو كان كاروان يتزوج لكنت أفرح بنفس القدر.

ضحكت ثرشنط وقالت: حفظك الله وسترك يا عزيزتى أنت تتحدثين عن شراء الجهاز في بغداد؟ ماذا تقولين لقد ظهر أناس الآن لايعجبهم أن يشتروا الجهاز حتى من بغداد بل يتوجهون مباشرة الى لندن او الى المدن الاوربية.

قالت وهي تضحك: كنت ذلك اليوم في منزل العمة آمنة وكانت أسرة الحاج طورون موجودة هناك ايضاً وقالت زوجته: أنتظر تحسن الطقس قليلا لآنني أريد التوجه الى لندن لأعرض نفسي علي الطبيب واشتري احتياجات مولود ابنتي نازدار. هزت ثرشنط رأسها وقالت: نعم اصبحت الدنيا هكذا هل تعرفين ذلك يازوجة خالي؟.

قالت زوجة الخال بنوع من الوجوم: والله لا أدري ماذا أقول يا بنتي.. يرى الناس أشياء ينتفض لها شعر الجسم باكمله. كم بسرعة يغير الناس أنفسهم وينسون الملابس والأحذية التي كان آباؤهم و أجدادهم يلبسونها.

بحركة من شفتها اظهرت زوجة الخال عدم أرتياحها وقالت: ليأخذ الله عمري كيف بهذه السرعة تغيرت زوجة الحاج طورون وبدأت بالسفر الى لندن وغيرها من المدن فهي الى ما بعد انجابها أربعة أطفال لم تكن قد رأت حتى كركوك وكان مرفق قبائها يحتوي على أربع رقع، فانبرت ثرشنط و قالت: والله يازوجة خالى ان الفقر ليس عيبا لكن تغيير النفس وهذا الثراء المفاجيء الذي ينزل على الناس هو الذي يصيب الناس بالدوار لأنه يوجد أناس يكدون طيلة أشهر السنة لكنهم يبقون مدينين لا يحصلون على قوتهم اليومي بينما شخص مثل حاجي طورون الفقير المعوز يصبح فجأة صاحب هذه الثروة.

وتنهدت زوجة الخال وقالت: ماذا أقول فواحد مثل خالك ظل يعتمد منذ عدة سنوات على ذلك الدكان لكنه بالكاد يدبر أحواله وأحوال أطفالنا وفيما عدا السنوات الأخيرة اذ تخرج الولدان ولله الشكر وأصبحا صاحبي رواتب.

ابتسمت زوجة الخال قليلا وقالت: لا أتوقف عن الشكر لكن راتبهما لايكفيهما فها هو كامران لايزال يعيش معنا ونصف مصاريف زواجه يتحملها والده. أما ابنه الكبير فلم يشتر لحد الآن صفيحة من المؤونة لعائلته وكلها يرسلها له والده. استمرت زوجة الخال في كلامها وقالت والله حسب علمي ان هؤلاء الذين يصبحون اغنياء فجأة وتهطل عليهم اكوام الدنانير لابد أنهم يمارسون نوعا من الخدع والحيل على الناس والسرقة من هذا وذاك، أرجو الا يؤاخذني الله على ذلك والا فهل تفجرت الينابيع لهم؟.

جاء صوت شكره ونجوى اللعوب وكانتا تتحدثان معا في فناء الدار وكانتا قادمتين معا نحو الصالة.

توجهت فاطمة خان زوجة خال ثرشنط نحوها وقالت: حقيقة نسينا اين كانت شكره خان التي تبدو كأنها استفاقت للتو من النوم.

ارادت ثرشنط أن تبرر قليلا لشكره فقالت انها مريضة ولهذا السبب نهضت متأخرة فهي أيضا جاءت كما تعلمين لمراجعة الطبيب.

سألت فاطمة خان وهل جاءت منذ مدة؟.

قالت ثرشنط فيما كانت تضع جمرات داخل السماور وتعد المائدة من جديد: كلا ليس منذ مدة طويلة فهي كلها ثلاثة أيام فقط.

دخلت شكره فجأة وتبعتها نجوى. سلمتا بحرارة على ثرشنط وزوجة الخال فاجابتها كلتآهما وسألتا عنها وانسحبت زوجة الخال وفسحت المجال أمام شكره. رتبت شكره نفسها ذلك الصباح ولم تبالغ في ارتداء حليها. واستعملت مساحيق باهتة وكذلك نجوى اذ يبدو أن شكره نصحتها بأنه يجب أن تظهرا نفسيهما باحترام أمام هؤلاء الضيوف كي لا يذكر وهما بسوء.

جاءت شكره وجلست بهدوء كسيدة محترمة وانشغلت بتناول الفطور وكانت ثرشنط قد اعدت شايا جديدا فوضعته أمامها ثم قالت:

اسمحوا لي ان أذهب وأتفقد شفيقة خان وباجي خورشه لأعرف ماذا تعملان.
خلال تناول الطعام بدأت شكره بالحديث مع زوجة الخال والسؤال عن صحة الاقارب وقربت نفسها كثيرا من تلك السيدة وتحدثت زوجة الخال لشكره عن جانب كبير من خطط أم العروس. وكانت شكره تصغي باهتمام وكثيرا ما تضرب بهدوء على صدرها وتظهر على وجهها علائم الاستغراب وتردد عبارات عدم الرضا على بنات هذا العصر.
وحين عادت برشنك وجدتهما تتحدثان وعرفت موضوع حديثهما فتألمت كثيرا من قلبها وبدأت تعتب في نفسها على زوجة الخال عما اذا لم تجد شخصا آخر تفرغ له ما في جعبتها غير هذه فهل هي نفسها مرتبة ووقورة جدا حتى يتم الحديث امامها عن الآخرين.
استغربت كثيرا من زوجة خالها وكيف انها وبهذه السرعة بدأت بالحديث بالهمس عن هذه العروس المسكينة وامها.
لم تجد ثرشنط اي مخرج واظهرت نفسها وكأنها لا تعرف حول اي موضوع تتحدثان لذا فانها بدأت سريعا بالكلام وتوجهت نحو شكره قائلة: بالله عليك كيف حال خاصرتك؟ أرجو أن تكونى قد نمت الليلة جيدا.. وهل أعطاك شوان عنوان الطبيب؟.
مدت شكره يدها الى خصرها وأمالت نفسها قليلا وقالت: والله لم أكن مرتاحة هذه الليلة ومنذ مدة وأنا يقظة لكنني كنت واجمه صامتة في سريري. مدت شكره يدها الى جيب قبائها الداخلي وأخرجت محفظة رقيقة صغيرة وفتحتها وقالت: هذا هو العنوان.. لحسن الحظ ليس بعيدا جدا سأتصل بالتاكسي الآن لياتيني الساعة الرابعة ويأخذنى.. وقالت برشنك لها: نعم تفضلي..
أجابتها ثرشنط قبل زوجة خالها وقالت: الحمام حار وطيب الا تذهبين لتغتسلي؟ أجابت شكره بسرعة وكأنها تزيح عبئا عن كآهلها وقالت: لايزال الوقت مبكرا جدا لست على مزاج طيب الآن.

ثم توجهت ثرشنط نحو زوجة خالها وقالت: لماذا لاتذهبين يا زوجة خالي العزيزة لتغسلي نفسك غسلة خفيفة كي يرتاح جسمك.

تحسست زوجة الخال رأسها وزلوفها بيدها وقالت: والله أنا نظيفة جدا اذ قبل مجيئي بيوم واحد اغتسلت جيدا.

فقالت ثرشنط على الفور: شفيقة خان ايضا قالت عندما انتهي من الطبخ سأذهب واغتسل.

كانت ثرشنط تريد بكلامها هذا أن تحث زوجة خالها فتشعر بالغيرة وتذهب لتغتسل وتترك الخوض في مثل هذه المواضيع.

بمجرد ذكر اسم شفيقة خان دبت الحركة في زوجة الخال وتحسست رأسها وشدة رأسها وقالت: نعم والله الاستحمام جيد رغم كوني نظيفة لكن لا اعرف لماذا يحكنى رأسي.

فرحت ثرشنط وقالت مادام الحال كذلك تفضلي واذهبي للاغتسال قبل الجميع فعندي صابون الرقي المعطر الممتاز وسأجلبه لك.

نهضت زوجة الخال بهدوء ووقفت على قدميها بتثاقل ورفعت طرف قبائها وقالت: اذا حسنا لأذهب واحضر ملابسي فقالت ثرشنط: ولتأت البنات معك ايضاً اذا اردت.

فردت زوجة الخال وقالت: اذاً عندما أخرج تستطيع ناسكه أن تغتسل وتغسل شنه ايضا.

التفتت زوجة الخال الى شكره وقالت: أذهب أنا أولا لاغتسل. مع الاسف لم نكمل حديثنا.

توجهت زوجة الخال نحو غرفتها التي ينامون فيها لكن التفتت نحو ثرشنط قبل ذلك وقالت: تعالي يا عزيزتي ثرشنط.

تحركت ثرشنط نحوها بسرعة وقالت: نعم تفضلي.

مدت زوجة الخال يدها وأخرجت صرة صغيرة من تحت إبطها وقد لفتها بعدة اكياس من النايلون والقماش العتيق والحرير ثم نظرت الى ثرشنط وقالت: ياعزيزتي احفظي لي هذه في مكان امين الى أن أخرج واعود من الحمام وسلمت الصرة اليها. وكانت الصرة تزن حوالي الكيلو من الذهب.

استمرت زوجة الخال في كلامها وقالت: فديتك هاتان قطعتان من الكهرب تعودان لي ولناسكه لم أجازف بتركهما في البيت فقد دخل السراق قبل ايام دار جارنا حمه صالح ومسحوها مسحاً.

قالت ثرشنط بحرارة: بكل ارتياح سأخذ الصرة واحفظها في مكان أمين وحسنا فعلت بجلبها معك ففي الدنيا الف مصيبة. أخذت ثرشنط الصرة ودخلت غرفة ولديها التي ناما فيها مع زوجها شوان.

وبهدوء انفجرت في الضحك وقالت دون أن تفصح: كنت أقول يا ربي ماهذا الشيء الذي تغطيه زوجة الخال بقبائها وتضع يدها عليه. مرة أخرى ضحكت ثرشنط بهدوء وقالت في نفسها ماشاء الله أرجو أن يكون عندك مائة ضعف أخرى منه لكن بربكم هل يسمي الناس هذا الشيء كهرباً الآن الله وحده يعرف ما يحتويه من مختلف الاشياء.

وضعت ثرشنط الصرة في خزانة محكمة واقفلت عليها الأبواب ثم وضعت المفتاح في جيبها وعادت بسرعة الى زوجة خالها وأخذت لها المنشفة النظيفة وصابون الرقي الى الحمام، ثم مرت على شفيقة خان وباجي خورشه في المطبخ، وتحدثت معهما عن بعض الامور وقصت عليهما بعض النوادر. كانت ثرشنط مشغولة لاتعرف أين تولي وجهها والى أي مكان تسرع. كانت تريد أرضاء الجميع و الآهتمام بضيوفها ومداراة مشاعرهم جميعا رغم ان ضيوفها كانوا متنوعين وكانت عاداتهم وسكلوكهم متباينة. كانت ثرشنط تحمل كل هذا العبء الثقيل ولم تكن تهتم بنفسها وكانت راحة نفسها تكمن في اسعاد قلوب من هم

قريبون منها على قدر الامكان وتوفير الراحة لهم دون ان تجعل نفسها تبدو مستاءة اومتذمرة. ومن الواضح أن كل هذا العبء كان على حساب صحتها وراحتها.

كانت أكلة (الثلاو) على وشك النضوج والبامية اليابسة الممتلئة البضة من السليمانية التي جاءتهم هدية قد استوت ونضجت مع قطع اللحم وعضلات الخراف الطرية البغدادية.

غسلت شفيقة خان يدها وأنزلت اكمام ثوبها وتوجهت نحو الصالة وفي طريقها انحنت ورفعت عدة قطع من الأكواب الفارغة وبعض الملاعيب الخاصة بالأطفال الذين كانوا قد تركوها هنا وهناك في الطريق.

دخلت شفيقة خان الى الغرفة والقت التحية فاستعادت ثرشنط بعض عافيتها لأن شكره كانت قد قامت وتوجهت الى غرفتها قبل مجيئها بدقيقتين او ثلاث.

قالت ثرشنط في نفسها: الحمدلله على كل حال والا كانت تبدأ بسرد النكات وتضحك عليها وتستخف بعقلها.

سألت شفيقة خان أين زوجة الحجي.

قالت ثرشنط والله اجبرتها بالقوة على دخول الحمام لتغتسل وعندما تخرج تفضلي أنت أيضا واغتسلي قليلا.

ضحكت شفيقة خان وقالت: أول أمس قبل قدومي اغتسلت لكنني مع ذلك سأذهب وقربت رأسها من ثرشنط وقالت بهدوء أبعد الله عنك اصبت بالغثيان في السيارة كثيرا ورغم أنني لم اسمح بأن أتوسخ لكن الافضل أن اغتسل، عمر الله بيتكم.

في تلك الاثناء دخلت ابنة وحفيدات زوجة الخال فقالت شفيقة خان اذا أقوم بغسل ناسك و شنه غسلة واحدة ثم توجهت الى ابنة زوجة الخال وقالت: عزيزتي ناسكه هيا احضري ملابسك وملابس شنه.

نهضت شفيقة خان على قدميها وقالت: لأذهب واعرف ما اذا كانت زوجة الحجي بحاجة الى شيء وأقوم بتدليك ظهرها.

قالت ثرشنط: لاتحملي نفسك المشقة فانها فرغت الآن حتما لأنها دخلت الحمام منذ مدة وقد مررت عليها عدة مرات.

تعجبت ثرشنط وقالت في نفسها: سبحان الله كيف هي هذه الإمرأة بينما تلك الآفة زوجة الخال تقول العجائب عنها. تحسرت ثرشنط وقالت في داخلها جزاك الله خيرا يا زوجة الخال على أعمالك وتصرفاتك!!.

كان المنزل مزدحما في المساء فقد عاد الأولاد من المدرسة والعريسان من السوق، وشوان كان مشغولا بالأهتمام بضيوفه كما عادت شكره ونجوى من عيادة الطبيب قبل قليل وكل غرفة كان فيها اثنان أو ثلاثة.

أمتلأت صالة الجلوس بدخان السطاير وبخار قوري الشاي والسماور وحرارة مدفأة علاءالدين واختلطت اصوات تناول حبات الرقي والشجر مع صوت تناول الفواكه ورائحة قشور البرتقال.

تحمس شوان اكثر في الحديث لضيوفه مرة عن اطفاله ومرة عن العمل والتكسب هنا وفي أربيل مع رواية بعض القصص عن الاحداث السعيدة والأصوات المحزنة.

أما (العريس) كامران فقد انفتحت مصاريع أبوابه للحديث لشوان عن السليمانية وعمله في دائرته وكان بين فترة وأخرى يتبادل النظرات مع العروس وكانت زوجة الخال تنظر اليهما معا وبين فينة وأخرى كانت تصدر تعليقات خفيفة.

جلس الخال في صدر المجلس بجانب زوجته وسأل للمرة الرابعة أين شوان؟، غدا في أي ساعة سنذهب الى الطبيب، مكان الطبيب بعيد أم قريب؟ هل يعرف الطبيب اللغة الكردية؟ هل أبلغتموه بأن خاصرتي تؤلمني مع ظهري؟ وبعد ذلك توجه الخال الى زوجته وقال لها بهدوء، هل جلبت قبائي وسترتي الجديدة؟.

أجابت زوجته وقالت: نعم وكيف لا أجلبها وماذا كان ذلك الذي علقته لك ثرشنط وقالت كي يبقى محتفظا تماما بكيّه.

كان الخال يحاول أن يتذكر قليلا لكنه في النهاية يعود ويهمس في أذن زوجته ويقول: لتبقى الفلوس لديك، ناوليني فقط أجرة الطبيب والأدوية.

ثم يقول شدة الرأس هذه غير نظيفة، غدا أشد الثانية أما أنا شخصيا فنظيف ولا أحتاج الى الاغتسال. وبعد فترة يتوجه الى إبنه كامران ويقول: غدا لا تخف نفسك تعال أنت أيضا معنا لتعرف مايقوله الطبيب لنا.

حضر شوان ونظر الى الخال وقال: خالي العزيز سآتي أنا معك والطبيب من معارفنا القريبين وهو طبيب خبير جدا وينتظر الناس عنده لأشهر الى أن يأتي دورهم. ثم قال وهو يبتسم: اتركوا لي هذه المسألة فسأحلها أنا سأضع شيئا في يد الفراش فيسمح لنا بالدخول رأسا.

ضجر كامران من الأسئلة العديدة التي يوجهها اليه والده لذا فقد قال بهدوء وصدق: حسناً يا أبي سآتي أنا ايضاً وأفعل كما تأمرني.

سكت الخال برهة وبدأ الاخرون بالحديث والضحك وفجأة توجه الخال نحو زوجته وقال لها: غدا سأرتدي البلوز تحت الملابس حتى لا أستبرد لأن الجو هنا بارد بردا جافا مزعجا.

كانت شكره جالسه لديهم وحدثتهم عن طبيبها ومرضها وأطلعتهم على أدويتها التي كانت أيضا عبارة عن مرهم مثل الفكس وكان الطبيب نصحها بتدهين ظهرها وخصرها مرتين في اليوم وتدليك رجلها ولم يكن يبدو عليها اي مرض جدي لأن الطبيب اعطاها ذلك المرهم وحده. بعد الحديث عن مرضها تبادلت بعض الاحاديث الطريفة واللطيفة مع العروس والعريس واسمعتهما بعض التعليقات ذات المدلول مثل: بحجة زيارة الدوائر والتسوق ذهبتما وسريتما عن نفسيكما.

ورغم ان العريس والعروس أحسا بنوع من الخجل ولاسيما أن الحديث جرى أمام الخال والآخرين فانهما ضحكا لما قالته ولم تكن والدة العروس قد سمعت قبلاً بشهرة شكره. وكانت كلماتها لطيفة وممتعة عند الكثيرين ويعتبرونها إمرأة ذات اطلاع على احوال الدنيا. ثم نهضت شكره ودخلت غرفتها.

رن جرس الهاتف فتوجه شوان اليه ورفعه بيده وبدأ بترديد هلاو هلاو وبعد الآنتهاء من السلام قال شوان بلهفة:متى، لماذا؟ وألم يقولوا ماهو؟، هو هنا، أم غادر.

كان الجالسون في الصالة يصغون بآهتمام لما يقوله شوان لانه كان يتكلم باهتمام وكانوا يريدون أن يعرفوا ما حصل.

استمر شوان في كلامه وقال أخيرا: حسنا سأدعوها حالا. ثم أشار الى ثرشنط وقال: لتأتي شكره وتتكلم. خلال توجه ثرشنط لاستدعاء شكره سأل الحاضرون من شوان عن الذي حصل فقال ان وكيله في اربيل يقول علي أن اعود لانهم يحتاجون الي وعلى شكره خان أن تعود أيضا لان زوجها كاكل اغا قد تمرض ورقد في المستشفى منذ يومين لكنه الآن قد تحسن وعاد الى المنزل.

وصلت شكره وكانت كمن يغالبه النعاس فغطت رأسها بسرعة بغطاء الرأس وسلمت على الحاضرين وأمسكت بالهاتف واربكت نفسها وقالت: ما موضوع المكالمة؟ نعم، من، متى، الا يقول لماذا. الايستطيع هو نفسه ان يكلمني.. وهل اتيت أنا للنزهة.

وبعد ذلك عبست وجهها وقالت: ماذا أعمل جئت منذ ثلاثة أيام. يأتي الدور هكذا، ثم وقفت برهة وقالت: طيب ليأتِ بنفسه ويكلمني. كان واضحا أنها تتكلم عن زوجها.. وبعد فترة قصيرة اتصلت مرة اخرى بالتلفون وقالت: حبيبي ماذا بك، خير ان شاء الله.. انا قلقة جدا.. الحمد لله انت الآن أحسن.. ماذا أعمل، أنا ايضا مريضة وذهبت اليوم الى الطبيب ووصف لي أدوية كثيرة وقال

لي: عليك الاعتناء بنفسك كثيرا وعدم اجهاد نفسك. أجابت شكره زوجها بدلال وقالت: طيب، طيب سأهتم بنفسي كثيرا وأحاول أن اعود بسرعة، في أمان الله.

وضعت سماعة الهاتف وقالت: والله طيب، يتصورون أنني اتيت للعرس. ثم وضعت يدها على خصرها وقالت: أنا ايضا مريضة ماذا عساي أن أفعل؟.

قال شوان: علي أن أعود بعد غد فلدينا عمل كثير. حدثت امور اذا لم أذهب تتحول الى عراقيل.

قالت شكره: حسنا وأنا أيضا سأعود لكن الوقت مبكر جدا بعد غد، ثم همت بدخول غرفتها وأثناء سيرها جعلت نفسها تبدو مشلولة وعرجاء وقالت: ترون حتى أن رجلي بدأت تحجم عن الحركة. وظلت تدردم إلى أن دخلت الغرفة وشتمت زوجها ودعت عليه بالسوء بينما الزوج المسكين نسي مرضه وكان همه منصبا عليها وصدق أكاذيبها كالمعتاد وكان يكرر عليها كثيرا: اهتمي بنفسك، وقلق عليها كثيرا.

وفي اليوم التالي مثل اليوم السابق بل وأكثر اذ أن ضيوفهم كانوا عبارة عن أقارب ومعارف كانوا يأتون لزيارتهم واكتظ المنزل كثيرا والناس كانوا يتداخلون وكل واحد كان مهتما بنفسه ويريد أن يحقق اغراضه وينجز أعماله الخاصة بشكل جيد عدا ثرشنط وباجي خورشه اللتين كانتا مشغولتين بمراعاة الضيوف ومداراة ملأ بطون كل هؤلاء.

هيأ شوان نفسه للعودة بعد يوم وكان يتدارس مع ثرشنط مسألة حالهم واحوالهم ومصرف البيت وتدبير أوضاعهم وأوضاع الضيوف.

أما الخال فكأنهم سيأخذونه مساءاً لاجتماع يضم الاف الاشخاص ويلقي عليهم محاضرة فكان مرتبكا اختلطت عليه الامور فينظر الى ساعته باستمرار. وكان ينتظر متى يأتي المساء حتى يأخذوه الى الطبيب. وكانت زوجة خاله بجانبه

وهي أسوء منه في ابداء الامتعاض خفية وكانت كثيرا ما تضرب زوجها بمرفقها و كانا في نزاع مستمر بصوت واطىء وكان معظم حديثهما يدور حول العروس وأمها.

وكانت زوجته تهمس في أذن الخال وتقول: مع الأسف ان ابننا استسلم نهائيا، فالله يعلم أي دعاء دعته عليه شفيقة خان الأفاقة الساحرة وكم عدد هذه الادعية. فقط لمجرد قولي بنتى خذوا ناسكه معكم الى السوق لأنها ضجرة ولترى بغداد رأيت سروه الطويلة تخلق المبررات والاعاذير حتى لاتصاحبهم ناسكه واخشى ان تسأم ناسكه وحينئذ فاننا لانستطيع اعادتها مبكرا كما علي أن أزور ابن العمة منيج أيضا في المستشفى الجمهوري فأبدت فاطمة خان امتعاضها باشارة من شفتها وقالت ماذا أقول بعد ذلك فقد رتبت مجموعة من الأعذار كي لا تأخذها معها الى السوق بل تذهب هي وعزيزتها سروه وحدهما.

وقال لها زوجها: دعيهم وشأنهم كي لا يأخذوها، غدا سأطلب من ثرشنط أن تأخذها معها وتتجول معها في الاسواق. وكاروان قال سآخذكم يوم الجمعة الى المكان الذي تريدونه.

كانت العروس وأمها تتحدثان معا في الغرفة الأخرى وكانتا تتحدثان عن زوجة الخال والدة العريس وقالت المرأة: مهما عملت من أجلها فان الغضب يبقى يتطاير من وجهها. منذ يوم أمس فقط احرجتني مرتين أو ثلاث، لا اعلم لماذا تعبس بوجهنا يابنتي لماذا جلبتموني معكم ماذا كان لدي من عمل هنا؟.

فأجابتها العروسة بلهفة واخلاص: طيب ولكن ماذا عملت أنت لهم؟ وكيف لاتأتين؟ كان كل أحلامك ورغباتك هي أنه عندما أكبر و أكمل دراستى، ثم أتزوج.. والآن عندما آتي لشراء الجهاز لا تأتين معي، والله لم أكن آتي الى بغداد بدونك.. وكيف يقبل الله ذلك؟.. عانقت سروه أمها وقالت: لاتهتمي نهائيا فكامران يحبك الى درجة لا توصف فهو يمدحك دائما وهو الذي قال بدون

أمك لانذهب.. قالت سروه بشيء من عدم الارتياح: لم نذهب بعد الى الاسواق المتميزة. أمس كان كامران مشغولا بأعمال دائرته وفي طريقنا الى البيت مررنا بالسوق لبعض الوقت واشترينا هذه الأشياء القليلة فقط.

هزت أمها رأسها وضربت كفا بكف وقالت: فدتك روحي في كل مرة عندما تعودين من السوق خذي اكياسك الى حماتك حتى تراها.

قالت سروه بحدة لماذا..؟

قالت أمها: لابأس يا ابنتي حتى لاتبحث عن الحجج ضدنا أكثر من هذا فليس لنا قدرة على تحمل تعليقاتها رغم يقيني بأنه حتى لو عملت هكذا فلن نتخلص من لسانها، لكن ذلك أفضل.

***

في ذلك الصباح بدأت شكره تهيئ نفسها فقد جاءت عدة مرات واتصلت بالهاتف.. كانت محتويات غرفتها مبعثرة فبدأت بالاستعداد مع نجوى، فكانت الحقائب مفتوحة هنا وهناك وكانت الملابس منتشرة على سرير النوم. وفي الخارج كان الهاتف يرن وفي بعض المرات كانت باجي خورشه ترفع السماعة ثم ترتبك وتطلب شخصا اخر وتقول تعالوا فديتكم لا أعرف العربية ولا أفهم ما يقولون.

واغلب النداءات كانت الى شكره وكانوا ينادونها وكانت تأتي بغنج ودلال وترفع السماعة وتبدأ بالكلام ويكاد يغمى عليها من الضحك الى أن تنتهى المكالمة.

مرة اخرى نادوها أيضا على التلفون فبدأت شكره بحلف اليمين والقرآن مع ابداء الأسف لأنها لاتستطيع تأجيل سفرها وعليها أن تعود بعد يومين وانها لم تنته من التسوق. وفي النهاية كانت انهت حديثها بقولها:

طيب عندما آتي الى السوق انتظركم في المكان نفسه الذي التقينا فيه ذلك اليوم ثم ودعتهم ووضعت سماعة التلفون. ونظرت الى من حولها ولم يبق سوى

ثرشنط فقالت: سأذهب الى السوق هذا اليوم ايضاً لاتسوق ما يخصني. وأنتم لديكم ازدحام شديد لذا لا تنتظرونا هذه الليلة.

وردت ثرشنط: وهل منعتنا أنت من أي شيء؟ فالمكان متوفر والحمدلله، أخشى أن لاترتاحي إذا نمت في مكان آخر. أرى أنه لامانع في النهار لكن الافضل أن تعودي ليلا الى بيتنا.

لوت شكره عنقها وقالت: أنا أيضا لدي معارف وأصدقاء كثيرون وهم أيضا يحبون أن أبيت لديهم ليلة، فقالت ثرشنط وهي ترفع آنية وتضع غيرها: اعملي ما يروق لك وبما تشتهين لكنني كنت أود بسبب ضيوفنا هؤلاء أن تعودي ليلا فذلك يكون أفضل.

قالت شكره بصوت خافت: سأرى وأحاول أن أعود فأنت على حق حتى لايقول الضيوف انها لم تكن مرتاحة منا فذهبت لتنام في بيوت ألاخرين.

تحسرت ثرشنط وقالت في نفسها: ما دمت تعرفين هذه الامور لماذا تضربين الدنيا عرض الحائط.

***

في مساء اليوم التالي اجتمع الجمع مجددا في الصالة الكبيرة في منزل ثرشنط . بعد تناول الطعام وضع الخال كيس الأدوية أمامه وقرأ له كامران التعليمات الطبية للمرة السادسة وبدأ بارشاده وترتيب الأدوية وبيان ان الحبوب الحمراء يجب تناولها ثلاث مرات في الصباح والظهر والمساء، والحبوب البيضاء حبة واحدة بين ليلة وأخرى. وكلا النوعين بعد تناول الطعام. وهذه الزجاجة التي تحوي هذا الماء الابيض تتناول منه ملعقة اذا أحسست بأن معدتك غير مرتاحة ومنتفخة والملعقة موجودة معها وهذه هي. وكان يبدو أن الخال لم يرق له الدواء وشروحات ولده لذا فانه توجه الى ابنته وقال: بنتي اجليي لي تلك العوينات لأقرأها بنفسي أيضا، وهكذا ظل ينظر الى هذه الزجاجة ثم الزجاجة الثانية

وجلبت ابنته العوينات وبدأ الخال بالنظر اليها رغم أنه لم يكن يتقن العربية لكنه كان يقرأ الكوردية جيدا كما أنه كان واضحا أنه لايفهم ماكتب عليها لذا اعاد وضع الزجاجتين في الكيس وسلّمهما الى زوجته (أمينه الصندوق) اذ كانا يجلسان دوما معا.

نادى الخال على ابنه وقال: ولماذا لم يصف لي شيئا لعلاج ظهري؟.

كان كامران على وشك الآنفجار بسبب وساوس والده وكثرة كلامه ورغم أدبه في حضور والده وهدوئه واحترامه له كان ينغص من الحاح ابيه غير انه أجابه بوجه باسم قائلا: ياوالدي العزيز، الطبيب نفسه هو الذي يعرف السبب.

لم تدخل هذه الكلمات قلبه ولم يكن مرتاحا لها لذا فانه هز رأسه وقال: لاجدوى فيه فلم يكتب لي لا ابرة ولا أعطاني دهنا لخاصرتي و ظهري.

ضحك كامران وقال: هذا معناه أنك والحمدلله بصحة جيدة جدا ولا تحتاج أي شيء اخر، ثم قال بابتسامة: الطبيب قال والدك والحمدلله طبيعي جدا و ياليت قلبي كان مثل قلبه. وسعل الخال سعالاً خفيفا ومد يده الى شدة رأسه وعدل هندامه. في هذه الأثناء جاءت ثرشنط فجأة عندما كان كامران يتحدث عن والده ولهذا سألت ثرشنط بفرح وقالت: اللهم يكثر خيره، اللهم أبعده عن العين.

نظرت ثرشنط الى الجماعة وقالت: لا تنسوا نحن غدا مدعوون في دار العمة آمنه على العشاء، فهي الحت كثيراً على هذه الدعوة.

كانت شفيقة خان أم العروس وابنتها منشغلتين معا في الحديث في أحد جوانب الصالة، وتوجهت نحو ثرشنط وقالت: أرجو الاتؤخذيني يا ثرشنط خان أود أن أسأل لماذا لغة بنات خالتك الكوردية ليست مضبوطة وهن يشبهن عربيات تعلمن اللغة الكوردية حديثا..؟

ضحكت ثرشنط وقالت: والله لا أدري ماذا اقول ان عمتي آمنه منزعجة كثيرا من أن بناتها يفعلن هكذا بانفسهن برأيي ان الكردي اذ تحدث داخل بيته

مع زوجته واولاده باللغة الكردية فانهم يتعودون التلفظ الصحيح إنهن هنا منذ أمد بعيد وتربين في بغداد، لذلك فكرديتهن مكسرة.

تدخل الخال وقال: يا بنتي، هؤلاء يفعلون هكذا بانفسهم متقصدين فبعضهم يخجلون أن يقولوا أنهم كرد ويتكلمون بالكردية.

استمر الخال في كلامه وقال: منذ زمان كان لي صديق نفته الحكومة مع عائلته وأطفاله بسبب توجهاتهم القومية الى جنوب العمارة وتلك الأنحاء. وكان له أطفال صغار ولم تمر سوى سنوات حتى تعودوا الحياة هناك وبدؤا بالعمل والكسب. وبعد فترة طويلة تحسنت الظروف بعض الشيء فعادوا الى السليمانية. ورفع الخال أصبعه وقال بحرارة. قسما بالله وبذات الجلالة عندما رأيتهم وزرتهم كنت أتصور أنهم وصلوا للتو من محلة صابونكران وذلك بسبب جمال لغتهم. وقال الخال سألت من صديقي بتعجب كيف يتكلم هؤلاء الأطفال هكذا باللغة الكردية؟.

قال: لأن التكلم باللغة العربية في المنزل لم يكن مسموحاً بل كنت احثهم على التكلم بغلة الأم. أخذ الخال رشفة من الشاي وقال: الذنب ذنب عدم أصالة آباء وأمهات هؤلاء الاطفال لسماحهم لأطفالهم لنسيان لغتهم.

وتدخلت ثرشنط من هناك و قالت: خالي العزيز أبعد الله الشر عن الخالة آمنه هل تعرف كم تتألم لأن بناتها على وشك نسيان لغتهن الكردية؟.

أراد كامران أن يغير الحديث فتأفف وقال: والله مكان كاكه شوان ظاهر ترى هل يكون قد وصل أربيل الآن.

نظرت ثرشنط الى ساعتها وقالت: ربما كان الآن في أطراف أربيل لأنه قال ربما أبقى ساعة أو ساعتين في كركوك.

تكلمت باجي خورشه وقالت: نعم والله بعيد الشر عن الاطفال وعنكم يبدو المنزل فارغا خاويا وثم قربت رأسها من ثرشنط وقالت بوجوم: عندما خرجت

(سيبه ر) من المدرسة سألت عدة مرات وقالت: أخبريني باجي خورشه هل ذهب والدي فاجابها (سيروان) بحدة: ألم تشاهديه صباحا وهو يضع حقيبته في السيارة؟.

كان واضحا أنه كان حزينا على سفر والده ولهذا السبب فقد أنفعل، واصلت باجي خورشيدة حديثها وقالت: طوال الطريق سكت الأثنان الى أن وصلا البيت بينما كانا سابقا يكثران من الركض والقفز والضحك في الطريق كنت أعاني وأشكو منهما.

قالت ثرشنط بابتسامة: تريد الحقيقة حتى الكبار يظلون حزانى مشدوهين عند سفر والدهم لكنهم لايقرون بذلك.

تدخلت شفيقة خان وقالت: نعم أطال الله عمره هو طيب المعشر معهم وينشغل بهم دائما وكنت الاحظ ذلك في الايام السابقة ماذا كان يفعل من أجل هؤلاء الأطفال أدام الله حياتهم ولايفرقهم عن بعضهم يضحي براحته من أجلهم.

أجابتها ثرشنط وقالت: نعم والله انه يراعي مشاعرهم كثيرا، لكنه يلومني ويقول ضحيت بنفسك من أجلهم.. لاتعتبريه عديم المبالاة فقلبه رحيم.

بدت ثرشنط منزعجة وغير مرتاحة بعض الشيء. كان ضيوفها والمقيمون في المنزل يتصورون ربما كان ذلك بسبب سفر زوجها لكنهم لم يكونوا يعرفون ان انزعاجها لم يكن بسبب زوجها. بل بسبب شكره خان التي خرجت منذ الصباح على أساس أنها ستغادر غدا وتهيء نفسها والآن الدنيا ليل والساعة تجاوزت العاشرة ولازالت هي في الشوارع والضيوف سألوا عنها عدة مرات وقالوا ها قد حل الليل ماذا حصل لهما ولم ترجعا؟.

كانت والدة العروس خاصة قد سأمت من نظرات زوجة الخال وكانت تتمنى عودة شكره حتى تروي لهم بعض النكات و تقوم ببعض الحركات التي تظهر أنها ماشاء الله كانت سيدة مطلعة على الدنيا وذات لسان وكلام ممتع. لكن

هذه المسكينة كيف لها أن تعرف حقيقتها وانى لها بأن تعرف كم هي ذات وجهين وحيالة وساحرة بل وأنها ذات الف وجه، بينما الآن تظهر نفسها على أنها امراة بسيطة وكاملة وهي لاتعرف أنه اذا عرفت واحدة من أعمالها القذرة النجسه المتجردة من الاخلاق ماكانت تتحمل البقاء في المكان الذي هي فيه ولكن مع ذلك تراهم يتحدثون معها ويخاطبونها بلغة تفضلي تفضلي ويجلسونها في صدر المجلس ويقومون احتراما لها في حين يعرف الله وحده في أحضان من كانت قبل ساعتين أو ثلاث رغم كبر سنها وسنوات عمرها.

في أحيان كثيرة عندما كانت ثرشنط وزوجها شوان يجلسان معا للتنفيس عن كربهما يظهران عدم أرتياحهما من شكره و فضائحها كانت ثرشنط كثيرا ما تمرر يدها على وجهها وتقول: يا ربّي الحمدلله والف شكر لانك لم ترزقها باطفال فعندما يكبرون ويطلعون على شهرة تلك الأم التي لاتلتزم باية قيود، ترى ماذا يصيبهم من عقد وخجل.أما لو كانوا أناسا طيبين فان الناس إكراماً لهم كانوا يغضون الطرف عن تصرفات أمهم و لايواجهونها بها كما يفعلون الآن مع شوان وأولاده، ومع ذلك كان هؤلاء الاطفال يتوجسون و يضعون أيديهم على قلوبهم وكل واحد ينظر اليهم نظرة مختلفة ويتصورون أنهم يفكرون في أعمال أمهم وكان من الممكن أن يصبحوا جبناء أذلة ويقبلون دوما بظلم الآخرين حتى لايذكروها في نزاع لها أو مشادة بطعنة في أمهم.

كانت ثرشنط تقول من أعماق قلبها: الحمدلله ياربي لحرمانك هذه الامرأة من شرف الأمومة وتلك الخصال القيمة وكثيراً ما كانت برشنك تتحاور مع زوجها شوان حول هذا الامر وكان شوان يرد بضيق وعدم ارتياح وبأبتسامة ملؤها الحسرة: أنت تقولين كلاما غريبا ولاتعرفين الناس و كم هم مهتمون بمصالحهم وذووا وجهين. قسما بحياتك أعرف عدة أشخاص لكل واحد منهم رهط من الابناء والبنات وكانوا سيئي الصيت وعديمي الأخلاق مثل شكره لكن مع هذا

فان الناس يستقبلونهم بالترحاب في المجالس ويبرز أبناؤهم وبناتهم صدورهم وهم في المقدمة وأزواجهم كمن لم يسمع أو يرى شيئا لذا لاتفرحي نفسك بالقول انها لم ترزق باطفال.

***

كانت شكره حيالة وخداعة وذات لسان لبق تستطيع دوما تدويخ الناس وجعلهم مترددين ومتقلبين ازاء تصرفاتها وأخلاقها وقليل من الناس يصدقون من قلوبهم ومائة في المائة أنها امرأة خفيفة و سيئة السلوك الا هؤلاء الذين كانوا يقضون أوقاتا ممتعة معها، وحتى هؤلاء كيف لهم أن يتحدثوا بسوء عنها لأن شكره كانت تنتقي أصحابها بذكاء لذا فان هؤلاء لو نطقوا بكلمة واحدة فأنهم كانوا يسيئون الى أنفسهم قبل الاساءة اليها لذا فانهم حفاظا على سمعتهم من أجل عدم المساس بأطر حياتهم الأسرية والعائلية كانوا يلجأون الى الأخذ بالمثل القائل لامني كلام ولامنك كلام.. وكانت شكره مطمئنة لتحقيق ماتريد واذا راق لها أي شخص كانت تلف حبائلها حوله ولاتتركه الا بعد ايقاعه في شباكها.

كانت صبيحة يوم جمعة وكان الاطفال جميعا في البيت لذا فان ثرشنط وباجي خورشه نهضتا من النوم في وقت متأخر نوعا ما عن بقية الأيام. وبعد برهة بدأتا باعداد الفطور وانجاز الاعمال اليومية.

أما شفيقة خان التي سمعت أصوات فتح واغلاق الباب وتدفق الماء من الحنفيات والحديث الذي جرى بين ثرشنط وباجي خورشه وصوت الاستكانات والأواني فقد نهضت بسرعة ووقفت مستعدة لمساعدة ربة البيت.

كانت اشعة الشمس مريحة في ذلك الصباح وأضفت المزيد من البهجة على الصالة الكبيرة في منزل ثرشنط وجعلتها اكثر دفئا ونورا كما غيرت السجادة الايرانية الحمراء والموردة اكثر بهاءا وسحرا للقلوب. وقد ازيحت جميع ستائر النوافذ التي كانت نوافذ بالاسم فقط لكنها في الواقع كانت واجهة كاملة من

الزجاج المطل على الشرفة وحديقة صغيرة لازالت شجيراتها ضعيفة وصغيرة لان المنزل نفسه كان حديثا ولم ترتب حديقته بعد بشكل تام.

كان صوت سماور ثرشنط يسمع في احدى زوايا الصالة وكان بريق قوري الشاي و الاستكانات واضحا للعيان. وكانت رائحة الرغيف والصمون الحارين وجبن أربيل اللذيذ تجتذب الناس من بعيد لاسيما وان سيدة مثل ثرشنط التي تملك الطهر في نفسها وقلبها وترتدي تلك الملابس الناصعة هي التي تعد الشاي. وهي رغم بلوغها ذلك العمر فانها لم تضع على وجهها اي نوع من أنواع المساحيق والاصباغ المصنعة الانادرا. وكانت سيماؤها توحي بالهدوء والاحترام وكان تأثيرها على شوان نابعا من سلوكها الممتاز بحيث اصبح الضمانة الاساسية التي تجعل شوان يتردد بالتفكير يوما بالتسيب والآنفلات. وقد تحول من ذلك الانسان الفارغ فيما مضى الى هذا الرجل المنظم الذي يملك مضيفا محترما.

***

دخلت شفيقة خان الى الصالة بوجه بشوش وبقيافة محببة وباسمة وسلمت على الجميع وسألت عن احوالهم وبدأ الاخرون بالوصول تدريجيا. وجاءت العروس وجلست بجانب أمها. توجهت أمها شفيقة خان نحو ثرشنط وقالت بابتسامة: ثرشنط خان لاحظى سروه في اوقات الصباح كم هي تبدو عبوسة ولاتزول عبوستها الا بعد أن تشرب عدة استكانات من الشاي من يديك الحلوتين.

فبدأ الجميع بالضحك.

قالت سروه التي ضحكت اكثر من الجميع بكلام أمها: الله يسامحك يا أمي متى كنت عبوسة. مرة اخرى ضج الجميع بالضحك.

مدت شفيقة خان رأسها نحو باب الصالة وقالت: مآهي الحكاية لماذا لم ينهض الحجي و زوجة الحجي وقالت ابنتها وهي تضحك: يا ماما أصيب رأسنا بالصداع من أجل الشاي، لماذا لم يظهر لحد الآن؟.

وضحكت ثرشنط ايضاً وقالت: ولماذا، حفظكم الله من الصداع، لم يقدم الشاي؟ ثم ما علاقتنا نحن، سنتناول الفطور لوحدنا ثم نجدده لهم ولشكره خان عندما ينهضون.

توجهت شفيقة خان التي كانت ماتزال تضحك، الى ثرشنط وقالت اليس من المفترض أن تسافر شكره خان هذا اليوم، لكن متى رجعت في الليل؟.

أجابت ثرشنط وهي تعد الاستكانات لصب الشاي وقالت: كلا تقول انها لن تسافر اليوم، إنها ستغادر غدا مع عائلة من معارفها حسب قولها.

قالت شفيقة خان: هذا أفضل حتى تبقى معنا فترة اخرى.

لم يطل الوقت كثيرا فقد دخل الخال وزوجة الخال وهما يسعلان ويتفوهان بكلمات غامضة ويحدثان نفسيهما ويرافقهما الولدان، فنهضت ثرشنط خان احتراما لها ووجدوا المكان على المائدة للجميع.

جلس الخال واخرج كيس الادوية بسرعة ووضعه أمامه. وكانت صرة الذهب لاتزال تحت إبط زوجة الخال فقد رتبت نفسها ذلك الصباح بعض الشيء وجعلت نفسها اكثر جمالا لتغيظ والدة العروس وارتدت في معصمها الاسورة الفاخرة وبدؤا بتناول الفطور ثم وضعت ثرشنط أمامهم الشاي الجديد مع الفطور.

واثناء قيامها بصب الشاي جالت زوجة الخال بنظرها فنظرت الى الجامخانة وفناء الدار وقالت: الحمدلله الجو مشمس اليوم والشمس دافئة، ونحن محظوظون لان كاروان العزيز قال سآخذكم يوم الجمعة وأدعكم تتجولون في جميع أنحاء بغداد.

فوجئت ثرشنط قليلا وقالت بصوت واطيء: نعم الدنيا طيبة جدا والحمدلله وكانت مضطرة لأن تقول شيئا وتصغي لكلام زوجة الخال. ومن جهة أخرى خشيت لأنها كانت تعرف ابنها وكيف يلتزم بوعد استحياءً لكنه يندم على ذلك فيما بعد ولايستطيع الوفاء به وحتى اذا وفى فانه يدردم على والديه

كثيرا لأنه مشغول بدراسته ومتعب دائما لاسيما هذه الأيام لأن عليه أداء امتحانات صعبة وكانت الأنوار في غرفته مفتوحة هذه الليلة الى الصباح وكان يتذاكر مع أخته ومن يجرؤ الآن أو يطاوعه قلبه أن يوقظه ويقول له: قم وخذ الجماعة الى النزهة والسياحة.

وقعت ثرشنط في دوامة تعكر مزاجها حيث بدأت تفكر بايجاد طريقة للعثور على من يصاحبهم عندها تذكرت فيما اذا وجدت حلا للسياحة والنزهة عندئذ فان شكره وكاروان وسيران يبقون في البيت. والله وحده يعلم باي معركة ونزاع سيبتلون أو أي شيء سيحدث لاسيما وان ثرشنط يجب أن تذهب مع الضيوف ولن تبقى في البيت والا فهي التي تستطيع أن تمنع تلاقي بعضهم ببعض مثل هذه الأيام.

زادت بذلك هموم ثرشنط تصادم بعضها مع بعض وقالت في نفسها: ماذا أعمل الآن وكيف أعالج هذه المشكلة ذات الابعاد الثلاثية.

صبت لهم ثرشنط وجبة جديدة من الشاي وبينما كانت تفكر وتطمئن نفسها قالت في سرها: ستحضر قريباً سيران والحمدلله هي مدبرة وذات عقل راجح واعرض عليها الأمر ستعثر لنا على حل.

أمضوا فترة يتسلون بالحديث وهم يتناولون الفطور وخرجت ثرشنط بحثا عن حل لهذا الوضع ولتخبر باجي خورشه وتتداول معها أيضا هذا الموضوع الذي يشغل بالها.

اجتمعت في المطبخ ثرشنط وخورشه وسيران التي انتهت مؤخرا من غسل وجهها. بعد أن استمعت سيران لكلام أمها وعرفت كم هي مهتمة بهذه المسألة التي اتعبتها عدا أنها جعلت من جسمها وصحتها أرضا يعبر عليها هؤلاء الناس، نظرت بعدم ارتياح الى أمها وقالت: لا سد الله بوجهك ألأبواب أنت محطمة تماما وضحيت بنفسك من أجل الاخرين. وبصمت ودون أن يسمع

الاخرون أطلقت سيران شتيمة وزمجرة ثم نظرت الى أمها وقالت: لاتهتمي ولاتحزني سأتصل حالاً ببكر.

وكأنها سمعت بشرى سعيدة جدا ضربت ثرشنط كفا بكف وقالت: وهل عاد كاكه بكر؟ متى ومن قال؟ وضعت سيران يدها بهدوء على كتف أمها وقالت: أمس مساءا عاد كاروان متأخرا الى البيت وعلمت منه انه كان مع بكر. واستمرت سيران في حديثها وقالت: سأتصل به بالهاتف واخبره بترك أي عمل يمكن أن يكون عنده ويجلب سيارته ويأتي. وبالنسبة (لشكره خانم) أيضا لاتهتمي الآن عندما يغادر كامران سآخذها معي وأتوجه الى دار العمه آمنه لنسبقكم الى هناك ولاتمتمي بأمر مذاكرتي فقد تذاكرنا كثيرا الليلة الماضية ولنسترح قليلا.

وتدخلت باجي خورشه في الحديث بتلهف وهي تلهث وقالت: سيران خان على حق لاتهتمي نهائيا فانا باقية في البيت وأهتم بهم جميعا ولاتشغلي نفسك ابداً.

وانهمرت دموع الفرح من عيني ثرشنط بسبب حسن تدبير ابنتها فمررت يدها على شعر بنتها الجميل وقالت: آه يا ابنتي حماك الله وأبعد عنك مصائب الدهر.كم احبك ياقرة عيني. ولم تمض فترة على اتصال سيران الهاتفي حتى وقف قريبهم بكر بسيارته أمام الباب وكان يعمل في الأصل سائقا بين بغداد ومدن كردستان وكانت سيارة كامران واقفة بقربها فيما كان كامران العريس قد استعد ليسوقها بنفسه لان كاروان اوضح بأنه كان مشغولا بالمذاكرة ومصابا بالصداع قليلا وقد أجتمع الجمع حول السيارات بانتظار الركوب بعد أن أمضوا مدة غير قصيرة في النقاش حول هذه النزهة ومن يأتي ومن لا يأتي.

وقف كامران ونظر الى الجماعة وقال: هيا استعجلوا من يأتي ليركب معنا انا وسروه؟.

صدرت امتعاضة من أمه التي نغزت زوجها بقبضة يدها وقالت: لاحظ أنه ابتداءا يقول انه وسروه خان يركبان معا. والله لقد غيروا الولد المسكين تماما،

وكان الصحيح أن يقول تفضل يا والدي العزيز واركب بجانبي وليجد الاخرون أيضا أماكن لهم واضافت بتهكم: أنظروا أصالته ورجولته!.

تدخلت ثرشنط في الموضوع وقالت: سيارة بكر جديده وجميلة فليركب خالي وزوجة خالي معه.

توجهت زوجة الخال بنوع من الوجوم نحو ثرشنط وقالت: وأنت مع من تركبين؟ فاجابت ثرشنط لاتهتموا بي أنا تهمني راحتكم فقط.

تفوهت زوجة الخال بكلمات غير مفهومة وقالت: أنا أرى أن يركب والد كامران مع كامران في صدر السيارة، وأنا والبنتان وسروه نركب في المقاعد الخلفية، أما أنتم فتركبون في السيارة الثانية. ثم قالت بنوع من التردد. لكن خذوا بكلامي ياأحبتي لتنطلق السيارتان معا بالتتابع حتى لا نضيع من بعضنا لأن كامران كما اظن لايعرف الطريق بشكل جيد.

قالت ثرشنط وكأنها أرادت أن تفند مبررات زوجة الخال: لا خرب الله بيوتكم.. أريد أن أعرف ماذا تعملون هل أنتم ذاهبون الى الحج، هيا اركبوا كيفما أتفق وهل يحتاج الموضوع الى كل هذه المحاكمة؟.

وأخيرا ركب الجميع مثلما أرادت زوجة الخال التي مثلت دور الحماة منذ الأن وانطلقت السيارتان الواحدة تلو الاخرى.

ركبت ثرشنط وشفيقة خان واولاد ثرشنط مع قريبهم بكر وكانت أماكنهم مريحة وواسعة لأنهم كانوا عبارة عن امرأتين وولدين، لكن السيارة الأخرى كانت الاماكن فيها غير مريحة نوعا ما لأن زوجة الخال وكنتها وبنتها وحفيدتها كنّ قد ركبن في الخلف والخال في المقدمة.

نظرت شفيقة خان الى ثرشنط وقالت بنوع من الوجوم: والله ياثرشنط خان أنا أحمل هموم تلك البنت، لا أدري كيف تستطيع العيش مع زوجة خالك والله نحن

نحبها كثيرا لكن لا أعلم لماذا لاترتاح لنا، ألم تلاحظي كيف أنها بسبب ركوب السيارة أرادت أن تخلق مشاكل عويصة؟.

وضعت ثرشنط يدها على كتفها وبابتسامة تنم عن الارتياح قالت: لاتهتمي، ان طبيعة زوجة خالي هي كذلك اذ تهول الأمور لكنها لا تضمر شيئا في قلبها، وهي امرأة طيبة، لاتقلقي نفسك. غدا سيستقل ابنها أو تفرد له بيته ولايعقل أن يسكن معهم. المسألة تعتمد على الشاب، تعرفين حفظه الله كم يحب سروه؟ وأضافت شفيقة خان بوجوم والغصة تسد حلقها: تعرفين كيف ربيت هذه البنت بحب وحنان. كان خطابها كثيرين بحيث لم يكن يمر شهر دون أن تأتينا جماعة منهم ليخطبوها؟ وفي النهاية ألح علينا الولد كثيرا وحث الكثيرين من معارفنا ليرجونا الموافقة و يبدو أنه والبنت كانا متحابين وبعد ذلك كان الكلام الفصل للقسمة والنصيب اللذين سهلا الأمور.

ولم تكن أبنتي عاطلة والله من الآن يقول أبو ارام كيف تبتعد عنا سروه ولا أراها تروح وتغدو في البيت وتذهب هكذا ببساطة بينما زوجة الخال أبعد الله المصائب عنها تتصور انها عثرت عليها في الأزقة أو أنها كانت ميتة من الجوع وترمي نفسها على ايديهم وأرجلهم مستغيثة تعرفين أن لي هذه البنت فقط وذلك الولد الوحيد. والله يقول والدها اصرفي كل ما أحصل عليه، عليك وعلى ولدينا ولاتدعيهما يأسفان على شيء والايتخلفا عن اقرانهما في الملبس والمأكل وكل المستلزمات.

سحبت شفيقة خان آهة عميقة وقالت: وهو أبعد الله الشر عنه، لكن ثرشنط لم تتركها تكمل كلامها وضربتها مازحة بقبضة يدها مع ابتسامة مصطنعة لأنها أيضا كانت متعاطفة مع شفيقة خان وقالت: لاتكوني مهمومة هكذا لايليق بك الهموم أرجوك بالله عليك الا تقلقي نفسك. اضحكي ها أنا أيضا على وشك أن أتضايق، نحن خارجون للنزهة بينما تزعجين أنت نفسك.

نسيت شفيقة خان بعد بضع دقائق ما اعترتها من حسرة وهموم وعادت الى كلامها اللطيف وحكاية أحاديثها الممتعة التي ضحك لها بكر السائق وثرشنط واطفالها داخل السيارة.

وقال بكر السائق وهو يضحك لكلمات شفيقة خان اللطيفة: حفظك الله يا أختي، والله لم اضحك من أعماق قلبي منذ مدة كما اضحك الآن.

أما ثرشنط التي أمتلأت عيناها بالدموع نتيجة للنوادر والحكايات التي روتها شفيقة خان فقد توجهت بالكلام الى السائق وهي تمد يدها الى عينها وفمها. لم تسمع شيئا ما لحد الآن، والله في بعض الليالي وأنا في سرير النوم أتذكر أقوالها فاضج بالضحك وأغلق فمي لأنني أخشي أن أتسبب في ايقاظ أطفالي من النوم.

استمرت ثرشنط في كلامها وقالت: أرجوك كاك بكر أن تأخذنا الى الباب الشرقي رغم أن تلك الآنحاء تكون لطيفة في الليل بسبب الأنوار والمصابيح الخضراء والحمراء ومنظر دجلة وكل تلك المقاهي و الكازينوهات، ثم بعد ذلك خذنا الى مطعم طيب ونظيف لتناول الطعام.

قال بكر: طيب، أنا على أستعداد ولكن الوقت نهار الآن والفصل شتاء لذا فان تلك الاماكن ليست ممتعة لكنها طيبة جدا في الصيف، واضاف وهو يضحك: أرجوك شفيقة خان زورينا في الصيف أيضا حتى اخذكم مع ثرشنط خان الى تلك الكازينوهات الكائنة على شاطئ النهر.أجابته شفيقة خان قائلة: حسن جدا اذا بقينا طيبين ولم نمت.

وقال كل من ثرشنط وكاك بكر معا: كلا بعيد الشر انشاءالله لن تموتي وتظلين طيبة والتفتت ثرشنط من الزجاجة الخلفية للسيارة وقالت: الحمد لله سيارة كامران لازالت وراءنا.

كان الخال جالسا بجانب أبنه. عموما كان يكثر من الأسئلة مثل: إبني خذ بالك من نفسك وكن منتبها كي لا تفقد أثر السيارة الأخرى. وكان ابنه يجيبه وهو

مستمر في السياقة: كلا يا أبي العزيز انني منتبه وقد اتفقنا مع كاك بكر على أنه اذا دخلت سيارة اخرى بيننا وفقدنا اثر بعضنا، يجب أنتظار احدنا الاخر واعطاء الأشارات.

كان يحصل أن تدخل سيارتان أو اكثر بين سيارتهم وسيارة بكر فكان الخال ينسى كلام كامران الذي قاله قبل دقائق من أنه لا بأس لن يفقد الواحد منا اثر الاخر فيضرب كفا بكف ويقول: ألم أقل لك خذ بالك من نفسك، ها وقد افترقنا عن بعضنا فماذا نفعل الآن؟.

كانت كثرة كلام والده تكاد تربكه وتثير اعصابه لانه كثيرا ما يمطره بسلسلة متتالية من الاسئلة بالاضافة الى ازدحام الشوارع فكان على السائق أن يجعل من عينيه أربعة أعين لكن كامران كان صبورا هادىء الاعصاب رغم أن والده كان ينطق الحجر لكثرة أسئلته ونصائحه اللامعقولة مثل قوله مرة بعد أخرى: إبني كن منتبها لهؤلاء الاشخاص الذين يعبرون الشارع، أو ابني لماذا تسوق بمثل هذه السرعة؟.

وكان ابنه يقول في نفسه: هل هذا معقول يا والدي هل أنت الذي يسوق أم أنا؟ أنا مسيطر وأسوق السيارة منذ عدة سنوات وأعرف ماأفعل، لكن مع ذلك لم يحاول ابنه تذكير والده بهذه الأمور ومجابهته بل كان يحترمه كثيرا وكان يضغط على أعصابه ويمتص إنفعاله مراعاة لمشاعر والده ولم يكن يلومه كثيرا وكان مع نفسه يبحث له عن الاعذار.

أما زوجة الخال فكانت منذ أن ركبت في المقعد الخلفي للسيارة مع كنتها سروه وابنتها وحفيدتها لم تفتح فمها لحد الآن حتى أن ابنها كان يعتقد أنها نائمة.

كانت لاتزال محتفظة بالصرة التي حفظت فيها ذهبها وشدتها بحزامها وجلست صامتة لكن البنتين الصغيرتين اللتين جلستا في الوسط بينها وبين سروه كانتا تتحدثان فيما بينهما وتضحكان مع سروه وتسألانها عن المناظر التي تريانها

في الشوارع ترى ماهذا وما اسم هذا المكان وكثيرا ما كانتا تضجان بالضحك والقهقهة على كلام سروه وتضعان رأسيهما في حضنها وتطوقانها بيديهما.

اخيرا تحركت زوجة الخال قليلا ومدت يدها الى عباءتها ونهاية قبائها واحتدت على الفتاتين وقالت: يا بنات ألا تسكتن لماذا جننتن هكذا، لقد أتعبتن خاصرتي ولم تبقين لي على عباءتي وملابسي. ثم ضربت بهدوء إبنتها ناسكه بقبضة يدها وقالت: كفى ثرثرة وحركة فلست جالسة في الصحراء. لماذا تكثرين من الحركة؟.

التفت اليها زوجها وقال: دعيهن وشأنهن يضحكن هل تريدين منهن أن يبكين؟ وبدون أن يلتفت بسبب انشغاله بالسياقة وكأنه يتكلم مع نفسه قال كامران. يا أمي العزيزة ولماذا جئن؟ ليضحكن ويتكلمن ويقضين وقتا ممتعا، ثم قال متخابثاً: سروه أتصور أنك أسوء من البنتين فانت تضحكين اكثر منهم، الذنب كله ذنبك أعرف ماتقولينه لهن و هو سبب ضحكهن وتحركاتهن.

ضحكت سروه وقالت: وماذا أفعل؟ لايطاوعني قلبي الا أن أعمل على ادخال البهجة الى قلوبهن البريئة مسكينات منذ أيام وهن رهينات البيت.

رمت الابنة الصغيرة نفسها في حضنها وقالت و هي تضحك: سروه خان بالله عليك أكملي كلامك.

وضعت سروه أصابعها على فمها وهمست في اذن (شنه) وقالت: أسكتي فانهم سيعاقبوننا في النهاية.

لم تتوقف شنه وكانت مستمرة في معانقتها وتضحك وقالت لها: لماذا أسكت ومن سوف يعاقبنا؟.

انتفضت زوجة الخال ولوت شفتها وقالت: ولماذا نعاقبكن يا ماما وكيف لنا أن نفعل ذلك.

وقال كامران باهتمام: ماهذا يا أمي العزيزة ما هذا الكلام؟ هل صدقت؟ ثم اضاف بغضب اسكتن يا بنات اذا تتحركن وتضايقن أمي فانني سأعيدكن الى

البيت فورا. ثم استمر كامران في كلامه وقال بنوع من المزاح: وأنت سروه اسكتي أيضا، هل أنت طفلة؟.

وكانت سروه تعرف ان حدة كامران لاتأتي من قلبه بل مراعاة لقلب والدته لذا فانها لم تعر هذه الكلمات أي اهتمام وحاولت أن تسكت البنات، لكن البنات لم يتوقفن لأنه إذا سكتت هذه تنفجر الاخرى في الضحك وهكذا.

بعد جولة جديدة وعبور الجسر والمرور أمام الحدائق والبساتين والشوارع الصغيرة والكبيرة في مختلف أطراف بغداد بدأ التعب والجوع يفعلان فعلهما بهم فان السيارتين بعد فقدان إحداهما أثر الأخرى والابتعاد عن البعض عدة مرات والالتقاء ثم متابعة بعضهما البعض وقفتا أمام مطعم (كوخ دجاج) الذي كان يقدم فقط الدجاج المشوي اللذيذ.

نزل الجمع وتبع الواحد الآخر ودخلوا المطعم وتم اختيار إحدى الطاولات الكبيرة لهم بسرعة وجلس الجميع حولها وبدؤا بالذهاب الى المغاسل ولاسيما شفيقة خان التي أثر بقاؤها في السيارة كثيرا على صحتها فاصبحت تحسّ بالرغبة في التقيؤ وفي بعض الاحيان كانت تبدوشبه ميتة لذا فان ثرشنط أخذتها الى المغاسل وبعد العودة انضمتا الى الجالسين حول الطاولة.

إصفر لون وجه شفيقة خان وأبيضت شفتاها وجفتا وكانت ثرشنط مهتمة بها كثيرا وقالت: سأطلب الآن نومي البصرة وستتحسنين فوراً. لقد نسيت وكان يجب أن أعطيك حبة ضد الغثيان إذ يوجد عندنا منها في البيت لأن باجي خورشه تتأثر أيضا داخل السيارة.

ثم جاءت ابنتها لتفقدها فقالت: ماما هل أدلّك جسمك ؟ وبدأت فعلا بتدليكها من تحت العباءة، وعاد بكر السائق أيضا بعد الانتهاء من غسل اليدين وتفقد حالة شفيقة خان باهتمام لأنها كانت في سيارته ويعرف وضعها

وكيف اضطربت ولم تتمالك نفسها لذا فقد قال بمجرد الانتهاء من تناول الطعام سأتوجه الى الصيدلية القريبة وأشتري لها حبوب ضد الغثيان.

وعندما لاحظت زوجة الخال كل ذلك الاهتمام بشفيقة خان نظرت الى سقف الغرفة وهزت رأسها وقالت شيئا ما بشكل غير مسموع ولكزت بقوة زوجها وقالت هامسة: معاذالله من مكر هذه السيدة هل لاحظت كيف جعلت الأمور متوترة وكيف تمثل دور المريضة وتتدلل على من حولها.. قسماً بالله إنها تكذب وليس لديها أي مرض.

فاجابها الخال بهمس قائلا: والله لاأعتقد أنها تكذب ألم تلاحظي كيف تغير لونها وكيف صار أبيض وكانها تحتضر؟.

ونغزته زوجة الخال بمرفقها نغزة أقوى وبنبرة قريبة من الهمس قربت رأسها منه وقالت مستهزئة: ولماذا لاتحاول أنت أيضا حملها على ظهرك. وكانا يتحدثان في هذا الموضوع عنما دخل كامران وجلس بعد أن انتهى من التوصية بالطعام لهم وعندما لاحظ أن أم عروسه فقدت لونها بادرها بالمزاح قليلا وقال: الآن سيأتون لنا بالدجاج المشوي اللذيذ والزلاطة، تناولي بعضا منه واشربي قليلا من ماءالزلاطة وسوف تتحسنين فوراً.

لم يطل كثيرا فقد وصل الطعام ووضعت حصة كل شخص امامه كما وضعت حصة شفيقة خان أمامها وتوجه الجميع نحوها قائلين: تفضلي أنت أيضا وكل واحد منهم بدأ يلح عليها من موقعه كي تأكل.

وقد بدأت إرضاءا لهم، بالأكل قليلا قليلا. وهجم الخال وزوجة الخال والجميع على حصصهم وشمروا عن سواعدهم وبدؤا بتناول الطعام. وكانت زوجة الخال تنظر بفم مليئ بالطعام الى شفيقة خان وتقول في نفسها: هذه هي المرأة التي كانت قبل قليل على وشك الاحتضار لكنها عند التهام الطعام دبَت الحياة فيها مرة أخرى، ألم أقل إنها كاذبة؟.

والله تصور إنها سحرت حتى ثرشنط وهذا الرجل العجوز يكاد يصدق مكرها لكن لينتظرني إلى أن نعود الى البيت سيكون لي حساب معه.

بعد استراحة جيدة وشراء الحبوب لشفيقة خان تجولوا فترة اخرى ثم عادوا الى البيت بعد السادسة مساءاً.

دخلت شفيقة خان مباشرة الى غرفتها واستلقت وتبعتها ابنتها. كما دخل الخال وزوجة الخال الى غرفتهما. وقبل أن تنزع زوجة الخال عباءتها نظرت الى زوجها نظرة نارية وقالت: ياشايب ياخايب يبدو أنها استطاعت بفعل السحر والتعويذة التأثير حتى عليك الى درجة تصدق كل ما تقوله.

لم يعرف الخال عماذا تتحدث زوجته لأنه حاول ان يتناسى ماحدث، لذا فانه سألها باستغراب: أي تعويذة وعن أي شخص تتحدثين؟.

تركت زوجته عباءتها والملابس التي حملتها بيدها ووضعت صرة الذهب على محدتها كما أزاحت حجابها وتلمست لفة رأسها فيما كان زوجها يجول ببصره معها وقد جحظت عيناه من كلامها.

قالت زوجة الخال بانفعال ونفس متقطع: كيف نسيت؟ كنا في المطعم نتناول الطعام وكنت تحاول أن تذرف الدموع من أجل تلك المراة الماكرة وقلت نعم والله لونها قد تغير ولاتكذب وقد كنت قلقاً عليها.

ضحك الخال الذى كان نادرا مايضحك وقال: بارك الله فيك كيف استطعت أن ترتيبي كل هذه الأقوال من خلال تلك الجلسة الصغيرة: متى أنا قلت ذلكَ؟ أنت تعرفين كم كنت أكره رؤيتها لكن على المرء أن يقول الحقيقة ولوكان على نفسه فالمسكينة لم تكن تكذب ولونها قد تغير فعلا وأبيضّ .. فلماذا هولت الأمر الى هذه الدرجة؟.

جلست زوجة الخال بعصبية على الكنبة ذات المقعدين وهي تلهث وقالت: وكيف لي أن اعرف، تصورت أنها خدعتك أيضا، على أي حال لاتحاول أن تقف بجانبها مرة أخرى، هاقد نبهتك.

وصلت ثرشنط مسرعة الى باجى خورشه وبدأت بالسؤال والاستفسار كأنها تركت البيت والأطفال منذ سنة لذا فانها سألت بلهفة عما فعله كل من سيروان وكاروان وماذا تناولت شكره وبماذا انشغلت؟.

قالت باجي خورشه: والله كل شيئ جرى على مايرام، الاطفال كانوا مرتاحين وقد اغتسلوا وتناولوا الطعام وأخيرا توجهوا الى دار العمة آمنة خان بصحبة سيران.

غطت باجي خورشه بطرف ملاءتها فمها وضحكت وقالت: اما شكرة ونجوى فإنهما خرجتا بعدكم مباشرة بقليل فقد جاءهما الضابط الذي حضر قبل أيام. وبعد أن تم الاتصال بها تلفونياً مرتين او ثلاث رتبتا نفسيهما مرة أخرى وخرجتا معه واعتذرتا عن دعوة العمة آمنة.

ضربت ثرشنط كفا بكف وسحبت حسرة وقالت: ماذا نستطيع أن نفعل فقد كانت تقول لن أخرج هذا اليوم مطلقاً. قالت ثرشنط ذلك ثم اسرعت وجلبت كيسا وسلمته إلى باجي خورشه وقالت: وهذا لكم والله لقد وقف في حلقي ولم استطع تناوله قبل أن أشتري لكم أيضا.

تسلمته منها باجي خورشه وضحكت وقالت: ألا أعرفك أنا آه من ذلك القلب الطيب الرحيم الذي تملكينه آه.

***

بعد تناول العشاء في دار العمة آمنة التي رحبت بهم كثيراً عادوا الى بيتهم. وفي صباح اليوم التالي كان المنزل مضطرباً الى حد ما. كانت ثرشنط وباجي خورشه تشبهان الآلة، فكانتا ترسلان الاطفال الى المدرسة ومنشغلتين في الوقت نفسه بالخال والآخرين عدا اشعال السماور واعداد الفطور وكانت عيونهما منهمكة بالاستعداد وجمع الامتعة وملحقات شكره التي تغادر ذلك الصباح وكان ذهنهما مع توجه الفريق الاخر الى السوق إذ كان من المفروض أن يذهبوا

الى السوق ثم يهيئوا أنفسهم لأن في نيتهم العودة إلى السليمانية، ولأن سيران لم تستطع مرافقتهم كان لزاما أن تصحبهم كي تختارلهم مايريدونه.

كان على برشنك إرضاء زوجة الخال وتهدئة شفيقة خان التي كان من المعلوم أنها أصيبت عند الشراء بمختلف السهام والطعون والكلمات والتعليقات اللاذعة من زوجة الخال.

كانت العروس منزعجة وكان يبدو أن ملاسنة ما قد حصلت بينها وبين العريس. مرة أخرى كان يجب ترك الاطفال لدى باجي خورشه التي تعد طعاما كاملا للعشاء للذين يعودون من السوق وكذلك للاطفال عندما يعودون من المدرسة. وكانوا لايحسبون حسابا لمن هم ضيوف ومن هم ليسوا بضيوف وكان يجب اعداد الطعام لكل واحدمنهم حسب رغبته.

تم تجميع وترتيب حقائب وصناديق شكره في الممر. وقد جلست بكامل أناقتها مع الجماعة بعد تناول الفطور وكانت تنتظر السيارة التي تقلها، وتوزع النكات والأحاديث التي تدل على سعة أفق معرفتها وخبرتها كما كانت تنظر بين لحظة واخرى الى ساعتها اليدوية بانتظار من يأتي لنقلها.

ضحكت شكره ونظرت الى الجماعة وقالت: مع اننا توادعنا مع بعضنا في الليل لكننا كما تلاحظون لقد تأخرنا.

لكن شفيقه خان التي كانت قد تعرفت على سلوكها وعادتها قالت بارتياح: هذا أفضل حتى نعانقك مرة اخرى، فضج الجميع بالضحك وقال كل واحد منهم شيئا. لم يطل الانتظار كثيرا إذ رن جرس الباب فتوجهت باجى خورشه بسرعة لفتحه ثم قالت: ثرشنط خان هناك سيارة يتكلم سائقها باللغة العربية.

نهضت شكره ووضعت عباءتها على كتفيها وحملت نجوى الحقيبة والأكياس. كسيدة محترمة ومرتبة تصافحت شكره مع الخال وكامران واستودعتهما بحرارة وتوجهت نحو النساء وتعانقت معهن الواحدة بعد الأخرى وعندما وصلت الى

ثرشنط عصرت عينيها لفترة وقامت ببعض الحركات التي تدل على أنها على وشك البكاء ووضعت يديها حول عنقها وقالت: أرجو أن تعذريني فقد أتعبتكم كثيرا.

وعندما وصلت الى باجي خورشه قالت بابتسامة: هيا قولي اذهبي ولتكن سبع حجارات وراءك، فانتفضت باجي خورشه بسذاجة وقالت:

وكيف لي أن أقول ذلك لقد كنتم في الحفظ والصون، أهلا وسهلا بكم دائما وهذا بيتكم ومع السلامة.

وصلت السيارة إلى باب منزل أبي رعد وكانوا هم أيضا جاهزين مستعدين ينتظرون نزول شكره وتعانقت شكره مع أم رعد وتوادعتابحرارة ثم بكت أم رعد قليلا وقالت: لماذا تعودين بهذه السرعة فلم تمض على قدومك سوى بضعة أيام ولم نشبع من رؤيتك. ومسحت شكرة دموعها وقالت: ماذا أقول زوجي العجوز مريض وعلي أن أعود ولم أكن في الواقع أريد العودة بهذه السرعة.

ومن ثم قامت بحركة لتظهر أنها تبكي وقالت: لاعليك ان شاء الله سنشبع في الصيف من بعضنا.

قبل أبورعد زوجته وثم ركب سيارته وركبت شكره خان بجانبه فيما ركبت نجوى في المقعد الخلفي ثم زمجرت السيارة وتحركت.

خرجت السيارة من الزقاق ووصلت الى الشارع العام وتوجهت نحو الطريق وقال أبو رعد وهو يسوق السيارة: هناك مصادفات عجيبة ومفارقات فمثلا من بين جميع الأيام خابرني والدي بالتلفون يوم أمس من الموصل ليقول لي عليك أن تكون هنا يوم الأربعاء لأنهم سيجرون لي عملية في الوقت الذي كان والدي قد توجه الى الموصل بنية زيارة شقيقاتي والتوجه بعد ذلك الى حمام العليل. ثم ضحك أبو رعد وقال: رجوته كثيرا وقلت لماذا تذهبون في هذا الجو البارد لكنه لم يسمع كلامي وذهب الى هناك فاضطر الى إجراء عملية وعليّ أن أذهب اليه عاجلا.

تلمست شكره بيدها رأسها وصدرها ورقبتها وقالت بدلال: يبدو أن الله شاء ألاّأذهب بمفردي الى أربيل ولا أشعر بالملل طيلة ذلك الطريق البعيد الطويل.

فقال أبو رعد بحرارة: وكيف تشعرين بالملل؟ والله سأعمل مايجعلك لاتعرفين كيف نطوي الطريق فضحك الأثنان معا.

وشاركت نجوى في الحديث من المقعد الخلفي وقالت: سأستلقي أنا من جانبي وأنام لانني لم أنم جيدا ليلة امس.

التفتت شكره نحوها وقالت وهي تضحك: ماذا تفعلين يابنت لم نخرج من المدينة بعد واذا رآك الناس يتصورون أنك مختطفة أو ميتة. فضحكت وقالت: طيب إذا بعد مغادرة المدينة.

فنغز أبو رعد شكره وقال لها بهمس: دعيها تستلقى لوحدها.

جلست الفتاة وتناولت كيسا ووضعته في حضنها وبدأت بكسر والتهام الفستق كما أعطت بضع حبات مقشرة بيد سيدتها، وقامت السيدة بتقسيمها فوضعت حبات في فمها ثم بضع حبات في فم الرجل بحجة أنه مشغول بالسياقة ويجب الاّ تترك يده المقود. وقد حاول الرجل أن يسحب حبات الفستق من يد شكره وحاول أيضا أن يمدّفمه عند تناول حبات الفستق الى يد السيدة وأصابعها.

وكانت شكره تقهقه وتميل برأسها وظهرها الى الوراء.

قال الرجل: رغم ان الفستق يضرني ويؤدي الى السمنة لكنني على إستعداد لتناول بضعة كيلوات إذا تناولتها بهذه الطريقة.

فبدأ الثلاثة بالضحك والمزاح والصخب في ذلك الطريق القصير فارتكب الرجل عدة أخطاء في إشارات الطريق وعلامات المرور لكنه لم يعر ذلك آهتماما.

قالت شكره وهي تضحك: والله إذا كانت أمورك هكذا أعتقد أننا بدلا من اربيل سندخل إما السجن او المستشفى.

قال الرجل: كل شيئ معك طيب ثم سأل الفتاة وقال:

بالله عليك يانجوى أليس الذهاب حتى الى الجحيم ممتعا مع الخانم؟.

قهقهت نجوى وهي ترد عليه: نعم هذا صحيح وصحيح جدا. مع انه إذا رآنا أي شخص لتصور أننا إما سكارى أو مجانين بسبب ضحكنا وصخبنا.

خرجت السيارة من المدينة وتركوا بغداد وصاروا على الطريق العام نحو كركوك.

قالت نجوى: أعتقد أنني أستطيع أن أنام الآن.

وبدون أن تسمع الجواب تمددت ووضعت مخدة صغيرة ولينة تحت رأسها كانت موجودة في السيارة مع البطانية وغطت نفسها بالبطانية وقالت بالنسبة لي أستودعكم الله.

وقالت شكره: ومن جانبنا لانوقظك إلى أن نصل الى المطعم الكائن في منتصف الطريق وقال الرجل ملهوفاً: نذهب الى (دلتاوه) وهناك نتناول (التكة) هناك رجل من معارفي يحضر لي تكة لحم خاصة.

وسكت الثلاثة برهة من الزمن.

اغمضت نجوى عينيها وغرقت في الخيال لحظات فقد تذكرت ذلك اليوم الذي جاءت فيه مع شوان، ماذا كان هدفها وماذا حصل في النهاية وكيف فشلت جميع خططها ولم يعرها شوان اهتماما وإرضاء لزوجته أخذها في اليوم التالي إلى أخته وكأنه طردها طردا ولو لم يكن الأمر هكذا واستطاعت أن تضعه في شباكها كان يمكن أن تكون هي الآن سيدة البيت لكن هذا الرجل الآن يعتبرها خادمته وينابيها بعبارة سيدتك وسيدتك. ورغم أنها تحب سيدتها وراضية عنها كثيرا وتعطيها راتبا كبيرا وفرته بالكامل ولم تجد نفسها في مثل هذا الوضع أبدا لكن لو كانت قادرة على إقناع أحد وتزوجت زواجا جيدا كان الأمر يصبح أفضل. لكنها لو تتزوج الآن لوجب أن تتزوج أحدا من طبقتها لأن الجميع يعرفون أنها خادمة لشكره وعند ئذ كيف تستطيع أن تعيش مرتاحة مثل الآن وقد تعلمت مثل هذا الدلال وهذه النعمة خاصة وأن لبنان قد

اضطربت كثيرا وابتليت بحرب قذرة واسعة ولا يمر يوم دون أن يقتل العديد من الأشخاص كما أن جميع أصحاب الأموال والسياح قد انتشروا ولا يجرؤون على المجيئ الى هناك، فالله وحده يعلم ماذا حل الآن بذلك الأب المسكين العجوز رغم علمه أن أخواته وأنسبائه لايتركونه.

تألم قلب نجوى عندما تذكرت كيف كانت تخدع ذلك الأب العجوز المسكين فعندما كانت تخرج في الصباح الباكر كانت تقول له: أتوجه الى عملي كانت تكذب عليه بقولها إنها تعمل في أحد مصانع الشوكولاتة والحلويات لكنها كانت تتوجه الى ممارسة العمل المشين وتنهمك في الرذيلة وتبيع جسدها لهذا وذاك ويحدث أنه عندما كانت تعود في الليل كان والدها ينتظرها بلهفة أمام الباب يستقبلها ويعانقها وهو يقول: كنت قلقا جدا عليك وكنت أعتقد أن مكروها قد حصل لك لاسمح الله.

وبينما كانت تلجأ برأسها المطأطئ ووجهها الآثم الى الأعذار والأكاذيب عن سبب تأخرها، كان الوالد المسكين يصدقها، وكانت أخواتها مستقرات باحترام في منازلهن مع أزواجهن في القرية غير مطلعين على سوء سلوكها وانفلاتها.

استسلمت نجوى للنوم في خضم هذه الخيالات ونامت لفترة مناسبة الى ان قامت على صوت شكره ودردماتها إذ تقول: كفى النوم انهضي الله يخرب بيتك هل هذا نوم أم موت ..؟ ياناس لم أر نوما ثقيلا مثل هذا .. ينفجر المرء إلى أن يصحيك من النوم.

هبت نجوى وبدأت بترتيب شعرها وهندامها وقالت بصوت ناعس: هل وصلنا، أين هذا المكان؟.

ضحكت شكره وقالت:انهضي نحن جياع، هنا (دلتاوه) .. ياهانم هل نمت جيدا؟ بعد ذلك تناولوا لحما مشويا لذيذاً ثم شربوا عدة استكانات من الشاي

واستراحوا بعض الوقت وبعدها ركبوا السيارة بعد ان اشتروا سلة برتقال وساروا في طريقهم ثانية.

قالت شكره: انا أحب الأغاني ولأحاول ايجاد شريط ممتع فقال الرجل وهو يسوق افتحي هذا الصندوق الموجود أمامك فهو مليئ بالاشرطة الممتعة.

فتحت شكره الصندوق بفرح وقالت هذه هي أغاني فريد الأطرش التي أحبها كثيرا. أخرجت الشريط ووضعته في مسجل السيارة فارتفع صوت فريد الشجي إذ يقول (حبينا حبينا حبيناك حبينا) وكان لحن موسيقى الأغنية جياشا. بدأت نجوى بالتصفيق وكانت شكره تميل برأسها بهذه الجهة وتلك فضحك الرجل وقال: أشهد بالله فريد صادق وبدأ هو أيضا بالصفير مع الأغنية. حمت نجوى كثيرا وقالت: كان الفلم ممتعا جدا واثناء اداء فريد في هذه الأغنية كانت ميرفت أمين تقدم رقصة جميلة جدا.

وقالت شكره وهي تضحك: ولماذا لاتهزين أنت ردفيك أيضا؟.

فقال الرجل: والله أناكنت أريد أن أقول ذلك.

ضحكت نجوى وألقت بنفسها على ظهرها وكانت تمضغ اللبان وقالت: وأين أهز ؟ فبدأت بهز الصدر والاكتاف والنهود قليلا ثم بدأ الثلاثة بالضحك والقهقهة.

شغلت شكره عدة أشرطة أخرى وسأم الجميع من الكلام إذ كان الطريق طويلا جدا لذلك فان نجوى استلقت مرة أخرى ونامت. استمعت شكره مدة الى الأغاني ثم سكتت بعض الوقت وكان الرجل يسألها ويتحرش بها وعندما كان يسكت تبدأ هي بالسؤال والاستفسار والتحرش وكان يبدو وكأنما يخافان من أن يجعلهما الصمت يستسلمان الى النوم لاسيما وان ابارعد كان يتثاءب أحيانا وتبدو عيناه ناعستين.

التفتت شكره نحو نجوى وقالت: هاهي مرة أخرى انتقلت الى العالم الاخر ولهذا السبب إنها تستمر تسمن لانها تحب النوم بشكل مفرط. ضحكت شكره

وتوجهت نحو أبي رعد وقالت: مهجومة البيت نومها ثقيل إذا نامت فلن تستيقظ حتى بالمدفع وكل مرة أحاول إيقاظها في البيت أغضب إلى حد أود جلب سطلة ماء حتى أسكبه عليها.

قال الرجل: الحمدلله على ذلك أتمنى أن يكون نومها أثقل. وبينما هو مستمر في السياقة ضرب كتف شكره بكتفه وقال: وألا تحبين أنت النوم؟ فاجابت شكره وهي تدرك ماتقول: وكيف لاأحب النوم بل وأضطرب كثيرا إذا حصل خلل في نومي بضع ساعات وأكون كمن وقع في دوامة لكن والحمدلله مهما أكلت ومهما نمت فإني لن أسمن بشكل أبدو غير جميلة.

قال الرجل: (دطوا عالخشب) وهل يمكن أن تجعلك السمنة قبيحة. وهل هذا الذي نطقت به كلام يجب أن يقال؟ ومن هي جميلة وذات قوام وجسم رشيق ومنسق مثلك؟ بشرفي لايقدر أحد عمرك باكثر من خمسة وعشرين عاما.

قالت شكره بدلال: شكرا جزيلا فانني مهتمة بنفسي وصحتي جيدة والحمدلله، ثم ضحكت وقالت: ولا أفعل مايضيق على قلبي وليس عندي من أحزن عليه والحمدلله فانني بعيدة عن المشاكل، لأن ازعاجات الاطفال والأهل هي التي تشيخ الناس لكن هموم الأولاد تأتي في المقدمة.. إذا كان الاطفال غير جيدين فأنهم يشيخون الوالدين ويتلفون صحتهما، وانا مؤمنة من هذه الناحية.

أخرج الرجل آهة من أعماقه وقال: الآن وكما تعلمين أنا بحال جيد وشبعان ومرتاح كثيرا ولدي منزل وحياة جيدة جدا لكن مع كل ذلك لدي هموم وإزعاجات وقلق الدنيا.

قالت شكره بسرعة: كيف؟ لماذا انت غير مرتاح لاسمح الله، لايليق بك أبدا شيئ كهذا مثل المشاكل وما شابه فانت تستحق أن ينعم الله عليك كل النعم.

هز الرجل رأسه وقال: ماشاءالله على هذه النعم الجيدة. مرة أخرى سألت شكره بلهفة: لاسمح الله مآهي المشاكل والازعاجات؟ فقال الرجل بنوع من

الوجوم: أولا إبني الكبير ليس متكاملاً ونحن مبتلون به منذ طفولته ونحن نعاني بسبب مرضه وكثرة العمليات التي أجريت له وتبديل دمه وقد أخذناه الى لندن. هذه كلها لاحساب لها، والآن بعد أن كبر تحسنت صحته كثيرا لكنه متقلب المزاج وعصبي فقد غير إلى الآن ثلاث أو أربع كليات وسرعان مايملّ ويقول لاأحب هذه الكلية أريد أن أدخل تلك الكلية وبألف محاولة وواسطة ورشوة إلى أن ينتقل وبعد سنة يقول لاأحب هذه أيضا ولاأريدها وفجأة يقول أريد أن أعمل في التجارة فقد سئمت الدراسة. طيب إبني تعال واعمل في التجارة.

ولا تمر الا فترة قصيرة ويفقد خلالها مالديه من فلوس ومال ويكون قد أعطى كل ماعنده لهذا وذاك ويقول التجارة صعبة ولا أقدر عليها وأعود الى الدراسة. فاقول له طيب يا إبني وماذا حل بالدكان الذي هيأته لك ؟ فيقول بعته إلى أحد أصدقائي. وأين فلوسه؟ يقول ليس عنده الآن وسيعطيني إياها بعد فترة فهو لايهرب من يدنا، لماذا أنتم سيئون الى هذه الدرجة ويثير ضجة لامثيل لها ولحد الآن يخلق لي مثل هذه المشاكل المزعجة.

كانت شكره غير مرتاحة من هذه الأحاديث وكانت تردد ليعينكم الله آه كم هو مؤلم وليساعده الله ويهديه.

هز الرجل رأسه وقال: هذا إبني الكبير وعندي ولدان آخران صعبا المراس لاتتحدثي عنهما أبدا لكنهما بالمقارنة مع الكبير انهما من الملائكة. وأفرغ الرجل آهة أخرى وقال وزوجتي؟.

انتفضت شكره وضربت صدرها بيدها وقالت: ماذا بشأن زوجتك ؟ قال الرجل: انني اشفق عليها لكنها ساذجة وباردة وبسيطة ومسكينة لدرجة تثير حنق الأنسان وتبدو وكأنها من غير هذ العصر، فضحك الرجل وقال: تتذكرين كيف بكت من أجلك؟ لوكانت هي إمراة أخرى نبيهة مطلعة هل كانت ترضى أن نركب أنا وأنت بجانب بعضنا ونسافر معاً؟ والله لوكانت إمرأة أخرى لم تكن

تسمح وكانت تثير الدنيا .. لكن لاحظي كم هي ساذجة ومع ذلك فاننا نحن الذين جعلناها مدينة لنا وعاد الرجل يقول: إبنتي الكبيرة تزوجت منذ سنة من أحد أقربائنا لكنهما غير منسجمين ويتشاجران يوميا وهما على وشك الطلاق. ورغم نصيحتي لها قبل الزواج يابنتي أنتِ لازلتِ طفلة، أكملي دراستكِ ثم تزوجي، لكن الولد كان يرسل الينا كل يوم مجموعة من أقرباء الطرفين فقلت طيب إذا كانت البنت راضية فانا راضٍ ولكن الأمور صارت على العكس، فقبل أيام جاءت زعلانة وكانت محطمة لأن زوجها الذي لاشرف له أشبعها ضربا وآثار الكدمات بادية على جسمها، وعندما رأيتها على تلك الحال جن جنوني وركبت سيارتي وتوجهت اليه رأسا وأشبعته ضربا ولكماً بحيث تركته نصف ميت تحت ضرباتي فقد جعلني مجنونا.

كانت شكره واجمة تضرب كفا بكف وقالت: والله لقد تألم قلبي كثيرا واضطربت جدا. في الحقيقة وضعكم سيئ جدا لاسيما بين الفتاة وزوجها. سحب الرجل نفساً عميقا وأفرغ حسرة بالغة وقال: اعذريني لقد أزعجتك دعينا نتحدث عن سعادتنا الآن وننسى الدنيا قليلا ماذا تقولين لنبقى في كركوك هذه الليلة ونبيت معاً.

تثاءبت شكره وحركت كتفها ورقبتها قليلا وقالت: ولكن كيف يمكن؟، أنا أرى أنه لايمكن ذلك وصعب جدا، وماذا نقول لهؤلاء الذين ينتظروننا الآن في أربيل فانهم سيتصلون ببغداد الآن ويعرفون أننا في الطريق وبخلافه سيقولون أين ذهبوا ولماذا لم يصلوا؟.

ضحك الرجل وقال بهدوء: وهل يستحيل علينا بيان الأعذار؟ سنخابر بالتلفون من كركوك الى اربيل ونقول سيارتنا أصيبت بعطل في الطريق ووصلنا الى كركوك متأخرين ومتعبين ولا يمكن المجازفة والسير في الليل وغداً في الصباح الباكر سنتحرك.

ضحكت شكره وقربت رأسها من رأس الرجل وقالت بهمس: طيب لكن ماذا بشأن هذه الفتاة هل يجوز مرة واحدة وبهذه البساطة وبهذه العلانية أن تعرف كل شيئ؟.

فقال الرجل: وماذا ستعرف، نتوجه الى الفندق ونستأجر غرفتين، غرفة لكما وغرفة لي. سنتناول الطعام ونستريح والمسألة بعد ذلك ستكون بسيطة جدا وطبيعية.

قهقهت شكره ووضعت يدها على فمها وقالت: وثم بعد ذلك؟.

نغزها الرجل بكتفها وقال: وبعد ذلك انا اعرف وانت تدرين والله كريم.

فقالت شكره بهدوء: ألا تقول الفتاة متى تعطلت السيارة، ماشاءالله كانت السيارة تبدو كعروس، كيف تتعطل المارسيدس هكذا بسرعة لاسيما الموديلات الحديثة. قال الرجل: اتركي هذا علىّ.

ثم استأنفا النكات والاحاديث المضحكة ونهضت نجوى من نومها وبدأوا بتناول البرتقال. ثم تحدثوا قليلا حول حرب لبنان ونقل الرجل لهم الاخبار الجديدة حولها التي سمعها من راديو لندن العربي فبدت نجوى واجمة قليلا وقلقة وأحيانا كانت تمثل على أساس أنها تبكي. وعلى كل فقد قطعوا معظم الطريق وحتى اقتربوا من المكان الذي ظهرت فيه نار (بابا طورطور) الجميلة الأخاذة .وكان المطر يسقط قليلا قليلا ولم تمض مدة طويلة فقد غطت السحب السوداء السماء وأظلمت الدنيا وفجأة صدرت بعض الأصوات من السيارة تدل على القطع فقال الرجل آه ماهذا وتدريجيا خفّت سرعة السيارة فركنها الى جانب الطريق ونزل منها وقال لأرى ماحصل.

وبعد رفع غطاء المحرك والبطارية وأشياء أخرى عاد الرجل واستأنف تشغيل السيارة لكنها سرعان ماانطفأت مرة أخرى .هز الرجل رأسه وقال: والله عجيب لم يكن ينقصنا الاّ هذا.

قالت شكره بلهفة: ماالمشكلة خير انشاء الله وماذا نفعل؟.
لكن الرجل الذي كان مشغولا بتشغيل السيارة وإطفائها أصبح عصبيا وبدأ بشتم شركة المارسيدس وجميع سيارات الدنيا ثم نزل من السيارة ومد رأسه نحو المحرك والأجزاء الأخرى.
رجع الرجل الى شكره والفتاة وقد تلوثت يده بالزيت وقال: جدوا لي من فضلكم خرقة أحتاجها لكي افتح بها غطاء الزيت.
مدت نجوى يدها بسرعة الى حقيبتها وأخرجت منشفة صغيرة وقالت: تفضل واذا كنت تريد أخرى فلديّ الكثير، فشكرها الرجل ورجع الى المحرك.
توجهت نجوى بخوف الى شكره وقالت: باجي يبدو أنه على وشك الرعد ماذا نفعل؟ قالت شكره وكأنهاواجمة: يابنية أي رعد، تذرعي الى الله أن يتم إصلاح سيارتنا، هاقد أتى الليل وماذا سنفعل في هذا المكان المقفر؟.
جحظت عينا نجوى من الخوف وقالت: باجي، الرعد سيئ في الأماكن المقفرة والبرية، فانتفضت شكره وقالت: وماذا يقول هذا الرجل المسكين تحت هذا المطر والرياح، على الأقل نحن جالسون داخل السيارة.
رجع الرجل الى داخل السيارة، إسودت المنشفة قليلا فكان مشغولا بمسح وتنظيف يده وأصابعه وقال: مهما يكن والحمدلله صلحتها قليلا فقد كان سلك البطارية مقطوعا وستوصلنا بسهولة الى كركوك وهناك احاول العثور على مصلح سيارات رغم عدم تأكدي من الحصول على كراج مفتوح في هذا الوقت من الليل.
انتفضت نجوى بخوف وقالت: لاوالله لن نجازف بحياتنا لانستمر في هذه الليلة الى أربيل فالطريق سيئ جدا لايستطيع المرء رؤية طريقه بسبب المطر والرياح والرعد. واضافت بما يشبه الرجاء: لخاطر الله دعونا نبقى في كركوك هذه الليلة.
قالت شكره: كيف ذلك إذ يقلقون علينا في اربيل ويقولون ياترى مالذي حصل لهم. فقالت نجوى بسرعة: يوجد تلفون ونخابرهم ونوضح لهم الحالة.

جاءت كلمات نجوى مفرحة لها ومع ذلك فقد قالت شكره بشيئ من الشيطنة: لنعرف أولا هل نصل كركوك أم لا لأن سقوط المطر بدأ يزداد.

شغل الرجل سيارته وباشر بالسياقة على مهل وقال: حاليا السيارة صالحة ولندع الله ألاّ تتعطل من جديد.

بدأت نجوى بالدعاء بحرارة من قلبها وعلى الأخص عندما بدأت أصوات الرعد تتزايد والمطر يشتد ثم بدأ الحالوب يسقط بشكل بان الرعب حتى على الرجل وشكره فضلا عن نجوى التي كاد أن يغمى عليها من الخوف. ومع كل هدير من السحب كانت تستنجد بالله وبالنبي (محمد) وتنادي اباها وامها.

قوى الرجل من عزيمتها وقال: لايوجد شيئ لاتخافوا فهي مجرد موجة وستخف الآن وقال بابتسامة:الربيع يقترب وستكثر لدينا مثل هذه الحفلات.

ورغم أن شكره كانت تخاف إلاّ أنها أرادت إظهار جرأتها فسخرت قليلا من الفتاة وتحدثت للرجل عن الحالة التي حصلت لهم في شقلاوة وكيف أن ماحدث هذه المرة هو مجرد (زلاطة) مقارنة بتلك. ومع كل برق كانت شكره تبدأ في سرها بالأستنجاد بابيها بصراخ وعبارة يارسول الله وتغمض معها عينيها.

كانت الطرق وماحولها تبدو بيضاء بسبب الحالوب وفي بعض الأماكن كان الحالوب يطفو على الماء فيبطئ مستعملو الطرق من السواق سرعتهم ويسوقون على مهل وقد إنطفأت محركات سيارات بعضهم فركنت على جانب الطريق ووضع أصحابها المعاطف على رؤوسهم وهم يحاولون إصلاح سياراتهم. أما سيارة المارسيدس ذات اللون الفضي العائدة للرجل فكانت تمرق كالفرس وكأنها تستخف بالمطر والحالوب والرعد وكانت تذرع برك الماء التي تكونت وتمر فوقها ولا تخطر لها هذه الأحوال على بال. وكان المطر يهطل بنعومة، واخيراً وصلوا المدينة وتوقفوا عند فندق في منطقة معزولة على أطراف المدينة.

قرب الرجل رأسه من شكره وهمس في أذنها قائلا: لاننزل في مكان معروف فزملائي ومعارفي يمرون بهذه الأنحاء كثيرا ويبيتون فيها ليلا. ولهذا السبب طلبت منك في الطريق أن تلفّي نفسك جيدا بالعباءة لأنني خشيت أن يصادفونا فهم يعرفون سيارتي. الحمدلله لم نصادف أي واحد منهم فقد كنت اراقب السيارات جيدا. ثم ضحك الرجل وقال: لبعضهم ألسنة طويلة ولاحياء لهم ويتمنون أن يعثروا على قصة حتى يتباهون بها.

قالت شكره: هي ليلة واحدة لاداعي للخيّر أو السيئ.

هيأ الثلاثة أنفسهم وحملوا بعض الامتعة الضرورية وأخرجوها من السيارة وأقفل الرجل أبواب سيارته وسار الجميع وراء صاحب الفندق الذي أسرع لاستقبالهم لأن الخادم كان قد أخبره بأن سيارة مرسيدس فاخرة وصلت الى باب الفندق وعلم ان صاحبها لابد أن يكون من أصحاب الجيوب الممتلئة.

توجه أبورعد نحو صاحب الفندق وقال له: نحتاج غرفتين واحدة لقريبتي وغرفة بسرير واحد لي. فاجاب صاحب الفندق قائلا: آهلا وسهلا وأسرع بكل سرور ونادى على بعض الصناع وأعطاهم المفتاح وتقدمهم بنفسه نحو الطابق العلوي.

بعد وصولهم الى الطابق العلوي سأل أبورعد صاحب الفندق ماذا لديكم من طعام ؟ فاجاب صاحب الفندق: أي شيئ تأمرون به أنتم وإن لم يكن متوفرا لدينا فسنجده لكم حالا. قال أبورعد: شكرا هذا جيد سنبلغكم حالا بمانريد.

وعندما وصلوا باب الغرف فتح لهم الخادم باب احدى الغرف وقال: تفضلوا هذه الغرفة ذات النفرين. وقال صاحب الفندق: والله الغرفة الأخرى ذات النفرين ايضا لكن نحسبها لجانبكم بأجرة ذات النفر لأن هاتين الغرفتين فقط فارغتان والاخريات مشغولة.

قال أبورعد: لاتهتم كيفما تكون فهي جيدة وبعد ذلك دخلت شكره ونجوى غرفتهما وتوجه أبورعد وصاحب الفندق معا الى الغرفة الأخرى التي كانت

تبعد قليلا عن غرفة شكره لانهم كانوا في طرف الممر قرب السلالم والأخرى كانت في الطرف الآخر.

تسلم أبورعد المفتاح من الرجل وقال: شكراً سأرى ماذا تريد (الجماعة) أن تتناول. توجه الى جهة غرفة شكره ودق الباب فقالت هي بدلال: من الطارق تفضل. فدخل ورأى شكره مشغولة برأسها وهندامها وقد رفعت حجاب الرأس وهي تعبانة.

سألها أبورعد قائلا: كيف هي غرفتكم؟

فاجابت شكره: لابأس لكنها باردة قليلا.

فقال الرجل: حالا سأخبرهم ليجلبوا لكم مدفاة أخرى.. حسنا وماذا تأكلون؟.

جلست شكره على سريرها وكان سرير نجوى مقابلها وكانت هناك طاولة مربعة كبيرة نوعا ما بينهما. مدت يدها الى خاصرتها وتمايلت قليلا على الطرفين وأبرزت صدرها ونهديها وقالت: ماذا نأكل؟ والله حسب رغبتك نأكل مثل ماتأكل.

نادت شكره بصوت عال نسبيا على نجوى التي كانت قد ذهبت إلى المغسلة لتغسل يدها.

قالت:نجوى ماذا تشتهين لتأكلي.

فأجابت نجوى من هناك وقالت: أنتم ماذا تأكلون وسأكل مثلكم.

نظرت شكره الى أبي رعد وقالت: والله لاأعرف قل أنت شيئا .. كان أبورعد مركزا نظره على شكره وكان غير مهتم بالأكل فضحكت شكره ورمت بنفسها على السرير وقالت: أين ذهب بك الخيال لقد كنت تتحدث عن تناول الطعام فعاد الرجل الى وعيه وقال: حسنا إلى أين وصلت أخيرا؟.

قالت شكره وهي تضحك: نحن لا نعرف مايوجد لديهم، أي شيئ تأكله أنت ناكله نحن ايضا مثلك.

قال الرجل بسرعة: أنا أرى ان الكباب والزلاطة أحسن من أي شيئ. فقالت شكره: طيب بارك الله بك نحن خولناك بالاختيار.

خرج أبورعد وقال: سأوصي الآن وأدخل غرفتي قليلا لأغسل يدي ووجهي إلى أن يصل الطعام. وأنتم أيضا استريحوا قليلا.

كانت بناية الفندق من الطراز القديم وغرفه كبيرة وسقفه على شكل قبة ويشبه كهفا كبيرا ولم تكن مدفأة أو مدفئتان تكفيان إذ كانت الغرفة باردة لاسيما أنها كما يبدو كانت خالية لمدة ولم تشعل فيها نار لذا فان نجوى علا صراخها مبكراً وبدأت بالضحك وقالت: ياربي أي سفرة كانت سفرتنا وأي نهار أمضينا .. ورأينا مارأينا في الطريق وهذه هي حال غرفتنا الآن.

فقالت شكره بصوت عال: كفى التذمر يابنية لخاطر الرجل فقد تعب معنا كثيرا لا تدعيه يسمعك. توجهت شكره الى المغسلة وغسلت وجهها وبدلت ثوبها وارتدت ثوبا أصفر من الحرير ونزعت عن نفسها المخشلات الذهبية عدا قلادة الصدر الذي ظلت ترتديها. كما أرتدت روباً من قماش السورمه المذهب غالي الثمن ووضعت الشال على ظهرها. ثم استعملت مكياجا خفيفا جميلا وعطرت نفسها بشكل مكثف واسدلت شعرها اللين المحنّ على رقبتها وكتفيها وتوجهت الى سريرها واتكأت على مخدة وتمددت.

بدأت هي ونجوى بالحديث عن أثاث الغرفة والاشارة الى عيوبها ابتداءا من السقف المقوس الى المخدات الكبيرة والصلبة التي تشبه الاسطوانة الصخرية التي كانت تستعمل لتسوية أسطح المنازل. وبعد أن شبعتا من الضحك وسئمتا نهضت شكره وقالت: آه لقد نسينا أن نتصل هاتفيا فركضت نحو الفتاة وقالت: اذهبي إلى أبي رعد وقولي له يجب أن نتصل بالتلفون فأجابت نجوى وقالت رغم سوء طبعها وصلافتها: أخشى أن يكون قد استلقى أو نزع ملابسه، والله استحي ، فنهضت شكره وغطت رأسها بالحجاب كما غطت جسمها بعباءتها

ولفت نفسها بشكل جيد وغمرتها نشوة في قلبها وقالت: سبحان الله من أين جلبت هذا الاستحياء والخجل حتى تقولي أستحي؟.

وصلت شكره أمام الباب فصادفت أبارعد الذي كان متوجها نحوها فاسرع اليها الرجل ودخلا الغرفة معا.

قالت شكره جئت أخبرك بصدد التلفون الى اربيل.

قال الرجل أنتِ على حق وضغط على الجرس فجاء أحد خدم الفندق بعد فترة وجيزة وقال: نعم بيط الطعام وصل وإنه سيأتيكم الآن.

سلمه أبورعد رقما وقال له: اطلبوا لنا هذا الرقم نريدان نتكلم مع اربيل.

فأجاب الولد: بعيني، ثم خرج.

نزعت شكره العباءة من نفسها ووضعت حجابها على رقبتها ونظر اليها الرجل بتركيز وقال: قبل ان اشرب الويسكي سكرتني بشكل تام وشللت حركتي.

وضعت شكره أصابعها على فمه وقالت: اسكت ان الفتاة تفهم فهي ليست حماراً. لقد خاضت سبعة أنهار ولم يتبلل كعبها .. ماذا تعرف عنها؟.

طرق الخادم الباب وقال: تفضلوا الهاتف جآهز وتكلموا. كان الهاتف موضوعا بين صفي الغرف فتوجه الرجل مع شكره الى هناك . رفعت شكره سماعة الهاتف وبدأت بالنداء وقالت: هلاو... هلاو، وأظهرت نفسها وكأنها متعبة وقالت: حياتي كيف حالك، أتكلم من كركوك أكلمك لأنني لم أعد استطيع العودة هذا اليوم، ثم بدأت تقص عليه قصة العواصف والامطار والرعد والبرق وتعطل السيارة وآلام الخاصرة إلى أن جعلت زوجها المسكين يصرخ من هناك ويقول لاتتحركي، استريحي تماما وارتاحي وان لم تتحسني لاتعودي غدا أيضا. فاجابت وهي تتأفف قائلة: كلا وكيف لاأعود، انشاء الله سأكون عندك غداً وقت الغداء.

وضعت شكره سماعة الهاتف ورمقت أبا رعد بنظرة ثم ضحكت بهدوء وقالت: ليست أم رعد وحدها فقيرة ومسكينة بل هذا الرجل زوجي مسكين كذلك أيضا فها هو على وشك أن يبكي لأجلي في الهاتف.

قال أبورعد بهمس: لاتهتمي وهَل فعلنا لهم شيئا؟ امسكت شكره فمها وضجت في الضحك وقالت: إسأل نفسك. فقال الرجل بهمس: ماذا نقول فالمصادفة والقسمة والنصيب وضعتنا في هذا الموقف وبعد فترة توجها معاً الى غرفة شكرة دخلت بعدها صينيتا الكباب والطعام اللتان جلبهما عاملان إحداهما للخبز والكباب والثانية صينية أخرى كان عليها الاستكانات وقوري الشاي والسكر لنجوى وسيدتها والقدح ووعاء الماء وقنينة الشرب للرجل.

مد الرجل يده وأعطى اكرامية جيدة للخادمين اللذين خرجا وهما يشكران الرجل كثيرا وجلس الآخرون حول الطاولة. تحركت نجوى قبل الجميع وقالت: اعطوني حصتي إذ أتناول طعامي على سريري.

ضحكت شكره وقالت: ولماذا تعزلين نفسك عنا؟ أجابت نجوى إنني أفضل ذلك.

رفع الغطاء عن الكباب ففاحت في الغرفة رائحة الرغيف الحار وكباب كركوك الشهير مع الكرفس الاخضر والبصل والسماق فاسرع الرجل وعمّر لنفسه كأسا من المشروب وتوجه بنظره صوب شكره وقال: هل يمكن أن تتفضلي وتعدي لي لقمة بيدك وأصابعك الجميلة فكباب كركوك لذيذ جداً وهذا كما قال لي مدير الفندق من أحسن أنواعه أحب أن تعدّي لي لقمة حتى تنفتح شهيتي. ضحكت شكره بحرارة وقالت: بالله عليك يا نجوى أتسمعين مايقوله أبورعد، فهذا ناتج عن تكاسله وعدم رغبته في تلويث يده بالدهن لكنه يعبر عنها بهذه الطريقة.

كان فم نجوى مليئا وبعد أن ازدردت اللقمة ضجت في القهقهة وقالت: أبورعد على حق والله حتى أنا عندما أشاهد تلك اليد والاصابع الجميلة تنفتح شهيتي واتناول أكثر.

ضحكت شكره وهي تعد اللقمة وقالت: فديتك، خذ بالك من انفتاح شهيتك إذ أخشى أن تأكلني أنا أيضا وهكذا اندمجوا معا يضحكون ويطلقون النكات حتى وقت متأخر من الليل.

وأخيراً فرغوا من الاكل والسمر وتم رفع الصواني والمواعين ووضعت خارج الباب وتم غسل الأيادى والافواه، وكان الرجل قد سكر لكنه كان واعيا منتبها لحركاته وكلامه، فانبرى قائلا:

هل أن أفرشتكم واغطيتكم كافية ولا تستبردون ؟ وإذا أردتم فان غرفتي تحتوي على أفرشة وفيرة.

وقالت الفتاة: والله المخاديد كبيرة وصلبة وغير مريحة. فسلّمها الرجل المفاتيح وقال: اذهبي الى غرفتي ولاحظي ماتحتاجونه ويروق لكما اجلبيه معك. قامت الفتاة ورافقها الرجل الى باب الغرفة ليريها اياه من بعيد. توجهت الفتاة أولا الى المرافق التي كانت قريبة من مكان الهاتف.

وبمجرد أن إطمأن الرجل أن الفتاة لم تعد موجودة هناك أغلق الباب وعاد بسرعة الى شكره وانقض عليها مثل الذئب المفترس وقال: إنني جننت وبدأ بتقبيلها بينما شكره تضحك وتظهر الدلال وتحاول تخليص نفسها منه وتقول بالله عليك ستفاجئنا الفتاة الآن وتعمل لنا فضيحة فهدأ الرجل وقال بسرعة: طيب ماذا نعمل الآن؟ سأبقى أسهر في غرفتي وعندما ترقد الفتاة الى النوم تعالي إليّ.

قالت شكره بوجوم مصطنع: والله لاأعلم وأنا غير مرتاحة وأخشى أن يرانا أحد فالغرفتان بعيدتان جدا عن بعضهما.

قال الرجل: وحتى إذا رأوا يقولون إنها تذهب الى التواليت.

قالت شكره: وكيف فالتواليت موجودة في هذا الطرف، وغرفتك في الطرف الآخر.

قال الرجل: في هذا الوقت المتأخر من الليل من يكون يقظا وجالساً في النافذة كي يراقب الناس ويعرف إلى أن يذهبون أو لايذهبون؟.

فقالت شكره بلهجة المطلع: كيف؟، نحن أصحاب فندق وأعرف بوجود الخفر والذي يكون يقظا دائماً.

فقال الرجل بضجر ذلك مايحصل في الفنادق ذات النجوم لكن في هذه الخرابة القديمة التي تشبه محطات السفر القديمة والتي كانت تسمى بالخان أين يوجد الخفر والحرس، فقال الرجل بسرعة هذا لاضرورة له إن لم تحضري سأجازف وآتي بنفسي حتى لو قامت القيامة علي.

***

نهضت شكره عند الفجر وهي في احضان الرجل بعد سماع صوت الآذان الآتي من المساجد القريبة من الفندق فهيأت نفسها بسرعة وبيد مرتجفة.

كما نهض الرجل وقالت شكره بخوف: قم وأخرج بسرعة وتأكد ألاّيوجدَ أحد ، لماذا تركتني أنام؟.

مرة أخرى طوق الرجل عنقها بيده وقبلها عدة مرات وقال: لاتهتمي لايوجد أحد يقظا وسأذهب لأرى وأتأكد ثم نهض واقفاً على قدميه ووضع روبه على كتفه كالمذهول ولبس الشبشب وكاد أن يسقط يمنة ويسرة عدة مرات.

ثم عاد الرجل وقال الدنيا هادئة ولاحراك فيها وتشبه البحر الراكد وفيما عدا الأسفل حيث المصلون مشغولون بالذهاب الى المغاسل فان الهدوء يخيم على كل شيئ. نهضت شكره بسرعة وتعانقت مرة أخرى مع الرجل ثم توجهت فورا وبسرعة نحو غرفتها وفتحت الباب بهدوء. وتسللت الى سريرها وتنفست الصعداء خاصة وأنها تعرف بان نوم نجوى ثقيل ولا تنتبه لالنفسها ولا لغيرها حين تستغرق في النوم.

نهضت شكره في الصباح وانشغل الجميع بأنفسهم وقد أدخل الفطور الى غرفة شكره والفتاة ووصل عندهما الرجل لتناول الشاي وكان يتكلم كلاما متواصلاً. وكانت شكره تضحك من كلامه وكأن شيئا لم يحدث ليلة امس فقد أمسكت باستكان الشاي وأخذت منه رشفة وتوجهت نحو الرجل وقالت : كم الساعة عسى أن يتم تصليح سيارتك بسرعة والله لاقدرة لنا على البقاء هذه الليلة ايضا هنا. أما إذ لم يتم تصليحها سأضطر والله الى استئجار سيارة لعودتنا. فوقف الرجل على قدميه وقال: سأذهب فورا بحثا عن ميكانيكي وافحص الماء والزيت وكل شيئ، لاتقلقوا أبداً.

قالت شكره إن شاءالله يتم تصليحها بسرعة كي يكون بامكاننا الوصول الى اربيل وقت طعام الغداء فقد وعدت كاكل آغا وهو ينتظرنا ظهراً.

فقال الرجل: ذلك لايحتاج أي كلام سنصل قبل الغداء الى اربيل قال ذلك ونزل بسرعة.

بعد فترة ليست طويلة عاد الرجل الى شكره وقال: الحمدلله والشكر كل شيئ تمام لقد تم تصليح السيارة ودفعت الحساب تفضلوا لنغادر.

ودعهم صاحب الفندق وخدمه بحرارة ورافقوهم بكل تقدير واحترام الى السيارة حيث ركبها الثلاثة. وسارت المرسيدس الفضية بخيلاء في الطريق.

التفت الرجل الى شكره وقال: الاتحتاجين شيئاً لنشتريه؟ وثم واصل كلامه وقال: لنشتري بعض والفواكه للطريق. وقفت السيارة أمام محل للبقالة، نزل الرجل واشترى الفواكه وبالنسبة لنجوى فقد اشترت العلك والكرزات وبعض الجرائد والمجلات. ثم واصلوا الطريق وكان الوقت يقترب من العاشرة صباحا فتح ابو رعد راديو السيارة وهدؤا قليلا وأصخوا السمع للأخبار. وجعلت أخبار الحرب في لبنان وقتل وذبح الفلسطينين نجوى حزينة بعض الشيئ وبدأ الآخران بالحديث

وابداء الرأي حول الحرب في لبنان ووحشية مسلحي الميلشيات وكيف يدمرون بيوت بعضهم وكيف يقتلون ويفتكون ببعضهم.

تحدث الرجل عن هؤلاء الذين يستفيدون من هذه الحرب ويحرضون الناس أكثر عليها واولئك الذين يمارسون التهريب وتجاره الاسلحة والذخيرة وكيف يتم علاج هذه الأمور ومن المسؤول عنها ومن لايتحمل المسؤولية. ومن كان يستمع اليهم يتصور أنهماحفظهما الله، لاعمل لهما الا القلق على لبنان وفلسطين وذلك الخراب الذي لحق بالشعبين، ولايعلمون أن من لايهتم بالشرف والعرض كيف يهتم بتدمير بيوت الناس أو حياة الأخرين.

خرجوا من المدينة وأصبحوا على طريق أربيل ثم بدا أمامهم منظر بابا طورطور الأخاذ الجميل وتدريجيا تركوا هذه المناظر وتحول حديث الجماعة الى (السياسة) والنفط وواردات النفط والكورد والعرب.

دخل الرجل وشكره في (نقاش) و(جدال) حول ذلك. وكانت شكره تقول ان كركوك مدينة كردية وان نفطها ملك للكرد وتأخذ الحكومات جميعه لها ولا يجوز ذلك.

أما الرجل فكان يريد أن يغضبها لذا قال لها: كلا كركوك مدينة عربية ونفطها ايضا ملك للعرب. أما شكره فقالت بحرارة وبشكل استعراضي يجعل لون بشرتها أحمر: لاتأكلوه فهو مر، قسما بحياة الذين ينهبون النفط لو قتلتم أنفسكم ولو أشتقتم الى الموت فان كركوك تبقى كردستانية وان نفطها ملك لشعب كردستان لكن انتظرونا إلى اليوم الذي سيأتي.

توجهت شكره نحو الرجل وقالت أخبرني لماذا تريد أن تضايقني؟ فضحك الرجل وقال: أحب ذلك لأنك تزدادين جمالا عندما تغضبين. وكانت نجوى في الخلف تلتهم الجرسات وتقشر البرتقال الذي تضع قسما في فمها وتقدم البعض الآخر لسيدتها التي تضعه هي بدورها في فم الرجل وقد جعلوا اليوم يومهم ويتصورون أن الدنيا ليس فيها أحد غيرهم فكانوا سعداء جدا ولم يعيروا للعالم أدنى اهتمام.

وقال الرجل وهو يسوق السيارة ويلتهم البرتقال: في الحقيقة لا أعرف ما أفعل. والله أتذكركم كثيرا وهذه أمتع سفرة قمت بها. مع هذه الاحاديث الممتعة والنكات والطرائف لم أحسّ كيف انقضى الليل والنهار. أتمنى أن تطول هذه الطريق ولا تنتهي أبدا لانني لااستطيع أن أفكر في اننا يجب أن نفترق بعد قليل ومن غيركم يحدثني بهذه الاحاديث الشيقة. سكت الرجل قليلا ثم قال: مرة أخرى علي أن أعود الى المشاكل والمنغصات والله في الليلة والنهار المنصرمين كنت قد نسيت الدنيا وقلت إنني أعيش في حلم لذيذ.

قالت نجوى: والله كانت سفرة ممتعة لقد سافرت على هذه الطرق مرات عديدة لكنني لم أقم بسفرة جميلة كهذه رغم كل ذلك الخوف والامطار والعواصف التي صادفتنا أمس. قالت شكره: إذا تحدثنا عن هذا الموضوع بعد شهرين او ثلاثة فانها تصبح قصة وذكريات طيبة جدا. أنا أيضا لم أقم بسفرة ممتعة كهذه ثم نظرت الى أبى رعد وقالت شكرا جزيلا فقد أتعبناك.

وقال أبورعد: هل تشكرينني أنت؟ والله أنا ممتن لك قدر شعرات رأسي. ضحكت شكره وقالت: طيب فشعر رأسك غزير جداً.

***

وصلوا إلى مقربة من آلتون كوثري والمواقع المتموجة العالية والمنخفضة وكانوا عندما ينزلون من الأماكن المرتفعة تمسك نجوى ببطنها وقالت: آه يابابا كم هي ممتعة وكم هي مخيفة أيضا.. هدأت نجوى قليلا ثم قالت: هذه الطرق تشبه كثيرا طرق لبنان وكلما صعدنا الى الأعلى كانت أكثر شبها.

قالت شكره: عزيزتي لاتتعبي نفسك فهذه أيضا بلادك ولايوجد فرق: إن شاء الله ستتحسن الأوضاع في بلدكم وتنتهي الحرب وسنذهب معا الى هناك كما وعدتك.

توجهت شكره بكلامها نحو أبي رعد وقالت: قل لي متى تزورونا؟ لم تقل لي ذلك لحد الآن أجاب الرجل بحرارة: إذا انتهى الاولاد من الامتحانات فبعدها مباشرة نكون نحن في الطريق .. وسأخبرك قبل ذلك.

قالت شكره: طيب وسأطلب مبكرا أن يصنعوا لنا عريشة مريحة وكبيرة لنا في بستاننا في شقلاوة ويعمروا البيت تعميرا جيدا وأن يثبتوا الاسلاك على النوافذ والابواب ويرتبوا المرافق الصحية ثم أطلقت شكره قهقهة وقالت: ولأجل الأولاد سأغطي الابواب والنوافذ كافة بالاسلاك.

وضحك الرجل وقال: لاحظت أن مشكلتنا الرئيسية كانت كيفية قضاء الاطفال حاجتهم خوفا من الذباب والبعوض والحشرات.

ونغز الرجل شكره: ولاتنسى أن تصنعي المفاتيح والاقفال للابواب.

وبهدوء وضعت شكره يدها على فخذ الرجل وقالت: على العين. وفي تلك الاثناء ظهرت شاحنة عسكرية من المنعطف، فاضطرب الرجل وأراد أن يتفاداها لكنه لم يسعفه الوقت واصطدمت سيارته بالشاحنة محدثة دوياً كبيراً وسقطت السيارة جانبا. وسرعان مانزل الجنود واحاطوا بالسيارة التي كانت قد سقطت على الجانب فاعادوها الى وضعها فيما تحدث احدهم بجهاز اللاسلكي مع النقاط العسكرية ليرسلوا على وجه السرعة سيارة اسعاف.

كان أبورعد قد فقد الوعي وكان وجهه مغطى بالدم فيما كانت نجوى بالكاد يصدر منها صوت فقد غرقت في الدم.

وكانت أوضاع شكره أسوء من الأثنين لأن سيارة اللوري ضربت جانباً منها إذ تكسرت رجلاها ودخل حديد الباب في خاصرتها وكتفها وجعل الزجاج الأمامي وجهها كالمنخل ومزق صدرها ونهدها تمزيقا ، ذلك الصدر والنهد اللذين كانت تفتخر بهما.

كانت شكره لاتزال تتنفس بعض الشيئ لكنها لفظت انفاسها الأخيرة قبل وصول الاسعاف وكانت قد اصبحت كتلة من اللحم والعظم والجلد والدم. ولم يكن يخطر ببال أحد بان هذه التي يراها هي المرأة ذاتها التي كانت قبل ربع ساعة كالعروس المزدانة. ولم تكن تبادل نفسها بجميلات الدنيا وكانت قهقهاتها وضحكاتها تتردد بين هذه المرتفعات والمنخفضات ولم تكن ترى في الحلم اولم يكن يخطر في بالها أن تصبح بهذه الحال وحسب بل وحتى ان ينزف اصبع من اصابعها.

وكانت تتصور أنها يجب أن تتحرك حسب هواها وتقوم بما يشتهيه قلبها وتكذب وتلفق على زوجها العجوز ولاتهتم كم تكون مطاطأة الرأس بين الناس ولم تكن تهتم بما يقوله الناس عنها أو الطعنات التي يوجهونها إليها أو يهزؤون منها. كذلك لم يكن يخطر ببالها كم أصبحت مثار خزي وعار لأقربائها ومعارفها الذين رغم صغر أعمارهم يخجلون من النظر اليها.

يبدو أن الخبر انتشر سريعا ووصل الى اربيل وزوجها الذي أغمي عليه مباشرة فنقلوه على وجه السرعة الى مستشفى خاصة وأنه كان مريضا.

مرة أخرى أصبح العبء كله على كآهل أخيها شوان الذي إنشغل من جهة بزوج شقيقته ومن جهة اخرى بترتيب مراسيم العزاء بقلب معتصر مليئ بالخجل. وإتصل بثرشنط وطلب منها القدوم الى اربيل بسرعة. توجهت ثرشنط وخالها وزوجة الخال وأم العروس على عجل الى اربيل وكذلك أسرة عمتها وأصبحت مجموعتهم تتكون من ثلاث سيارات . وعلى طول الطريق كانت ثرشنط مصابة بالذهول وكانت تبكي مع الضيوف أحيانا وتصاب بالوجوم أحيانا ويأخذها الخيال بعيدا وتقول في نفسها أنظر كم دعوت عليها، الف مرة قلت لها اذهيي أخذك الله وأتمنى الاّ تعودي إليه .. كان ذلك إثما لماذا

قلت ذلك؟ رغم اني واثقة بأن الحادثة المفجعة لم تحصل استجابة لدعائي، لكن لماذا قلت ذلك .. هل كنت على حق؟ كان المفروض الاّ أقول ذلك.

وبعد أن تفكر في تصرفاتها كانت تقول في نفسها .. نعم .. نعم انتقم الله منها جيدا. ثم تقول كأنها تخاطبها: فلتذهبي أبعد من ذلك لأنك أسأتِ الينا لألف عام .. لم نكن نجرؤ على مواجهة أحد فقد كنت العقبة الكبرى في حياتنا.

وفي النهاية كانت تشفق عليها مرة أخرى وتقول في سرها: والله لااصدق لحد الآن ولايصدق ذلك عقلي .. تلك هي ماثلة أمامي وقد وضعت العباءة على يدها وعانقتني وضحكت وقالت: إعذريني لقد سببت لكم الكثير من التعب.

وكيفما يكون فانه إثم لايجوز أن يفرح الأنسان بوفاة أحد. كلنا نموت لكن إذا كانت نهاية الحياة موتاً فالأفضل أن يموت الأنسان مرفوع الرأس وسمعته طيبة وليفتخر به أبناؤه بعده بسيرته المحمودة ولماذا يجب أن يفعل شيئا مثل مافعلته هذه حتى بعد مماتها نخشى من ذكرها واقامة مجلس فاتحة لها لأننا نعرف ماذا يقول الناس عنها في سرهم. صدرت من ثرشنط آهة خفيفة وقالت: خرّب الله بيتك بل أكثر، ترى ماذا كان ينقصك، الثروة أم الجآه، زوجك المسكين، الملابس، النزهة والسياحة، لماذا كان سوء السلوك يسري في عروقك؟.

كانت ثرشنط تفكر في مثل هذه الأمور على طول الطريق كما كان قلبها مع أولادها لأن هذه هي المرة الأولى التي تتركهم فيها.

وكانت شفيقة خان أم العروس اكثرهم حزنا على شكره وكانت تبكي باستمرار وتتحدث عن جمالها ورشاقتها وكلامها اللطيف لاسيما وأنها لم تكن تعرف شيئا عن شهرتها وسمعتها السيئة.

أما زوجة الخال فكان يبدو أنها جاءت إرضاءً لكل من شوان وثرشنط حسب التقاليد والأعراف ويجب على الأنسان أن يشارك في مثل هذه المناسبات والفواتح لذا فانها لم تربك نفسها كثيرا وتفوهت بعدة تغميزات، وكذلك قال

زوجها عدة مرات لاحول ولاقوة الابالله وأضاف بعد الوفاة على المرء أن يرجو الرحمة لأن الميت يتخلى عنه حتى الشيطان لذا فالأحسن أن يدعولها الأنسان بالدعاء وطلب الرحمة.

وكانت أم العروس تدرك جيداً أن زوجة الخال كانت تحسد شكره لذا فانها بجانب البكاء كانت تشتم في سرها زوجة الخال وتقول: أي إمرأة عديمة القلب والضمير التي تبحث عن العيوب حتى في الموتى.

وأخيراً وصلوا أربيل ونزلوا في بيت شكره وهناك أقيم مجلس العزاء الخاص بالنساء . كانت ثرشنط حزينة جدا وكانت مذهولة وواجمة لاسيما بعد أن شاهدت الأشياء التي تعود لشكره في الغرف هنا وهناك . ورغم ان غرفتها كانت مغلقة وأودع المفتاح لدى شوان الاأنه تم ترتيب المنزل وفتح الباب على مصراعيه وارتفع صوت تلاوة القرآن عن طريق الميكروفون. وأقام الرجال الفاتحة في الجامع.

بدأت الاقاويل تنتشر، بعض النساء كن يقلن: والله لولم يكن احتراما لزوجة اخيها التي يقال إنها حضرت وهي التي أقامت الفاتحة لما كنت أخطو خطوة واحدة للحضور معاذ الله هل هي تستحق ان نحضر فاتحتها ؟ وثانية تقول: والله كان الأفضل نصب جهاز تلفزيون في ساحة الدار لتقديم الأفلام والأغاني بدلا من قراءة القرآن والفاتحة.

وأخرى تقول: يابنات لاتشاركن لأنكن لن تعدن إليها الحياة وإذا لم تذهبن فالى الجحيم على الأقل. اذهبن احتراما لاخيها الذي هو انسان خدوم ويهب لنجدة الناس لكن كلكن تعرفن أنه لاذنب له لم يكن له سلطة عليها وثم الرحمة للميت أفضل من هذه الأقاويل.

أما الرجال الذين كانوا يحضرون مجلس الفاتحة كانوا يتهامسون ويقولون: ياترى بين هؤلاء الرجال كم واحداً منهم كان عشيقا (للمرحومة) وكان هذا يقول لذاك

! يقولون انها كانت مع ضابط عربي وكان كلاهما سكرانين لذا حصل لهما ذلك.

وهذا الآخر يقول يقال إنها وخادمتها كانتا مع رجلين بغداديين والتهتا في الطريق معهما بالمزاح والمداعبة ولهذا السبب وقع لهم ما وقع.

وأخرون يقولون: ياناس لاتحملوا وزر الآخرين يقولون ان المنكوبة كانت مريضة وقد توجهت الى مراجعة الطبيب في بغداد فاتصلوا بها بالهاتف قائلين إن زوجها مريض فاسرعت هي بالعودة وكانت في سيارة أجرة. وهكذا فان الناس رجالا ونساءا يأتون ويروحون وهم يتحدثون عنها وعن الحادث كل وفق طريقته.

ولم يكن شوان يعرف مايفعل فقد جلس مهموما واجما وقد أوطأ رأسه وكان الناس يواسونه وهو يرد عليهم ويجيبهم بلغة مبهمة ويشكرهم على حضورهم.

ورقد كاكل آغا فاقداً الوعي في المستشفى وكلما كان يستعيد وعيه قليلا ويفتح عينيه ينادي شكره ياحياتي هل صحيح أنك ميتة؟.

بعد ذلك يبدأبالغناء وترديد أغاني التأسي الحزينة والقوريات الكركوكية وكان صوته رقيقا شجيا يفطر القلوب وتبكي له المرضات والعاملون في المستشفى ويرثون لحاله عندما يسمعون تلك الأغاني والقوريات.

وأحياناً كان يبكي بهدوء ثم يذهب في غيبوبة.

***

انتهت الفاتحة وتفرق الناس وكان معظمهم قد جاء لمجرد تبادل الاحاديث وقضاء الوقت وقليل منهم جاء لمواساة شوان وكانوا يعرفون أحاسيسه الآن بين هؤلاء الناس. وعلى أى حال فبعد أن عاد الناس الى اعمالهم وشبعوا من الاحاديث والهمس رجع شوان الى نشاطه ودبت الحياة فيه مرة أخرى.

وبعد ثلاثة أيام عادت ثرشنط بسرعة وبلهفة الى بغداد وكأن ثلاث سنوات مضت على تركها أولادها فكانت غير مرتاحة وقلقة بشأنهم كما عاد الحال

وزوجة الخال وشفيقة خان من هناك الى السليمانية لأن العروس والعريس والبنتين ايضا كانوا قد عادوا من بغداد.

وكان أبورعد بوساطة من شقيق زوجته الضابط قد تم نقله عاجلا على طائرة هيليكوبتر من مطار التون كوثري الى بغداد وقد تعرض ظهره للكسر لكنه مع ذلك قد نجا من الموت وقد شفي فيما بعد.

أما نجوى فبعد معالجتها في آلتون كوثري فقد تم نقلها الى مستشفى اربيل وكانت قد اصيبت ببعض الكسور في أنفها وكتفها وتعرض فمها للكسر ايضا وهي أيضا تجاوزت خطر الموت.

وكان شوان يعطف عليها ويرسل باستمرار بعض العاملين في الفندق للسؤال عنها وتفقد صحتها وتلبية طلباتها وهو نفسه كان يتردد عليها بين حين وآخر كلما سنحت له الفرصة.أما كاكل آغا زوج شكره فقد عاد تقريبا الى وضعه الهادئ وتجمع حوله أقاربه وزاره أخوآه وتصالحا معه وجلسا حواليه بعد تلك السنين من الهجر والمقاطعة بسبب سلوك زوجته شكره وكانا لايزورانه لكن إحدى أخواته كانت تتردد عليه سرا ولم تكن تعير اهتماما للآخرين.

لذا فان شقيقته تلك جاءت لتحل محلها في البيت مع اثنتين من بناتها اللتين ربتهما يتيمتين ولم تكملا بعد دراستهما.

هيأ شوان منزلاً صغيرا لكاكل آغا ونقله من المستشفى اليه بناءا على طلبه لأنه لايتحمل حاليا السكن في ذلك المنزل الذي خلا من شكره التي كان يحبها كثيراً.

***

كانت ثرشنط وباجي خورشه تجلسان دائما وتتحدثان عن شكره كما ان الكثيرين من الاقارب والمعارف يزورونهما باسم العزاء.

كانت باجي خورشه تقول: الله رب العالمين وهو القادر على كل شيء، وتضرب على فمها بكفها، ثم تردد: كفى إلى متى تلعبين بهؤلاء الناس؟.

وبعض الأحيان كان حلقها يغص بالبكاء وتقول: انها مأساة في ذلك الصباح الذى كان من المقرر أن تسافر كانت تبدو وكأنها تعرف أنها لن تعود إذ كانت تقترب من الباب ثم تعود وتتكلم كلاما آخر وتكرر القول: سامحوني فقد اتعبتكم.

حزنت سيران بعض الشيئ رغم انها كانت تريد ان تتظاهر بأن ماحصل كان الافضل لأنهم تخلصوا منها لكن كان يظهر على وجهها علائم الحزن والاضطراب والشفقة.

لكن شقيقها كامران لم يكن يعرف تماما مشاعره تجاه هذه الحادثة التي أودت بعمته شكره ذلك لأنه كان نادرا ما يجلس مع أفراد الاسرة كما كان قليل الكلام. وكانت أحاديثه وإجاباته تشبه برقيات غير واضحة لأنه على وجه العموم كان يتحدث بصوت واطئ رخيم الاّ عند الغضب أو عندما يرغب في المزاح واللعب وعندئذ كان صوته يصل الى الأبعد. بعد مضي شهر عاد شوان الى بغداد وانضم من جديد الى أسرته وأطفاله فتجمع حوله الاولادمرة أخرى. وبدأ هو بسرد الحكايات عن زوج أخته وكيف اجتمع حوله الآن أخته وأطفالها ويهتمون به وهم اناس طيبون وهو أصبح أفضل لكنه لايزال حزينا ومضطربا.

تحدث عن نجوى وقال: أصبحت الآن أحسن قليلا لكنها صارت مثل العجوز التي فقدت اسنانها وتستطيع أن تنهض قليلا. أما فمها وأسنانها وجروح وجهها وأنفها فتحتاج مدة من الزمن و بعض العمليات الأخرى.

قال شوان بابتسامة باهته: (محي) (٨) على وشك الاتفاق معها على الزواج فقالت ثرشنط باستغراب: وكيف وهي في هذه الحال تريد الاتفاق مع الناس؟.

أجابها شوان وقال: والله لاأدري ماذا أقول كلما يتلفتون ويقولون أين (محي الدين) نريد أن نكلفه بعمل يقولون ذهب ليتفقد نجوى الراقدة في المستشفى فهو

يقضي نصف نهاره لمرافقتها ويكلف الصناع باعماله ويقول: إنها غريبة تستحق العطف ولأذهب اليها.

وهم يجعلون ذلك سببا للتندر والضحك فيغضب ويقول: إنني اقوم بذلك في سبيل الله والاّما فائدتها هي؟.

فيجيبونه: إذا كان ذلك في سبيل الله فانه يكفي مرة كل يومين أو ثلاثة لكن ماتفعله أنت يتجاوز حدود ماتسميه في سبيل الله.

قال شوان بابتسامة باهتة: انت بنفسك تعرفين (محي) عندما يراود رأسه شيئ فانه يفعل حسب هواه لذا فانه يفور مرة واحدة ويقول: إنها مسكينة وترتاح لى فكل المرضى لهم أقارب ومعارف وهم دائما في الطريق يأتون اليهم وهم يحملون الهدايا ماعدا هذه المنكوبة .. وهل انتم أناس كفرة لامكان للرأفة في قلوبكم؟.

ضرب شوان كفا بكف وقال: وهو مهزلة لامثيل لها.

كان شوان يبدو شاحبا وبعد كلماته هذه وقف على قدميه وتمايل قليلا يمنة ويسرة ثم توجه نحو ثرشنط وقال: وسنجلس أنا وأنت معا نتحدث بعض الشيئ وربما استطعنا تدبير بعض الأمور فيما بيننا.

وكانت مفاجأة لثرشنط نوعا ما ونهضت هي ايضا من مكانها وقالت:كلام حول أي شيئ، خير؟.

نظر اليها شوان وقال: كلا المسألة ليست بهذه الصورة، لماذا أرتبكت هكذا ؟

قالت ثرشنط مرة أخرى بالحاح: والله ماذا اقول مجرد أنني خفت وقلت ياترى عمَّ نتحدث وحول اى شيئ .. هيّا تعال وقل لي.

ثم أضافت ثرشنط بابتسامة مصطنعة: تعرف أنني لاأستطيع إذا طلبت مني شيئا يجب أن تقول لي على الفور ماهو والاّ لاتخبرني بشيئ وأخبرني في الوقت الذي تكون فيه مستعداً لافهامي به.

وبينما كانا يسيران نحو غرفة نومهما قال شوان: لاخرب الله بيتك يا انسانة هل ارتكبت كفرا عندما تحدثت اليك حول شيئ .. أنا متعب الآن والقصة طويلة وهي حول كاكل آغا وهي ليست بذات أهمية ولن آهرب من يدك.

اضطر شوان الى ان يجلس على حافة سريره وجلست ثرشنط مقابله وبدأ يحك رأسه ولم يكن يعرف ماذا يقول لكنه قال في النهاية: لم أرد أن اتحدث اليك عن أشياء شكره. وما نتحدث به الآن شيئ أخر والشريعة والقانون و(الورثة) شيئ آخر أيضا.

سألت ثرشنط بتلهف وقالت: طيب ماهو قصدك؟.

مسح شوان وجهه بيده وقال: لأنها الآن بدون أطفال فان معظم ميراثها يكون من نصيبي وكاكل آغا قال لي علناً بأنه لاحق له بأي شيئ وقال: ماذا اعمل بالذهب والاشياء الأخرى وأحلت كله اليك. سجب شوان نفساً وقال: هذا الرجل العجوز مسكين جدا وانني اشفق عليه الآن فكل هؤلاء الأخوة والأقارب والمعارف اجتمعوا حوله لكنه يقول لاأبدل ظفرا من أظافر شوان بهم جميعا. وهاهو يضع كل أمواله واملاكه تحت تصرفي ويقول كله حلال لك وكله ثمرة جهودك ، وهؤلاء يطمعون في الميراث فتجمعوا جميعا حولي وما عدا اختي الأرملة فانني لن اسمح بان يكون دينار واحد من نصيبهم.

وقفت ثرشنط على قدميها وضربت على صدرها وقالت: ياويلي كلا كلا أنا فداك لاتقل هذه الأشياء أمامي مرة أخرى. ما الذهب وما الأشياء الأخرى؟ والله لن تدخل من ذهبها حبة واحدة بيتي، لاسمح الله. فليرحمها الله ويغفر لها ذنوبها لكن أشياءها ومثل هذه المواضيع لاتتحدثوا عنها أمامي أبداً.

فقال شوان بوجوم: أنا ايضا أقول الشيئ نفسه لكن ماذا أعمل ؟ قالت ثرشنط: بيعوا ذهبها وكل ممتلكاتها النفيسة واجعلوا ملابسها خيرا وزعوها على

الفقراء والمساكين. ارسلوا ملابسها ومخشلاتها الى بغداد والبصرة وتلك المناطق لتباع هناك.

وقال شوان بلهجة تشوبها ابتسامة باهتة ذات معنى: وماذا يفعل الفقراء والمساكين بملابسها وكيف يرتدونها وما فائدتها لهم وهي مليئة بالألوان والزخارف؟.

وقال شوان وهو يتخطىّ جيئة وذهاباً في الغرفة: وبغداد والبصرة ماذا تفعلان بالملابس الكردية.

قالت ثرشنط: انا لم اقصد الملابس بل كنت أقصد مخشلاتها اما الملابس ففي المدن الكردية يتلقفها الناس كالحلوى ويشترونها، سلموها بيد أحد الدلالين ومن يعرف من هي صاحبتها. سكتت ثرشنط قليلا كي تفكر ثم قالت: لكن لتمر فترة مناسبة لماذا تستعجلون الآن؟.

قال شوان صدقت لتبقى هكذا فترة الى أن نفكر بشأنها وتمضي مدة على هذه القضية وعندئذ سيكون لكل حادث حديث.

گلاويژ

لندن :١٩٩٢/١/١٨

الهوامش

١. الكليضة klecha وباللغة الكردية (كوليضة) kuleechal من المعجنات المعروفة عند العرب والكرد في العراق.

٢. طالطالى galgali من المعجنات الخالية من الحشو وهي معروفة في منطقة السليمانية.

٣. الخمير khameer وهي التسمية الشائعة في اليمن لما يطلق عليه الكرد تسمية (ناوساجى) وهي عجينة تقلى في الدهن ويكثر تناولها في شهر رمضان لدى الكرد والعرب في العراق.

٤. حيبي habe تخفيف للفظة (حبيبة) وهي اسم شائع بين الكرد للنساء.

٥. عوسه: تصغير لأسم عثمان في المناطق الكردية التي تتكلم باللهجة الكرمانجية الجنوبية.

٦. لاطيرة lageera أي الشيال عند العرب وسرثرضم sarparham وكلتاهما مخشلتان ذهبيتان للنساء الكرديات.

٧. طوبروط gobarok من مخشلات الذهبية للنساء الكرديات.

٨. محه او (محي): mha تصغير بين الكرد لاسم (محي الدين).